Top of the Week
Newsweek

Cover Story

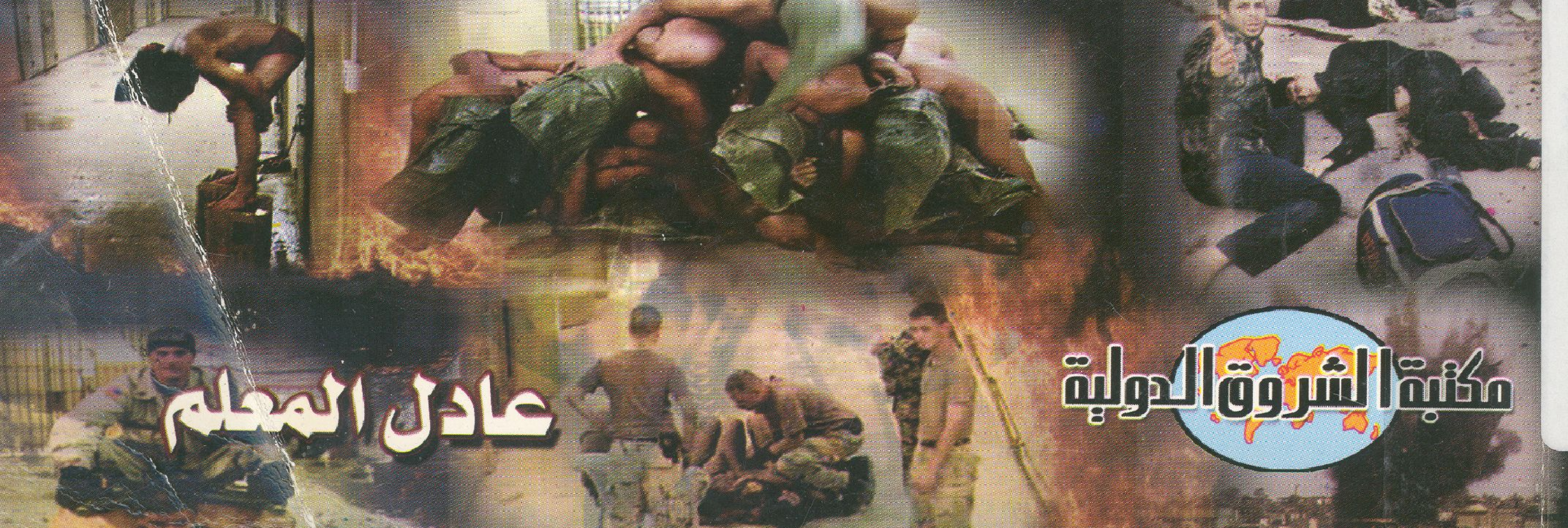
Every American president invokes **God's blessing.** But George W. Bush's presidency is the most **resolutely "faith-based"** in modern times. After all, Bush's own life is a story about **the power of belief** to save a life and a family, and to shape a political career and a national government. NEWSWEEK examines his journey from reveler to revelation. **Page 14**

ROOTED IN THE BIBLE: A clear sense of good and evil



مقدمة فى

الأصولية المسيحية فى أمريكا و الرئيس الذى استدعاه الله و انتخبه الشعب الأمريكى مرتين



عادل المعلم

مكتبة الشروق الدولية

إهـــــــداء٢٠٠٨

ـة المرحوم الأستاذ/ محمد إدريس

جمهورية مصر العربية

مقدمة فى
الأصولية المسيحية فى أمريكا
والرئيس الذى استدعاه الله
وانتخبه الشعب الأمريكى مرتين

الطبعـــة الثالثة

١٤٢٦هـ ـ أبريل ٢٠٠٥م



٩ شارع السعادة ـ أبراج عثمان ـ روكسى ـ القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ ـ ٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٥٦٥٩٣٩

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

مقدمة فى
الأصولية المسيحية فى أمريكا
والرئيس الذى استدعاه الله
وانتخبه الشعب الأمريكى مرتين

عادل المعلم



اللوحات في صفحات: ٦٢، ٩١، ١٤٥ مأخوذة من كتاب:

THE DORÉ BIBLE ILLUSTRATIONS

BY GUSTAVE DORÉ

مقدمة الطبعة الأولى

منذ مطلع العقد الأخير من القرن الماضى، يتصدر مصطلح الأصولية الإسلامية وسائل الإعلام الأمريكية، ومن ثم الغربية، وحتى العربية. ونادرًا ما يذكر الإعلام «الأصولية المسيحية» أو «الأصولية اليهودية» برغم حضور كلٍّ منهما النافذ على الحكومتين: الأمريكية والإسرائيلية، واللتين تنفذان مخططاتهما بنجاح ـ منقطع النظير ـ خاصة فى الشرق الأوسط.

يتكلم بوش عن الخير والشر، وعن الرب والإرهاب، كما لو كان نبيًا ذا رسالة إلهية. وفى ٢ مارس ٢٠٠٢م، استضاف التليفزيون المصرى ريتشارد هاس، مدير إدارة التخطيط والسياسة فى وزارة الخارجية الأمريكية(*)، وسأله الدكتور عبد المنعم سعيد عن تبريره للنبرة الدينية الواضحة فى خطاب الرئيس الأمريكى، والتى تذكرنا بالخطاب الدينى للملالى الذين يحكمون إيران؟!

ضحك الضيف قبل أن يقول: الخطاب الدينى يؤثر على الشعب الأمريكى... فهو أكثر شعوب العالم تدينًا!

وفى هذا الكتاب، نقرأ مقالتين عن الرئيس الأمريكى بوش، إحداهما من مجلة دير شپيجل الألمانية، والثانية من النيوزويك الأمريكية، ثم مقتطفات من مذكرات بوش التى نشرها قبل انتخابات عام ٢٠٠٠م تحت عنوان «مهمة للأداء».

بعد ذلك يجد القارئ فصلاً عن مقدمة فى الأصولية المسيحية، تسبقه نبذة لازمة عن الأصولية اليهودية.

عادل المعلم

أكتوبر ٢٠٠٤م

(*) المعنى باستراتيجية السياسة الخارجية الأمريكية، وهو نفس المنصب الذى شغله فى منتصف القرن الماضى چورج كينان، والذى قامت السياسة الخارجية لأمريكا على أفكاره لمدة نصف قرن.

مقدمة الطبعة الثالثة

خصصت مجلة «نيوزويك» الأمريكية - في عددها الصادر في ١٥ نوفمبر ٢٠٠٤م - أكثر من نصف صفحاتها لتروى «القصة غير المروية» عن نجاح بوش في انتخابات الرئاسة لثاني مرة.

كيف فاز بوش؟

نقرأ سويًا بعض العناوين والفقرات من المجلة:

فاز على كيرى بفارق أكثر من ثلاثة ملايين صوت.

أحبوا (الناخبون) حربه على الإرهاب وموقفه الأخلاقي.

رأى الناخبون قوته في شخصيته الإمبريالية - أحيانًا - وفي إيمانه الديني، ورغبته في استخدام القوة لمحاربة الإرهاب.

وضع أساس مستقبله السياسي على «حزام الكتاب المقدس في تكساس - Rural Bible belt of Texas»، وأكمل البناء يوم الانتخاب.

لقد كانت «القيم الأخلاقية» - ربما كمفاجأة - هي الاهتمام الأقصى للناخبين، و٧٨٪ من هؤلاء المهتمين بالقيم الأخلاقية انتخبوا «بوش» وليس كيرى.

حصل بوش على ٧٦٪ من أصوات الإيفانجليكيين[١]، وكذلك غالبية من يذهبون للكنيسة بانتظام.

فاز الرئيس بأغلبية أصوات الزوجات، والأمهات المتزوجات، البيض (red necks)، المسيحيين البيض المولودين ثانيًا «White born-again christians»[٢]،

---

(١) هم الذين يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس ومرجعيته العليا، والخلاص الأبدى على يد المسيح من خلال موته على الصليب.

(٢) طائفة من البروتستانت لا تكتفي بعمادة الأطفال - جاء في صفحة ٢١٦ من كتاب **«الطوائف المسيحية في مصر والعالم»**، إعداد ماهر يونان عبد الله تحت عنوان: **الكنيسة المعمدانية أو منكرى** =

عائلات العاملين بوزارة الدفاع، وأولئك الذين يذهبون للكنيسة بانتظام.

وعلى النقيض من ذلك، فاز كيرى بأصوات النساء الوحيدات، النساء العاملات، السود، الأمريكيين من أصل إسباني أو برتغالي [والغالبية العظمى منهم كاثوليك]، اليهود، الشباب، المثليين (الشواذ من الجنسين)، وأولئك الذين نادرًا ما يذهبون إلى الكنيسة، أو لا يذهبون مطلقًا.

جغرافيًا، اكتسح بوش ولايات الجنوب والسهول والجبال، وانحصر كيرى فيما أصبح ولايات شمال الساحل الشرقى، والساحل الغربى.

وجاء تحت عنوان فرعى لمقالة تقرب من صحفة كاملة:

حروب الثقافة ـ الفوز بأصوات القيم

٢٢٪ من الناخبين، اعتبروا «القيم الأخلاقية» الأهم فى الانتخاب، أهم من حالة الاقتصاد وفرص العمل، وأهم من الإرهاب، وأهم من الحرب على العراق. أما حقوق المثليين فى الزواج، وغير ذلك، فقد جعلت الجماعات الدينية تستحث الإيفانجليكيين على الذهاب إلى صناديق الاقتراع لمنع تشريع قوانين تجيز الزواج المثلى.

= **عماد الأطفال أو كنيسة المينونيت أو معيدى المعمودية:**

[فى عام ١٥٢٥م فى ألمانيا اعتبر كارلستاد ومونتزير أن عماد الأطفال عديم الجدوى وبدون أساس كتابى، وبدأوا يعيدون تعميد الكبار الذين سبق أن تعمدوا وهم أطفال. كما تبلورت حركة إعادة المعمودية فى سويسرا على يد كونراد جربيل (١٤٩٨ ـ ١٥٢٦م) حيث نادى جربيل بإعادة المعمودية، ويمكن لأى شخص أن يعمد، فقام بتعميد صديقه چورچ بلوروك، ثم قام چورچ بدوره بتعميد جربيل. فى عام ١٥٢٥م أصبح تعميد الكبار جريمة عقوبتها الموت، فقد قرر شارل الخامس ملك إسبانيا (الذى يملك أيضًا الإمبراطورية الرومانية) جعل إعادة المعمودية ذنبًا عقوبته الإعدام فى كل الإمبراطورية، ويقدر الدارسون أن نحو خمسة آلاف من منكرى عماد الأطفال نفذ فيهم حكم الموت. وعلى الرغم من الاضطهاد المكثف من البروتستانت والكاثوليك ضد منكرى عماد الأطفال، إلا أن حركة إعادة العماد انتشرت فى كل أوروبا فى ألمانيا والنمسا وشمال إيطاليا وسويسرا، وقد وصل عدد المعمدانيين فى العالم إلى ١٢٥ مليون شخص].

وأظهر الجدول التالى ترتيب اهتمامات الناخبين:

	بوش	كيرى	رالف نادر	نسبة الأهمية لدى الناخبين
القيم الأخلاقية	٧٩٪	١٨٪	٢٪	٢٢٪
الاقتصاد/ فرص العمل	١٨	٨٠	١	٢٠
الإرهاب	٨٦	١٤	٠	١٩
العراق	٢٥	٧٤	٠	١٥
العناية الصحية	٢٢	٧٨	٠	٨
الضرائب	٥٦	٤٤	٠	٥
التعليم	٢٥	٧٥	٠	٤

* * *

وفى يوم الاحتفال بإعادة تنصيبه، بدأ بوش المراسم بالصلاة فى الكنيسة، ثم ألقى كلمة تبشيرية بالقيم الأمريكية.

وفى نهاية فبراير، زار بوش حلفاءه الأوروبيين فى بروكسل، وألقى كلمة تمحورت على اشتراك أمريكا وأوروبا فى القيم، وبأن اتحادهم فى القيم جدير بأن يزيل أى عقبة قد تقابلهم من العالم.

يعلم من خاطبهم بوش أنه يقصد بذلك القيم المسيحية، إن لم تكن اليهومسيحية.

ونحن نرحب كل الترحيب بالقيم المسيحية كما جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ وكما تتضح فى أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. . .

فهو صاحب رسالة السلام والحب والتسامح، والزهد فى الدنيا، والبعد عن الماديات. . . ولنتذكر بعضًا من جواهر فلسفته وحكمه:

* محور الشريعة: حب لأخيك ما تحب لنفسك.

* دخول الجمل من سم الخياط أسهل من دخول الغنى الجنة.

* إذا اشتهت عينك امرأة فقد زنت، فاخلعها.

* الذين يلجأون إلى السيف، بالسيف يهلكون.

* مملكتى ليست فى هذا العالم.

فلو اتبعت أمريكا وأوروبا القيم المسيحية الحقيقية ـ بدلاً من أخلاقيات القوة والعنف والمادة، وسياسات السعى للسيطرة على العالم ـ لكانوا وفروا على العالم الحملات الاستعمارية التى استنزفت دماء وأموال أفريقيا وآسيا على مدار قرنين، وبعدها دماء العالم كله من جراء حربين عالميتين أسالتا دماء ما يزيد على مائة مليون ضحية، وهدمت مئات المدن وآلاف القرى.

كذلك فنحن نرحب بالقيم اليهودية كما جاءت فى الوصايا العشر(*):

«أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك. لا يكن لك آلهة أخرى سواى. لا تنحت لك تمثالاً، ولا تصنع صورة ما مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من أسفل الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن؛ لأنى أنا الرب إلهك، إله غيور، أفتقد آثام الآباء فى البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مُبغضيَّ. وأبدى إحسانًا نحو ألوف من محبى الذين يطيعون وصاياى. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً؛ لأن الرب يعاقب من نطق باسمه باطلاً. اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك. أما اليوم السابع فتجعله سبتًا للرب إلهك، فلا تقم فيه بأى عمل أنت أو ابنك أو ابنتك أو عبدك أو أمتك أو بهيمتك أو النزيل المقيم داخل أبوابك. لأن الرب قد صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها فى ستة أيام، ثم استراح فى اليوم السابع. لهذا بارك

(*) العهد القديم ـ كتاب الخروج (٢٠).

الرب يوم السبت وجعله مقدسًا. أكرم أباك وأمك؛ لكي يطول عمرك في الأرض التي يهبك إياها الرب إلهك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد زوراً على جارك. لا تشته بيت جارك ولا زوجته، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئًا مما له».

أما إذا كان المقصود هو أخلاقيات الأصولية اليهودية مثل شعب الله المختار، وأن بقية العالم غير مختارين، أي مرفوضون، وأرض الميعاد، والأوامر الإلهية بقتل كل من في المدينة ـ بحد السيف ـ من رجال وشيوخ ونساء وأطفال وحتى الحيوانات، وقتل الأسرى حتى لو كان الأسرى نساء، ولا تبرموا معهم اتفاقًا ولا توثقوا معاهدة، ويهزم رب الجيوش كل الشعوب أمامكم، وأقرض الأجنبي بالربا ولا تقرض أخاك بالربا، وليكن كنعان [الفلسطينيون والعرب] ملعونًا، وليكن عبد العبيد لإخوته.

أو أما إذا اتّبع الرئيس الأمريكي أفكار الأصوليين المسيحيين، والصهيونية المسيحية واليهودية، والتي تؤمن بضرورة قيام إسرائيل، وبناء هيكل سليمان، حتى يجيء المسيح ثانيًا ويحكم العالم من أورشليم، وتشتعل حرب هرمجدون ـ طبقًا لتفسيراتهم لـ «رؤيا يوحنا»[(١)] ـ ويسيل الدم لمسافة ٣٠٠ كم حتى يبلغ ارتفاع الدم ألجمة الخيل، فستزداد مصائب وابتلاءات الشرق الأوسط من جراء تلك الأصولية المسيحية، والأصولية اليهودية، النافذتين في كلّ من واشنطن وتل أبيب.

عادل المعلم

مارس ٢٠٠٥م

* * *

(١) وهي هنا تفسيرات غير حرفية، لمنهج حرفي في تفسير الكتاب المقدس عند الإيفانجليكيين، والأصوليين من اليهود والمسيحيين.

الجزء الأول

الفصل الأول

حروب الرحمة

مقال من مجلة ديرشپيجل الألمانية

فى ١٧/٢/٢٠٠٣م

(قبل غزو العراق)

بقلم

هانــز هوينــج

وجيرهارد شپورل

ترجمة : رانية خلاف

حروب الرحمة

بمهاجمة بغداد يسعى الرئيس الأمريكى چورچ بوش إلى تلبية أمر إلهى. فى الولايات المتحدة شديدة التدين، لم يكن هناك أبدًا مثل هذا الربط العميق بين المصالح القومية والأصولية. **يطالب المتعصبون المسيحيون بحرب صليبية ضد الإسلام.**

واشنطن مدينة تخشى الله. أحد الطقوس الرئيسية فى البيت الأبيض هو أن يبدأ الاجتماع بالصلاة. يطلب الرئيس من أحد وزراء مجلسه أن يقول بعض الكلمات التأملية، بينما يخفض كل من بالغرفة رءوسهم، ويطبقون عيونهم، يطوقون أيديهم معًا، ويقوم دونالد رامسفيلد المحارب القديم بالتوسل إلى الله.

تجتمع أيضًا مجموعة لدراسة الكتاب المقدس بشكل منتظم لمناقشة وترجمة فقرات مختارة من العهدين القديم والجديد. وعلى الرغم من أن موظفى البيت الأبيض لا يطلب منهم المشاركة، فإن هناك بالتأكيد من يقوم بتدوين الملاحظات حول من يحضر ومن يتغيب عن هذه الاجتماعات.

يشغل الملتزمون دينيًا، وذوو الأخلاق الطيبة، مكاتب المركز الرئيسى الرسمى للرئيس. القسم بالله ممنوع، وليس هناك من يدخن أو يتناول المشروبات الكحولية. فى تقرير لديڤيد فروم، كاتب الخطابات السابق للرئيس، ذكر بحماس أن «الإيڤانجليكية الحديثة» تتخلل هذا المبنى الجميل فى بنسيلڤانيا آڤينيو.

يقول چورچ بوش إنه يقرأ الكتاب المقدس يوميًا، ولقد سمعه البعض يشير إلى القوة التى تأتى من الداخل، على نحو رائع، بزيادة وتكرار القراءة. «أصلى»، يقول بوش: «أصلى من أجل القوة، من أجل وضوح الاتجاه، من أجل الغفران. وأسأل الرب الكريم والطيب واسع القدرة أن يقبل إقرارى بفضله».

كلما أوشكت الحرب على العراق، كلما تحدث الرئيس عن الإيمان وقيمه الخاصة.

إنه يؤمن أن أفعاله تتأثر بشكل كبير بإيمانه. **ومن المعروف فى الولايات المتحدة أنه فى زمن الأزمات القومية، يصبح الرئيس بمثابة الواعظ، من يمنح الشعور بالارتياح والقوة.**

وعلى ذلك تستخدم النبرة الدينية بشكل تدريجى لتبرير السياسة. ويبدو بوش مقتنعًا بأن الله وحده هو من سمح له بشغل منصبه فى هذه اللحظة الشديدة الأهمية. فى صلواته، كما يقول بوش، يصلى بشكل خاص من أجل القوة لإنجاز مهمته: **«إن الله يدعونا لأن نحمى بلادنا، وأن نقود العالم للسلام».**

إن البيت الأبيض ليس هو فقط قلب وعقل القوة العظمى الأعظم نفوذًا، ولكنه أيضًا يكون فى بعض الأحيان منبع التقوى. حاول العديد من الرؤساء قبل بوش أن يخلقوا انسجامًا ما بين إيمانهم الشخصى وادعاء الولايات المتحدة ممارسة امتيازها الإمبريالى. أخذ چيمى كارتر مسيحيته بشكل شديد الجدية لدرجة أنه كان يعطى أفضلية مؤقتة للانتشار المعتدل لحقوق الإنسان على سياسة المصالح الأكثر قسوة. وبشكل مناقض، استطاع رونالد ريجان - وهو أقل تدينًا من كارتر - أن يُلبس جهوده لنزع سلاح الاتحاد السوفيتى مسحة دينية من الكتاب المقدس، بإطلاق «إمبراطورية الشر» على الاتحاد السوفيتى.

ويبدو چورج بوش جادًا بشأن قضيتين: إيمانه بعيسى المسيح، وإبراز القوة الإمبريالية.

كلما حاول رئيس أمريكى الربط بين ديانته المسيحية والرغبة فى نظام جديد وإحداث تناغم بين دوائر المصالح، كان التشكك هو رد فعل الأوروبيين. إن المرجعية الأمريكية على نحو تجسيدى لـ «القدر المبين - Manifest Destiny» - قدر الولايات المتحدة أن تجلب السلام للعالم من خلال الحرب - هى أمر ليس ملائمًا لفهم الأوروبيين الدنيوى للقوة والسياسة. **ولكن من يفشل فى أن يأخذ جديًا دور الدين فى «بلد الله» (وهى رؤية الولايات المتحدة لنفسها)، البلد الذى تحمل عملته شعار «فى الله نضع ثقتنا»، فإنه يفشل فى فهم أمريكا.**

ومنذ البداية، كانت الولايات المتحدة تأمل أن تكون «المدينة على التل»، المذكورة فى الكتاب المقدس، وهكذا كان يأمل العديد من رؤساء الولايات المتحدة. أرادت أمريكا أن تقدم نفسها للإنسانية جميعًا بوصفها اليوتوبيا الحقيقية، والبشير بأورشاليم السماوية فى نفس الوقت.

إن هذا الادعاء الذى لا حدود له يسيطر أيضًا على السياسة الخارجية. لقد وجدت إدارة بوش تبريرات متعاقبة للحرب على العراق. فى البداية، كانت القضية الحاسمة هى أن هناك علاقة مباشرة بين صدام حسين وأسامة بن لادن، وهو ادعاء ليس له أى دليل، ثم أصبح تغيير النظام هو البديل فى نهاية الأمر، كحجة لتدمير أسلحة العراق للدمار الشامل[1]، وهو وسيلة لتأمين احتياطيات البترول فى الشرق الأوسط ضد ديكتاتور معاد لأمريكا. أو وسيلة لنشر الديموقراطية فى الإقليم بأكمله[2]. ثم جادل الرئيس بأن للعراقيين الحق فى التحرر من الطاغية، قبل أن يعود بشكل نهائى للجدال الأولى غير المبرهن بادعاء وجود علاقة بين «صدام حسين» و«بن لادن».

منذ البداية، أظهر البيت الأبيض القليل من الصبر فى التسامح مع المعارضة والاعتراف بوجهات النظر المعارضة. والآن، أصبحت النتائج المتعاقبة مدمرة نوعًا ما. إن العلاقة بين أمريكا وأوروبا تبدو رديئة على نحو غير مسبوق، كما أن الأوروبيين قد أقحموا أنفسهم فى ترف الانشقاق إلى معسكرين معتمدين فى ذلك على المواقف المتخذة من قبل الدول منفردة تجاه الحرب فى العراق.

إن الصدع الحادث فى حلف الأطلنطى قد أصبح أكثر عمقًا؛ بسبب أن أمريكا ذاتها قد تغيرت. ولكن كيف يبدو الأمر؟ ما الذى يميز المسيحية المؤسسية التى يمنحها بوش الفضل فى منصبه الرئاسى، ولأى الأولويات ينقاد بوش من قبل تلك الأغلبية الأخلاقية؟ ماهى القوى التى تقف وراء چورچ بوش؟ هل هو ببساطة دمية تحركها الأموال الكبرى، كما يشعر العديد من الأوروپيين؟ أم أنه رئيس يعمل بحكم حقه الشخصى كرئيس؟

الميلاد الثانى المزدوج

فى بداية أكتوبر عام ٢٠٠١م، دعا الرئيس بوش خمسة قادة متدينين ـ ثلاثة من المسيحيين، ويهوديًا، ومسلمًا ـ إلى البيت الأبيض. فى هذا اللقاء، أمدهم بالمعلومات

(١) الأمر الثانى الذى ليس عليه أى دليل، وقد اتضح كذب كل من زعم به، إن لم تكن خيانته للأمانة والصدق والمسئولية ـ المترجمة.

(٢) وكما يعلم الجميع، فإن أقوى علاقات للإدارة الأمريكية فى المنطقة، هى مع أكثر الأنظمة استبدادًا وديكتاتورية ـ المترجمة.

عن حالة الحرب ضد الإرهاب، وقال إنه يلوح فى الأفق عدد قليل من المعارك الحاسمة، ثم، وبشكل غير متوقع، طلب منهم الصلاة له. وبطريقته للبوح بأفكاره ومشاعره الذاتية قال: «أنتم تعرفون، بالطبع، أن لدىّ مشكلة إزاء المشروبات الكحولية. لو كانت الأمور قد بقيت على حالها لكنت جالسًا اليوم فى أحد بارات تكساس بدلاً من المكتب البيضاوى. **إن هناك سببًا واحدًا فقط لوجودى فى المكتب البيضاوى وليس فى البار: لقد عرفت طريق الإيمان. لقد وجدت الله**».

من النادر للغاية أن يتحدث بوش عن أيامه حينما كان سكيراً، وهو لا يعترف تقريبًا أبدًا أنه كاد يومًا أن يتسبب فى انهيار حياته. وبرغم، أو ربما بسبب، حقيقة أنه قد تربى وسط الثروة والامتيازات، فإن سيرة حياته حتى بلوغه الأربعين عامًا تبدو مثل دراسة لفاشل على نحو كامل.

لقد سمى باسم والده، الذى كان ناجحًا فى كل أفعاله خلال الحرب العالمية الثانية، والتى تطوع فيها فى سن الثامنة عشرة، كما كان ناجحًا فى ممارسة الرياضة بالجامعة، وفى عالم الأعمال، حيث كسب الملايين من بترول تكساس، وفى السياسة، حيث نجح أن يكون سفيراً للولايات المتحدة إلى الصين، ثم مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية، ثم نائب رئيس، ثم فى النهاية رئيسًا لأمريكا.

اختار چورچ، ابنه الأكبر، الطريق ذاته، ولكنه كان غير سعيد وغير ناجح فى مساعيه لعدد طويل من السنوات. كان طالبًا متوسط القدرات فى جامعة «يال ـ Yale».
وحينما عاد إلى جامعته على الساحل الشرقى التى تضم النخبة، مباشرة بعد تخرجه، ألقى خطابًا عميق التفكير على نحو ملحوظ: «لم يكن لدىّ أية فكرة عما ينبغى أن أفعله فى الحياة حينما تركت هذا المكان. عرفت القليل من الناس ممن لديهم خطة لمستقبلهم، ولكن أصبح من الواضح أن كل أشكال النجاح والفشل تقبع بانتظارنا. إن الحياة تسير وفقًا لتحولاتها الذاتية، تقدم لنا تحديات فريدة، وتكتب تاريخها الخاص. وخلال طريقنا فى الحياة، نبدأ ببطء فى فهم أننا لسنا من نكتب أقدارنا فى هذه الحياة».

على عكس أبيه، لم يصبح أبدًا كابتن فريق البيسبول فى جامعة يال، ولم يكن بطل حرب تقلد الأوسمة. التحق بوش الابن بالحرس القومى لتكساس، حيث تجنب أن يتم إرساله إلى ڤيتنام، ولقد كانت أول محاولة له لاقتحام عالم السياسة بمثابة كارثة.

حينما بلغ بوش عامه السابع والعشرين، كان يقود سيارته وهو فى حالة سكر إلى منزل والديه فى واشنطن. فقد السيطرة على قيادة السيارة، اصطدم بعربات القمامة، انحرف بشكل واسع، لتتدحرج السيارة فى النهاية أسفل الشارع. لقد عنفه الأب، مما أدى فقط إلى إثارة غضبه. هدد بوش الصغير الفاشل على نحو يائس أن يوجه ضربة لبوش الأب الناجح.

أرسل بوش الأب ابنه إلى تكساس على وجه السرعة فى برنامج اجتماعى، حيث كان المطلوب منه مساعدة الأطفال ذوى الحاجات الخاصة - وهو درس فى الشقاء، درس من الحياة الحقيقية. «لم يكن لدينا أية فكرة أنه يعانى إدمان المشروبات الكحولية» قالت والدته باربارا بوش، بعد تلك الواقعة، «التى لم تعن أنه كان نادراً ما يشرب كميات كبيرة من الكحوليات». «جيب» الابن الأصغر لبوش، والأكثر طموحًا، وهو الآن محافظ فلوريدا، كان يعتبر الوريث الحقيقى لأبيه.

فقد چورچ بوش الابن الملايين فى تجارة البترول، حتى اضطر أصدقاء والده إلى إنقاذه من مشاكله المالية، ولم يكن ذلك مرة واحدة، فقد تكرر مراراً. وبعد سلسلة من الأفعال المخزية والتى دعمت فيه فقط شعوره بالدونية، بدأ فى إدمان المشروبات الكحولية: البيرة، البوربون أون ذاروكس، والنبيذ. استمر ذلك حتى السابع والعشرين من يوليو ١٩٨٦م، حينما احتفل بعيد ميلاده الأربعين مع الأصدقاء والكثير من الخمور.

فى اليوم التالى، كان يشعر بدوار شديد من أثر الخمور، فأقسم أن يمتنع عن تلك المشروبات منذ ذلك اليوم فصاعداً. تقول زوجته لورا: إنه كان متردداً فى تنفيذ هذا القرار لمدة عام، ولكنه كان يرتد إلى معاقرة الخمر. فى أحد الأيام، فى نهاية أسبوع طويل من حفلات الشرب الصاخبة، استيقظ ثم نظر فى المرآة إلى القىء الذى يغطى وجهه. **جثا على ركبتيه داعيًا الرب أن يساعده. إن أمريكا لتحب مثل هذه القصص، قصة عودة الابن الضال.**

تضمنت عملية إعادة تأهيله علاجًا روحيّا على يد بيلى جراهام، النجم الأكبر لحركة الميلاد الثانى المسيحية، الرجل الذى تزدحم من أجله قاعات الاستماع فى الكثير من الدول. هذا الواعظ ذو الشخصية الكارزمية كان يزور بوش فى بيته الريفى فى كينيبانكپورت للصلاة مع أسرة بوش وأصدقائه، وللحديث عن الله والعالم. فى

البداية لم يكن بوش الابن متحمسًا بشكل خاص، ولكنه بعد ذلك أصبح مهتمًا بشكل متزايد، **حتى قال فيما بعد: «إن جراهام زرع بذور الخردل فى قلبى، وبدأت أتغير»**.

ربما كان قرار الإقلاع عن المشروبات الكحولية بشكل ما أول قراراته المستقلة والمهمة. على الرغم من ذلك، فلم يكن قادرًا بشكل واضح أن يمنح لنفسه الفضل الكافى لإنجاز هذا التغير المفاجئ فى سلوكه بنفسه، وبدلاً من ذلك كان يشعر أن هناك قوة عليا جديرة بالشكر. منذ هذا الوقت، **أصبح واحدًا من ٦٠ مليون أمريكى يرون أنفسهم بوصفهم «مسيحيين مولودين من جديد»، ويعترفون بالفضل لربهم؛ لأنه أصلح من شأنهم. قال بوش - بشكل عرضى -: إنه يعتبر المسيح واحدًا من أكثر الفلاسفة السياسيين أهمية فى كل العصور؛ «لأنه ساعدنى فى الإقلاع عن الخمر»**.

منذ ذلك الوقت، كان الابن أكثر نجاحًا فى اتباع خطوات والده. فى البداية رشح لمنصب حاكم تكساس لفترتين من الحكم، ثم فاز فى أكثر المعارك الرئاسية نزاعًا فى تاريخ البشرية.

كما يتذكر تونى إيڤانز، واعظ تكساس وأحد مستشاريه الروحيين: «إن دروس الكتاب المقدس كانت سببًا وراء قراره لخوض الانتخابات الرئاسية. إنه يشعر أن الله يتحدث إليه». ومنذ ذلك الحين، كان بوش يعرّف عمله بوصفه مهمة: «إننى مقتنع أننا يجب بشكل أساسى ودائم أن نغير ثقافتنا بأكملها، إننا بحاجة إلى تجديد روحى فى أمريكا».

أصبح الرجل الذى كان يذهب للكنيسة بشكل عرضى، رجلاً تقيًا، رجلاً يمارس نظامًا قاسيًا فى البيت الأبيض، ويقتبس الفقرات المناسبة من الكتاب المقدس ويدمجها فى أجندته اليومية. إن هذا السكير الذى كان يفتقد الشعور بالأمان قد أصبح رئيسًا، يمكن أن يكون مماثلاً لعامة الشعب الأمريكى بشكل دقيق بسبب قدراته العادية، قابليته لارتكاب الأخطاء، وإخلاصه.

كان الميلاد الثانى لچورج بوش فى الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م. إلى ذلك اليوم، لم يكن له اتجاه محدد، لم تكن له متطلبات كرئيس محاط بمن هم أفضل وأكثر ذكاءً وليس لديهم مشكلة فى أخذ الدور الأهم والمركزى، وهو أمر لم يكن يفكر فى

تحديه . لقد كانت ـ فقط ـ الهجمات القاتلة على نيويورك وواشنطن هى التى منحت لرئاسته اتجاهًا وهدفًا . لقد حولت تلك الهجمات الموظف الرئاسى فى البيت الأبيض، والذى كان معتادًا على الظهور بشكل نادر، والمتمتع بثروته غير المتوقعة، إلى رئيس يريد أن يدافع عن مصالح أمته .

وقد لاحظ رؤساء الدول هذا التغيير فقط فى الفترة التالية على الحادى عشر من سبتمبر، حينما وصلوا لتقديم العزاء والاستفهام عما حدث . بالنسبة لهم، لم يعد چورچ بوش منذ ذلك الوقت، الرئيس قليل المعلومات، غير المهتم، خفيف الثقل سياسيًا . على الرغم من أنه ظل بمنأى عن المعلومات الوفيرة، والخبرة الحياتية، واستمر مشوشًا على نحو غريب فى علاقته باللغة، بالإضافة إلى مواجهته لصعوبة فى الاعتماد على ذاكرته، ولكن أصبح موقفه منذ ذلك الحين واضحًا لا يلين : من ليس معنا فهو ضدنا .

الرئيس بوش قليل الثقافة، أصبح قائدًا أعلى للقوات المسلحة وذا عزيمة ماضية

الحرب، بالنسبة لبوش المتحول، هى امتداد للسياسة باستخدام وسائل مختلفة . من ناحية، يبدو ملهمًا بتفاؤل نابع من قوة أمريكا العسكرية . من الناحية الأخرى، هناك رؤية تشاؤمية تبدو مرئية بين الوقت والآخر، رؤية تعترف بأنه على الرغم من تفوق أمريكا، فإنها يجب أن تعد نفسها بشكل غير مسبوق لهجمات إرهابية جديدة .

وحينما واجه بوش هذه الورطة، اختار الأسلوب الأكثر خطورة كلما كان ذلك ممكنًا . إن الرئيس قليل الثقافة قد أصبح قائدًا أعلى للقوات المسلحة بشكل حاسم وفعلى . أصبح رجلاً مخلصًا لمهمته، يعمل وفقًا لقواعد عقيدته الدينية .

حينما قام بزيارة مدرسة فى كراوفورد ـ مدينة صغيرة بـ «تكساس» بالقرب من مزرعته ـ سأله أحد الطلبة عما إذا كان يتخذ قراراته بسرعة دون الحاجة إلى الكثير من الوقت فى التفكير بشكل جدى فيها؟ . «أعرف ما أؤمن به»، أجاب بوش بنبرة جادة

ولكنه كان غائب الذهن، «وأعرف إلى أين أريد أن أقود هذه البلاد. لكى أكون صريحًا معك، لا أجد أية مشكلة فى اتخاذ قراراتى».

إن إحدى الصفات المتعلقة بـ «رونالد ريجان» والتى يشكل وريثه السياسى الحقيقى نفسه عليها بشكل متزايد، والتى كان لها الانطباع الدائم على بوش هى «مسألة الرؤية» شجاعة أن تكون لك رؤية.

تمامًا كما تنبأ ريجان على نحو رائع بنهاية «إمبراطورية الشر»، يتنبأ بوش أيضًا بسقوط أسامة بن لادن والعراق. المشكلة الوحيدة هنا أن ما تنبأ به ريجان قد حدث بشكل أوتوماتيكى عام ١٩٩١م، بينما لن يختفى صدام ولا الإرهاب من تلقاء أنفسهما. يؤمن بوش بشكل صارم، بالرغم من ذلك، بوهم كاذب أن أمريكا تستطيع أن تفرض الحلول النهائية بفضل قوتها وتفوقها العسكرى المهيب.

إن عبارة «محور الشر» والتى نسخت بشكل ما بالمصادفة - وهى تقليد لمقولة ريجان بما تحملها من مفاهيم - تبدو لائقة تمامًا بهذه الرؤية العالمية المهووسة، هذه الرؤية التى تقسم العالم إلى أصدقاء وأعداء فقط. فى الحقيقة، منذ عام مضى، لم يكن هناك فى الواقع سبب حقيقى لوضع إيران وكوريا الشمالية فى مرتبة العراق. كان بوش - على الرغم من ذلك - فخوراً بإبداعه هذا، والذى سرعان ما ثبت أنه خطأ كارثى.

إن للعراق أهمية ثانوية، إذا ما قورنت بكوريا الشمالية. إن حقيقة أن كيم جونج يمتلك قنبلة أو اثنتين من القنابل النووية التى يمكن أن يصل مداها لكاليفورنيا، كما أكد چورچ تينيت مدير الاستخبارات الأمريكية مؤخراً فى مجلس الشيوخ، تجبر أمريكا على خوض مفاوضات دبلوماسية عاجلاً أو آجلاً، بدلاً من السماح لها بمعاقبة تلك «الأمة الحمراء» على وجه السرعة، كما يتطلب منهج بوش الجديد بشكل طبيعى. وحيث ترى الولايات المتحدة إيران الآن، والتى تسعى أيضًا لحيازة أسلحة الدمار الشامل، يحكمها نظام يقع فى منطقة وسط، بين نظام الملالى وإدارة الإصلاح، فقد تبدد «محور الشر» خلال عام واحد.

ما تبقى، على الرغم من ذلك، هو صدام حسين والعراق. ما تبقى أيضًا هو اهتمام أمريكا الاقتصادى باحتياطيات البترول الضخمة وبتدمير اتحاد منظمة الأوبك. يلعب كل ذلك دوراً مهمّا، ولكن خطط بوش للحرب لا يمكن أن تلخّص فى تلك القضايا وحدها. إن بوش مثال بارز لرأسمالية الصديق الأمريكى، حيث يصنع الأصدقاء الكثير لبعضهم البعض، والتى ترى التحكم الفعّال فى سوق الأسهم أمراً بغيضًا. على الرغم من ذلك، فإن هناك جذوراً أعمق لمهمته، حيث تستمد راديكاليتها من الورع الذى يرجع أيضًا لتقاليد عريقة فى أمريكا.

الرؤساء الدينيون يمكنهم أن يجعلوا العالم أسوأ مكان للحياة فيه بسبب فشلهم المذهل فى تطويره

فى هذه الأثناء، فقدت الشائعات القائلة إن «بوش» لا يمارس الحكم، ولكنه يستخدم أناسًا آخرين فى ذلك، مصداقيتها. فى الحقيقة، لقد استخدم بوش النظام الرئاسى حرفيًا: لقد احتفظ لنفسه بالصورة الكبيرة، مفوضًا دونالد رامسفيلد، كولن باول، وكوندوليزا رايس للإدلاء بالتفاصيل.

لقد أصبح تشينى - نائب الرئيس - مستشاراً موثوقًا به، أكثر من كونه رئيس الوزراء الذى كان قبل الحادى عشر من سبتمبر، ولكنه - فى النهاية - يستمد سلطته من إخلاصه غير المحدود. يراه العامة بوصفه من يلعب دور الناطق باسم الرئيس، الرجل «ذى العزيمة والحس بالواجب» وهى الصفات التى يحاول إبرازها، إن قدراته الشخصية القوية تلك قد اكتشفت فى وقت متأخر.

لقد أكد بوش ميلاده الجديد الأول بحقيقة أنه على الرغم من نقصان الموهبة، فإنه كان يطلب منه فعل أشياء عظيمة الشأن. إن الميلاد الجديد الثانى قد طرح هذا الإيمان بالقدر إلى العالم الضخم. يمكن للرؤساء الضعفاء أن يشكلوا خطراً؛ لأنهم يطلقون العنان بشكل حر لتابعيهم. على الرغم من ذلك، يمكن للرؤساء الدينيين أن يصنعوا من العالم أسوأ مكان للحياة فيه؛ بسبب فشلهم المذهل فى تطويره.

الرئيس هو انعكاس مثالي للدولة التي يحكمها. تشارك أجزاء واسعة من الولايات المتحدة الرئيس ورعه المعلن والصريح. نسبة تزيد على ٩٥ بالمائة من مواطني الولايات المتحدة (بناء على استطلاع رأى) يؤمنون بالله، بينما تعتبر نسبة متضائلة نفسها من الملحدين.

نسبة الكنائس ومعابد اليهود والمساجد لكل فرد في الولايات المتحدة تفوق نسبتها في أية دولة أخرى على وجه الأرض: هناك بيت عبادة لكل ٨٦٥ شخص[1]. وفي تلخيص لنتائج استطلاع رأى أجرى في مايو، يذكر معهد جالوب أن «هناك تطلعًا عميقًا للدعم الروحي - جوع لله».

وبشكل مناقض لأوروبا، تريد أمريكا بوضوح أن تثبت أن الحداثة لا تؤدى إلى الإلحاد.

يزعم الأمريكيون أن ٥٠٪ منهم يذهبون إلى الكنيسة على الأقل مرة في الأسبوع، بينما نجد في أوروبا الغربية عشرين بالمائة من السكان - على أقصى تقدير - يحضرون بشكل منتظم الصلوات الدينية، بينما تصل هذه النسبة في أوروبا الشرقية إلى ١٤ بالمائة.

يجعل مثل هذا الإلحاد الناس في الولايات المتحدة، يلوحون برءوسهم، دعمًا لاعتقادهم أن أمريكا بالفعل هي «بلاد الله». إنه اعتقاد له جذوره التاريخية، التي بدأت مع الكالڤينيين[2]، الذين عبروا الجزر البريطانية على متن «مايفلاور» ونزلوا بكيپ كود عام ١٦٢٠م. لقد اعتبر هؤلاء «الحجاج» أنفسهم لاجئين من عالم إلى دولة دينية ذات سلطة ونفوذ، ومنذ ذلك الوقت فإن الرغبة في الحصول على البركة الإلهية - لكل حسب طريقته الخاصة - قد أصبحت حجر الزاوية في الورع الأمريكي.

(١) في مصر، هناك مسجد لكل ١٨٠٠ مسلم، وكنيسة لكل ١٧٠٠ مسيحي.

(٢) أتباع كالڤين اللاهوتي البروتستانتي (١٥٠٩ - ١٥٦٤م) الفرنسي المولد، والذي أسس «مدينة الله» في چينيڤ السويسرية - المترجمة.

إن مثل هذا الإيمان الفردى، بالإضافة إلى الفصل بين الكنيسة والدولة المنصوص عليه فى الدستور، قد منعا من تطوير فكرة دولة الديانة الواحدة، وأنعما على البلاد بحوالى مائتين من الكنائس المختلفة حتى الآن، حيث أكثر من ٩٠ بالمائة منها مسيحى.

ولكن الجماعات الدينية التابعة للمؤسسة البروتستانتية القديمة تفقد تأثيرها؛ لأن رعاياها يتناقصون. «كلما كانت الجماعة الدينية ترى بوصفها ليبرالية، فقدت أعضاءها» كما يلخص عالم الاجتماع كين سانتشاجرين حينما كان يقدم آخر إحصائياته حول الدين بين الأمريكيين. «**إن الكنائس التى تنمو بسرعة أكبر هى تلك ذات التوجهات المحافظة**».

وهكذا، يتم استنزاف خزائن الكنائس اللوثرية[١]، والمشيخية[٢]، والمنهجية (الميثودية)[٣]، بينما يجذب المبشرون بالكنيسة الحرة من خلال شاشات التليفزيون، والساحات الرياضية لإحيائيى الدين، وكنائس المورمون[٤] بأبراجها العالية، جماهير هائلة بشخصياتهم الكاريزمية.

إن من يقومون بالصلاة هناك هم من منحوا أصواتهم لبوش مثل كنيسة بيل ڤيو المعمدانية الواقعة فى بيج سبرنج آڤينيو فى ميدلاند، تكساس، حيث عاش الرئيس طفولته. تعد بيل ڤيو كنيسة محافظة، حيث رعاياها حصريًا من البيض. حتى الرجل الذى فى البيت الأبيض، يتحسر على حقيقة أن الكنائس البروتستانتية فى الولايات المتحدة لا تزال تمارس التمييز العنصرى. إنه يشجب حقيقة أن أمريكا هى صورة

---

(١) نسبة للمصلح الدينى لوثر ١٤٨٣ـ١٥٤٦م ـ المترجمة.

(٢) أنشأها چون نوكس فى سكوتلاندا فى منتصف القرن السادس عشر، بناء على آيات أعمال الرسل: ٢٠ـ ١٧، ٢٨، الرسالة إلى تيطس: ١: ٥ـ٧». . وتقوم شيوخًا فى كل مدينة مثلما أمرتك» فيحكم الكنيسة المشيخية «الشيوخ» كبار السن، متساوون وليس عليهم أسقف، وإنما جمعية عمومية تدير الكنيسة.

(٣) أتباع الحركة الدينية الإصلاحية التى قادها فى أكسفورد عام ١٧٢٧م تشارلز وچون ويزلى محاولين إصلاح كنيسة انجلترا ـ المترجمة.

(٤) طائفة دينية أمريكية، أنشأها چوزيف سميث عام ١٨٣٠م، على اعتبار أنه نبى. ومنذ وفاته حتى اليوم ظهر أنبياء متتالون للطائفة. ويتميز أتباع الطائفة بالاستقامة والجدية، فهم لا يشربون الخمور ولا يدخنون، ولا يقيمون علاقات جنسية خارج الزواج، وإن أباحوا تعدد الزوجات. وبالطبع لهم كنائسهم، وجامعة بريجهام يونج المشهورة ـ المترجمة.

حقيقية للعزل العنصرى الكامل، بشكل غير مسبوق، فى أيام الآحاد فى الساعة الحادية عشرة صباحًا، وهو التوقيت التقليدى للصلاة فى الكنيسة.

ذلك لا يهم القس آندرو ستيوارت. إنه يصلى لله القادر أن «يدمر أعداء الأمة للأبد»، وأن يغدق بنعمه على «رئيسنا، الصديق والتابع چورچ ووكر بوش ابن تكساس». إن الرب، كما قال القس فيما بعد، ينبغى أن «يقود رئيسنا ضد أعدائنا».

إن الكنائس ذات المعتقدات البسيطة هى التى تجذب عددًا أكبر من الجماهير، الكنائس التى تعظ الأمريكى المهذب والمتحلى بالأخلاق حيث كلام الكتاب المقدس لا يمكن تفنيده، ولا يمكن أن يخفف من قبل اللاهوتيين الليبراليين الذين يعتبرون المعتقدات القديمة من الأمور التى لا يمكن إدراكها. **«امنحنى تلك الديانة القديمة» هو أحد التراتيل المفضلة لدى تلك الكنائس.**

فى كنيسة توماس رود فى لينشبرج، ڤرچينيا، هناك ألفان من المؤمنين الذين يتقابلون كل أحد، ليس فقط للصلاة لربهم، ولكن أيضًا للاحتفال بأنفسهم بوصفهم أغلبية أخلاقية، بوصفهم نواة أسرية، بوصفهم أمريكا النظيفة. تجلب الأسر الشابة مواليدها إلى مقدمة صفوف الكنيسة لكى يباركهم القسيس، وهو أمر لا زال چيرى فالويل[1]، ٦٩ عامًا، الذى لم يفقد بعد ابتسامته الملائكية، سعيدًا بالقيام به. ينبغى أن يتأكد القائمون على التليفزيون البروتستانتى الشهير أن الكاميرات تركز فى لقطات قريبة على الأعضاء الشباب من رعايا الكنيسة، حيث يذيع صورهم للملايين من المشاهدين الذين يجتمعون كل أحد لمشاهدة برنامج فالويل الذى يحظى بأعلى معدلات المشاهدة.

لا تقتصر المواعظ لتجمعات الأصوليين والإحيائيين من اليمين المسيحى على منح النصيحة بخصوص الحياة الرائدة التى يوافق عليها الرب. فى أمريكا الشمالية، أصبحت البروتستانتية الإيڤانجليكية المحافظة منذ وقت بعيد هى القوة الحاسمة فى الفوز بالانتخابات. بعد الانتخابات الأخيرة اشتكى كارل روڤ، واضع الخطط

(١) أسس القس چيرى فالويل «الأغلبية الأخلاقية» عام ١٩٧٩م، لنشر الأخلاق المسيحية التقليدية، وفى السياسة الخارجية فأچندته أن تتفوق أمريكا فى السلاح النووى على العالم كله استعدادًا لهرمجدون، وإسرائيل دورها محورى، فقد وعد الرب إبراهيم وأبناءه بأرض إسرائيل، وهم الشعب المختار الذى يبارك الله من يباركه ويلعن من يلعنه، وسيعود المسيح ليحكم العالم من أورشليم. يشاهد برامجه حوالى ٢٠ مليون أمريكى ـ المترجمة.

الرئيسى لـ «بوش» من أن السبب الأساسى لعدم فوز الرئيس بأغلبية الأصوات هو أنه خسر أقل من ربع أصوات الناخبين من المسيحيين الأصوليين. إن هذا، طبقًا لما قاله وينج، ينبغى ألا يحدث ثانية.

لا شيء هناك يعظ به أتباع فالويل فى أمريكا أكثر من عصمة الكلمات الواردة فى الكتاب المقدس. يظهر هذا على السطح بوصفه جزءًا من الخطاب اللاهوتى على مدى قرون ماضية. فى الحقيقة، هذا الموضوع المرهق هو ببساطة تعبير عن المعركة الثقافية التى لا زالت محتدمة بشدة حتى الآن. يشعر الأصوليون الأمريكيون الورعون أنهم ضحايا تحول ثقافى جذرى أسفر عن إعادة تقييم للقيم منذ الستينيات. إن أعداءهم هم الليبراليون، وهى كلمة ليست فقط مصطلحًا ازدرائيًا بين أعضاء منظمة اليمين المسيحى، بل أصبحت منذ ذلك الحين مرادفة للخائن لوطنه: المدافعون عن حقوق المرأة، الشواذ، اليساريون، هؤلاء المناصرون للإجهاض، ومعارضو التسلح، أو باختصار، هؤلاء الرعاع الملاحدة المسئولون الآن عن حقيقة أن الرب غاضب على بلاده، وأنه اختار، من بين كل الناس، أسامة بن لادن، كوسيلة لإلحاق غضبه الشديد على هذه البلاد. يؤمن القس فالويل أن الحادى عشر من سبتمبر هو عقاب الرب لخطايا شعبه.

إن الوقاية الوحيدة من عقابه هى الإخلاص المطلق لكلمة الله، التى يمكن أن تميز بين الخير والشر، تُعَلِم النساء أن يكن خاضعات، وتعلم الأطفال أن يحترموا الكبار.

بالطبع، مثل هذا الإيمان الحرفى هو انتقائى بدرجة كبيرة.. ويتعرض القسيسون المحافظون للسخرية بواسطة استطلاعات الرأى الماكرة عن طريق الإنترنت والتى تسأل، على سبيل المثال، عما إذا كان يمكن للمؤمن الحقيقى أن يستعبد كلاً من المكسيكيين والكنديين؟. على أية حال، فقد ورد فى سفر اللاويين من الكتاب المقدس، الفصل الخامس والعشرين الآية ٤٤، أنه يسمح بالعبيد فقط حينما يتم الاستحواذ عليهم من الشعوب المجاورة. «وليكن عبيدكم وإماؤكم من الشعوب التى حولكم منها تقتنون عبيداً وإماء» سفر اللاويين ٢٥: ٤٤.

سمحت الثقافة الأصولية التى تزرعها الكنائس المخلصة للكتاب المقدس لنفسها أن تكون محاربة وغير متسامحة، بشكل أكبر، خلال العشرين عامًا الماضية. إن كلمة

المؤمنين بالمزامير، أن الرب «سوف يسحق رءوس أعدائه» قد توقفت بكل تأكيد عن كونها مقولة عفا عليها الزمن. حتى كلمات «بن لادن» ينبغى أن تنتج حسًا عاطفيًا بالارتباط الروحانى مع المتعصبين البروتستانت. على أى حال، اتخذ كثير من الوعاظ الأصوليين موقف نبى الإرهاب هذا، والذى طبقًا لأقواله، كانت تلك الهجمات بداية **«حرب مقدسة ضد الإلحاد والملحدين».**

كانت الكنائس الراديكالية تجهز لهذه الأرضية منذ وقت طويل. من يشجب الإجهاض بوصفه «هولوكوست ضد الأطفال التى لم تولد بعد» لا ينبغى أن يندهش حينما ينتهى الأمر بالمحاربين المقدسين الذين يتم تحريضهم، **فيشعلون النيران فى عيادات الإجهاض أو يقومون بإطلاق النار على الأطباء الذين يقومون بعمليات الإجهاض.** يتم تدعيم ذلك بنفس المنطق الذى يعظ به «بن لادن»، وهو منطق قديم قدم الزمان: من يُردْ تخليص نفسه من اللعنة، فعليه أن يحارب «الشر» دون أى حلول وسط، **فمن ليس معى فهو ضدى.**

إن الرئيس، الذى يشعر شخصيًا بالسعادة لاستخدام مثل تلك المفردات، قد حذر مرارًا من الخلط بين إرهاب الجماعات الإسلامية المسلحة وبين الإسلام ذاته. ولكن العديد من حلفائه الورعين لا يشاركونه وساوسه. جراهام فرانكلين، ٥٠ عامًا، هو ابن الواعظ الشهير الذى قاد ذات مرة الابن الضائع إلى طريق الفضيلة. فى الوقت الحاضر، **تولى جراهام العمل الدينى من والده، ذلك العمل الذى أكسبه ١٢٦ مليون من الدولارات عام ٢٠٠٠م. الأكثر من ذلك أنه، قام بأداء الصلاة الافتتاحية فى حفل تنصيب من كان تحت حمايته والذى أنقذه ذات مرة.**

لا يتفق فرانكلين جراهام بالتأكيد مع الرئيس. إن تحديد اللوم لديه يتخذ شكلاً أكثر راديكالية بكثير. **إنه يرى أن الإسلام كله «دين شرير على نحو استثنائى وبشكل يستحق التوبيخ». «ليس نحن من قمنا بمهاجمة الإسلام»، يقول وهو يعظ الكهان، «ولكن الإسلام هو من قام بمهاجمتنا».**

أعلن زميله چيرى ڤينس، الراعى الرئيسى للكنيسة البروتستانتية الأولى فى چاكسونڤيل بفلوريدا، والرئيس السابق لمنظمة ذات نفوذ تدعى الميثاق البروتستانتى

الجنوبي، في اجتماع للقساوسة البروتستانت: **«لقد أسست المسيحية من قبل ربنا المسيح عيسى، ابن الله الذى حملته العذراء. بشكل مناقض، فقد تأسس الإسلام على يد محمد، الذى كان يحمل رغبة جنسية فى الأطفال، وكانت تستحوذ عليه الشياطين وكان له اثنتا عشرة زوجة - حيث كانت الأخير تبلغ من العمر تسع سنوات»**. أرعد الراعي الرئيسى للكنيسة بصوت أنبياء العهد القديم قائلاً: «وسأخبركم، الله ليس هو يهوا[1]. إن يهوا لم يحول بعد أى شخص إلى إرهابى»[2].

يلاقى مثل هذا الحديث الحماس بين الزبائن المجهزين لشن حرب صليبية، التابعين الذين يعظهم هؤلاء القساوسة الأمريكيون الغاضبون بكلمات «النبى يوئيل»، الذى دعا قومه لأن «اطرقوا سكك محاريثكم وحولوها إلى سيوف، ومناجلكم إلى رماح، وليقل الضعيف: إننى جبار قتَّال».

سيكون من السهل نسبيًا لبوش أن يتغلب على حقيقة أن الكنيسة الكاثوليكية تكتب خطابات رعوية لأبناء إبرشيتهم ضد الحرب فى العراق، وأن طوائف السود تتظاهر ضد التعبئة العسكرية فى الخليج. لا ينبغى أن يكون بوش قلقًا بشكل خاص من أن القساوسة الكبار فى كنيسته المنهجية قد أدانوا تحرك إدارته باتجاه خيار الحرب، طالما أنه يعرف أن «اليمين المسيحى» يقف إلى جانبه، فيمكنه أن يصور الحرب فى العراق بوصفها جزءًا من معركته ضد الشر، وبالتالى، كفعل دينى ورع يسعد الرب.

منذ هجمات الحادى عشر من سبتمبر، تفجرت شعبية عودة سفر الرؤيا ليوحنا فى الكنائس الأصولية فى أمريكا. وفى ضوء الحملة على صدام، لا يخجل المفسرون ذوو التفكير السطحى للكتاب الأخير من العهد الجديد من المحاولات غير الملهمة لربط هذا الموضوع المحير من الكتاب المقدس بالحوادث الجارية اليوم. **بالنسبة لهم، تمثل الأمم المتحدة الصيغة المفضلة للمسيح الدجال، حيث تعلم الفقرة (١٧ : ١٣) من سفر الرؤيا أن ملوك الأرض «يتفقون فيها برأى واحد أن يعطوا الوحش قوتهم وسلطتهم» - رؤيا**

(١) استخدم الراعى كلمة «الله - Allah» التى يستخدمها المسلمون، فى مقابل «يهوا - Jehova» المستخدمة فى العهد القديم من الكتاب المقدس للدلالة على الله عند اليهود والمسيحيين - المترجمة.

(٢) كذلك أعلن چيرى فالويل أن محمداً إرهابى، بينما قال پات روبرتسون - القس صاحب إمبراطورية الدعوة، والذى رشح نفسه للرئاسة آخر ثمانينيات القرن العشرين - قال: محمد لص وقاطع طريق - المترجمة.

يوحنا (١٧ : ١٣). كما أن البابا، وهو معارض أيضًا للحرب، يعاقب بوصفه «عاهرة بابليون» لأن طبقًا لـ «بابل الزانية الكبرى» من رؤيا يوحنا، يقع عرشه على «سبعة جبال». «ولا بد هنا من فطنة العقل: الرءوس السبعة ترمز إلى التلال السبعة التى تجلس عليها (زانية بابل)، وترمز أيضًا إلى سبعة ملوك». إن حقيقة أن الاتحاد الأوروبى قد نشأ كنتيجة لاتفاقيات روما يجعل من أوروبا كلها أداة للشيطان.

إن مجرد الضحك ببساطة على مثل هذه النفايات يغفل عن أهمية نفوذ الجناح العسكرى لمنظمة اليمين المسيحى. **إن العديد مقتنعون بالتأكيد أن الأعمال الهجومية على نيويورك وواشنطن قد بدأت العملية التى سوف تقود إلى نهاية العالم، عودة السيد المسيح، وبزوغ حكم الله الموعود لألف سنة. حينما يسمع هؤلاء المتدينون رئيسهم يتحدث عن «محور الشر»، فإنهم يقتنعون أنه يتحدث بلغتهم الخاصة، أنه، مثلهم تمامًا، محارب مقدس.**

هذا التوجيه للإيمان بالآخرة عند اليمين المسيحى يصبح واضحًا بشكل خاص فى علاقته بإسرائيل.

فى وقت ليس ببعيد، فى عام ١٩٨١م تسبب المبجل بيلى سميث، الرئيس السابق لمؤتمر الجنوب المعمدانى فى فضيحة حينما أعلن: «إن الله لا يستمع لصلوات يهودى».

الآن، يحتفل ١٢٠٠ مسيحى بروتستانتى بعيد الفصح اليهودى فى مركز ڤيرنر ڤون براون فى هانستڤيل، ألاباما. وقد أرسل جارى بوير، وهو أحد القادة السياسيين على مدى عقود لليمين المسيحى، ١٠٠ ألف رسالة إلكترونية يوميًا للتابعين المخلصين، وفيها يناصر الاتجاه المتشدد الذى يتخذه رئيس الوزراء آرييل شارون. وطبقًا لبوير، فإن التزام أمريكا بمساندة إسرائيل هو من أحد الوصايا العشر الواردة بالكتاب المقدس: **«يؤمن المسيحيون الإيڤانجليكيون أن الله قد وعد الشعب اليهودى بتلك الأرض».**

إن هذا الاتحاد غير المعتاد بين اليمين المسيحى والمؤيدين الأمريكيين لشارون ليس من باب إيثار الغير بشكل كامل. فبالنسبة لهم، وجود دولة إسرائيل هو شرط لظهور المسيح الدجال، واشتعال المعركة الأخيرة فى هرمجدون بين الخير والشر، وعودة المسيح **(أحد المعتقدات الدينية التى يفضل اليمين المسيحى ألا يذكرها، هو أن المسيح سوف يقوم عند ظهوره بإلقاء كل اليهود الذى يرفضون الاعتراف به فى جهنم)**. وطبقًا

لمسح شامل أجراه القس الشهير هال ليندساى بين المسيحيين الذين يشيرون لأنفسهم بأنهم «ولدوا من جديد»، **يتفق ٧٢,٥ بالمائة مع مقولة: «أؤمن أننا حاليًا نواجه بداية حرب سوف تؤدى إلى ظهور المسيح الدجال وهرمجدون»**.

إن هذا الدعم من قبل حشود المسيحيين الراديكاليين، يرحب به بشكل خاص المحافظون الجدد الذين يشكلون جزءًا مهمًا من القيادة المدنية فى البنتاجون. لقد بدأ كل من بول ولفويتز نائب وزير الدفاع وريتشارد بيرل مستشار البنتاجون عملهما السياسى مع الديموقراطيين، وقد تشكلت آراؤهم بتأثير من السيناتور الأسطورى هنرى «سكوب» جاكسون، أحد الأصدقاء المفوهين لإسرائيل فى الدوائر السياسية الأمريكية. يعملون بنجاح فى هذه الأيام، بالإضافة إلى واجباتهما الرسمية، باتجاه إبعاد الناخبين اليهود عن بيتهم السياسى التقليدى، وهو الحزب الديموقراطى، وجلبهم إلى الحزب الجمهورى. بينما كان بوش الكبير سيئ السمعة بين اليهود الأمريكيين كرئيس يحمل رؤية متشككة عن إسرائيل، **فإن ابنه يعد الآن حليفًا قويًا للمتشددين فى سبيل إسرائيل**. إن بيرل وولفويتز، المعروفين باسم التدليل كوشير ونوسترا[1] فى البنتاجون، لا يقومان فقط بالحث على الحرب ضد العراق؛ لأنها يمكن، افتراضيًا، **أن تصبح علامة على الإصلاح الديموقراطى فى العالم العربى، ولكنهما أيضًا يريان الإيقاع ببغداد كطريق لحماية الأرض المقدسة فى عالم من الأعداء، وبالتالى كشرط للسلام الحقيقى فى الشرق الأوسط**.

«يجب أن يعاقب الشر وأن يكافأ الخير. لقد جاء زمن استخدام القوة»

يساندهم من كل قلبه اليمين المسيحى، مثل مؤتمر معمدانيى الجنوب الذى يمثل بكنائسه التى تبلغ ٤١,٥٠٠ وأعضائه البالغين ١٥,٩ مليون عضو، قلب الأصولية الورعة. على سبيل المثال، فى مقالة طويلة لريتشارد لاند، رئيس لجنة الأخلاق

(١) كلمتان عبريتان تعنيان: شرعى، غامض.

والحرية الدينية بين جماعة معمدانيي الجنوب، شرح السبب وراء إيمان جماعته الدينية بأن الحرب ضد صدام هى حرب عادلة. ووصل إلى استنتاج أن قادة الكنائس الأخرى مثل البابا چون پول الثانى، يجدّفون على الله بكل تأكيد. كتب لاند: **«إن شن حرب عادلة هو فعل ينم عن الرحمة المسيحية. يجب أن يعاقَب الشر، وأن تمنح الخير مكافأة. لقد جاء وقت استخدام القوة»**.

على الرغم من ذلك، وبرغم الصلة الروحيـة مع الرئيس، لا يمكن رؤية الأمـر وكأن **البيت الأبيض فقط مكان للصلاة، ولكن تتبع إدارة البيت الأبيض بوضـوح سياسات القوة الإمبريالية**.

بينما تحتاج راديكالية بوش الإيمان الدينى كتبرير لها، نجح كلّ من المتشددين دونالد رامسفيلد وريتشارد تشينى دون الإشارة إلى الكائن الأعلى. بالنسبة لهما، فإن ادعاء الولايات المتحدة الخاص بأنها القوة العظمى الوحيدة فى العالم هو تبرير كاف. رامسفيلد وتشينى هما أصوليان فيما يتعلق بالسلطة، فهما يستغلان الحماسة الدينية للرئيس، ورغبته فى أن يحول الآخرين للمسيحية، لتحقيق أهدافهما الدنيوية بأقصى درجة ممكنة.

لا يترك كلّ من رامسفيلد وتشينى أى شك حول أولوية العمل السياسى، وقد خدم الاثنان العديد من الرؤساء على مدى ٣٥ عامًا. كلاهما فكر فى خوض الانتخابات الرئاسية للفوز بالبيت الأبيض، ولكنهما اختارا ألا يقوما بذلك. لقد أصبح الاثنان يتمتعان بثراء هائل، أحدهما بوصفه رئيس مؤسسة للأدوية، والآخر بوصفه المدير التنفيذى لأكبر شركة لخدمات البترول فى العالم، والتى تدعى هاليبرتون. لقد عاد الاثنان لممارسة السياسة فى سنواتهما الأخيرة، وكلاهما يعد سياسيًا قويًا مخلصًا يمكن أن يستغل كل الوسائل ويضعها تحت تصرف أمريكا، إذا ما اقتضى الأمر.

كان الصقران يفضلان استخدام القوة لشن ضربة وقائية مبكرة ضد صدام. على الرغم من ذلك، فقد عارض كولن پاول، مدعمًا بسمعته القوية، هذا الأسلوب. إنه أيضًا شخصية محنكة سياسيًا من واشنطن، وقد اختار أيضًا ألا يخوض الانتخابات، وعاد إلى عالم السياسة كمليونير كبير.

ولقد شن پاول حملة لعرض قضية العراق على الأمم المتحدة، وسعى لمنهج منظم لتجريم صدام فى مجلس الأمن. ولكن المقاومة المستمرة فى الأمم المتحدة كان لها عواقب غير سارة لپاول، وقد انتهى الآن دوره الخاص.

لقد اتهمه المتشددون، والرئيس نفسه، بأنه أساء الحكم على غالبية العلاقات فى الأمم المتحدة. **ولكى يتجنب العزلة، التحق پاول بالصقور!** ومنذ ذلك الحين، أصبحت القضية الوحيدة فى الولايات المتحدة هى متى ستبدأ الحرب؟ هل ستصدر الأمم المتحدة قراراً رسمياً بدعم الحرب أم لا؟ أما إذا كانت الحرب التى سيشنها فى النهاية «تحالفاً من الراغبين فى الحرب» فقد أصبح اهتماماً ثانوياً.

سيكون رئيس الپنتاجون رامسفيلد وقتها السيد فى ميدان المعركة. يأمل الرئيس بوش بتغير فى النظام قبل أن يستطيع صدام استخدام أسلحة الدمار الشامل. أما تشينى، فهو يفكر ملياً فى إدخال كوريا الشمالية فى الحسبان.

وفى هذه الأثناء، تنفد متاجر نيويورك وواشنطن من ألواح الپلاستيك اللازمة لوضعها على النوافذ كمانع لتسرب الغاز أو الهواء، بالإضافة إلى أقراص يوديد الپوتاسيوم. يقوم الناس بشراء هذه المواد بكميات ضخمة؛ لأن السلطات دعت المواطنين لحماية أنفسهم ضد الهجمات بالأسلحة الكيماوية والبيولوچية، أو حتى ضد ما أسمته «القنابل الذرية القذرة».

وهكذا يبدو أن السماء والأرض مجهزتان للسير فى اتجاه بغداد. سوف يرتفع اليوم عدد القوات العسكرية الأمريكية المتمركزة حول العراق إلى ١٥٠ ألف جندى، وهو الحد الأدنى المطلوب لخوض الغزو المحدد فى الأول من مارس أو انطلاقاً من ذلك التاريخ. تحدث بوش الخميس الماضى إلى أسر جنود البحرية الأمريكية فى چاكسونڤيل، فلوريدا.

لقد أكد لجنوده أن البلاد بأكملها تصلى من أجلهم. لقد حثهم على القيام بواجبهم، ليس كما يحث القائد الأعلى قواته، ولكن كقسيس فى ميدان المعركة: «لا تحاولوا فقط أن تكونوا جنوداً صالحين أو بحارة صالحين. تذكروا أن تحبوا زملاءكم كما تودون أنتم أنفسكم أن يمنحوكم الحب».

نادراً ما أرسلت القوات العسكرية إلى ميدان المعركة بمثل هذه الطريقة الورعة.

الفصل الثانى

بوش والله

تقرير خاص من مجله نيوزويك الأمريكية

عدد ١٠ مارس ٢٠٠٣م

(قبل غزو العراق)

Bush & God

How Faith Changed His Li[fe] And Shapes His Agenda

بقلم: هوارد فاينمان

ترجمة: نهى سلام

بوش والله

يستيقظ چورچ بوش فى معظم الأيام قبل الفجر عندما تكون أعلى الأصوات خارج البيت الأبيض هى أصوات طائرات الـ إف ١٦ التى تجوب السماء، وينفرد بنفسه فى مكان هادئ للقراءة، وهو فى هذه الساعة المبكرة من النهار لا ينفرد بنفسه لقراءة موجز الأنباء أو تقارير المخابرات، فتلك القراءات لها وقت آخر أثناء النهار فى المكتب البيضاوى، كما أنه لا يقرأ لمجرد التسلية، ولكنه كما قال لأصدقائه: يقرأ مواعظ إيڤانجليكية للكاتب أوسوالد شامبرز **(وهو واعظ معمدانى متجول مات فى نوڤمبر ١٩١٧م وهو يبشر بالإنجيل للجنود الاستراليين والنيوزلنديين المتجمعين فى مصر - والذين بحلول أعياد الميلاد فى تلك السنة كانوا قد استخلصوا فلسطين من الأتراك واستولوا على القدس لصالح الإمبراطورية البريطانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى)**.

والآن هناك حديث عن حرب جديدة فى الأرض التى كانت تُسمى «بابل». فى صباح أحد أيام شهر فبراير ٢٠٠٣م، وبينما المناقشات تدور فى الأمم المتحدة حول الحرب على العراق، وبينما ترفع السلطات الأمريكية درجة الاستعداد لهجوم إرهابى إلى اللون البرتقالى، فيتسابق سكان واشنطن لشراء الأشرطة اللاصقة للوقاية من هجوم كيماوى، كان بوش يقرأ فى كتاب أوسوالد شامبرز موعظة إشعياء (من أنبياء العهد القديم) بأن الله هو خالق الحياة والتاريخ حيث يقول: «ارفع عينيك لأعلى، وانظر مَن خلق هذه الأشياء». ويشرح شامبرز هذه الموعظة قائلاً: إنه حينما تواجه بالمصاعب، فإن اللجوء إلى الله هو الذى يمنح القوة ويساعد على تخطى هذه المصاعب.

ويضع بوش هذه الموعظة موضع التطبيق، ففى نفس اليوم وأثناء لقاء مع مذيعين دينيين فى أوپريلاند - ناشڤيل، صرة حزام الكتاب المقدس[1]، يقول بوش: **«إن الإرهابيين يكرهون حقيقة أننا نعبد الله القادر بالطريقة التى نراها مناسبة لنا»**، وإن

(١) مصطلح «حزام الكتاب المقدس - Bible Belt» يُطلق على معظم الوسط والجنوب من أراضى الولايات المتحدة - المترجمة.

الولايات المتحدة مدعوة لمنح الحرية التى هى هبة من الله إلى «كل إنسان فى هذا العالم»، وأن احتمالات نجاحها فى ذلك أكثر من جيدة. ويؤكد بوش هذه الفكرة باستمرار، فقبل ذلك بأيام قال فى «صلاة الإفطار الوطنى»: إن هناك حكمًا إلهية وراء الحياة والتاريخ، تحققها يد الله العادلة، وأنه والأمر كذلك فإن الولايات المتحدة لا يمكن أن تفشل.

قابل بوش رعاة بعض الكنائس العاملين فى الخدمات الاجتماعية بعد خطابه فى ناشفيل، وأشهدهم على إيمانه بالمسيح «لم أكن لأصبح رئيسًا اليوم»، وأكمل قائلاً: «لو لم أتوقف عن الشرب منذ سبعة عشر عامًا. ولم أكن أستطيع التوقف عن الشرب بدون رحمة الله».

وقد اعترف بوش فى هذا اللقاء أن احتمال حرب على العراق يؤرقه، وأنه يعرف أن الكثيرين ومنهم بعض الحاضرين يرون أنها حرب وقائية وغير عادلة، حيث عبّر أحد المشاركين عن انزعاجه قائلاً: «لا أستطيع أن أتخيل أن المسيح يود أن يبعث بهذه الرسالة التى تحض على الحرب إلى الجماهير المحتشدة كما سمعت الرئيس يفعل للتو». ولكن الرئيس قال: إن أمريكا عليها أن تتأكد أنها «تواجه الشر» ممثلاً فى صدام حسين، وأنه ليس هناك خيار إلا المواجهة، ولو عن طريق شن الحرب إذا لزم الأمر.

أمة بروح كنيسة

يقول الكاتب البريطانى ج.ك. شيسترتون عن أمريكا إنها «أمة بروح كنيسة»، وأن كل رئيس أمريكى يبدو فى وقت من الأوقات كراعى الكنيسة، متنمر على منبرها. **ولكن الأمر احتاج إلى حرب فى أفغانستان وهناك احتمالات حروب أخرى؛ ليتضح أن الإدارة الحالية هى أكثر الإدارات الأمريكية فى التاريخ الحديث تأسيسًا على عقيدة إيمانية راسخة، فهى إدارة قائمة على ومدعومة ومهدية بالثقة فى الله**. فإدارة بوش تعى أن المال والقوة العسكرية لهما أهمية قصوى، **ولكن فى نظر هذه الإدارة يبقى الحل الأمثل للمشاكل المجتمعية فى الداخل والإرهاب فى الخارج، هو إعطاء كل الناس فى كل مكان الحرية فى أن يجدوا الله**.

يؤمن بوش بإرادة الله، وبأن الانتصار فى الانتخابات يتحقق بمساندة هؤلاء الذين يشاركونه نفس الأفكار. ففى أثناء عمله كمساعد فى حملة والده الانتخابية عام

١٩٨٨م، بدأ بوش فى بناء مستقبله بإقامة علاقات قوية مع قساوسة الحركة الإيفانجليكية البازغة فى الحياة السياسية آنذاك، والذين يشكلون الآن غالبية أعضاء الحزب الجمهورى الذى يسيطر على كل الدوائر ذات التأثير فى واشنطن العاصمة للمرة الأولى فى النصف قرن الأخير.

وهؤلاء المسيحيون المؤمنون بالكتاب المقدس هم أقوى مؤيدى بوش، وزيادة أعدادهم بدرجة كبيرة فى العام القادم هى أهم أولويات مستشار الرئيس السياسى كارل روف حيث يعمل على استمالتهم، وبالطبع يرد هؤلاء المسيحيون المؤمنون الجميل فهم أقوى مؤيدى حرب ـ أحادية الجانب إذا لزم الأمر ـ للتخلص من صدام حسين.

والآن يجد بوش نفسه فى اختبار حقيقى، فالحرب على العراق مثيرة للجدل، والأزمة النووية مع كوريا الشمالية تشتد، وهو لم يستخدم الطرق الدبلوماسية بنجاح كاف، كما أنه مكبل بتقارير هانز بليكس، والعسكرية الفيليبينية، والبرلمان التركى الذى رفض انتقال القوات الأمريكية عبر أراضى تركيا لغزو العراق من الشمال، هذا بالإضافة إلى اعتقاد الكثير من الأمريكيين ومعهم كثيرون فى العالم، **أنه أسير لمعتقداته الدينية التى تجعله غير مدرك لتعقيدات الموقف العالمى**، كما أنه بالنسبة لكثير من المسلمين - وخاصة العرب منهم - يبدو كقائد لإحدى الحملات الصليبية التى تسعى لإعادة احتلال الشرق.

وينفى مساعدو بوش عنه ذلك بقولهم: إن إيمان الرئيس الهادئ والمتحمس فى نفس الوقت، يعطيه القوة ولكنه لا يملى سياساته، وأن كثافة الأحداث بدءاً من هجمات الحادى عشر من سبتمبر ومروراً بالتهديدات الإرهابية وانفجار المكوك كولومبيا هى التى جعلته يبدو كواعظ دينى، وأن إيمانه يعطيه ما هو أكثر من مجرد الثقة فى صحة حكمه على الأمور، فهذا الإيمان «يعطيه الرغبة فى خدمة الآخرين والحس الدقيق للتمييز بين الخير والشر». كما يقول صديقه المقرب دون إيفانز سكرتير التجارة.

ولكن كيف أصبح بوش هكذا؟

ترسم السطور التالية صورة إيمانية للرئيس. **قصة قوة الإيمان التى تنقذ إنسانًا وأسرة كاملة وتشكل مستقبلاً سياسيًا، وتشكل حكومة الولايات المتحدة.**

شعب الله

تبدأ القصة فى كونيكتيكت حيث كان البروتستانت منذ زمن بعيد عام ١٧٢١م جماعة متشددة يتزعمهم جوناثان إدواردز الذى دأب على تحذير الناس من انتقام إله غاضب. ولكن فى عام ١٩٤٦م عام مولد چورچ بوش كان خطاب هؤلاء قد هدأ قليلاً.

كان والد بوش (چورچ بوش الأب) رجلاً ذا شرف عسكرى وبطلاً من أبطال الحرب العالمية الثانية، ومواظبًا على الذهاب إلى الكنيسة. ولكنه مع ذلك كان لا يميل إلى إظهار تدينه بشكل علنى، وكان لسان حال الأسقفيين[1] النكتة التى تقول: نحن شعب الله، ولكننا مجمدون (فى الثلاجة). وعندما انتقل آل بوش إلى منطقة النفط فى غرب تكساس، ودخلوا فى حزام الكتاب المقدس، انضموا إلى رابطة المهاجرين من الشرق فى الكنيسة المشيخية[2] فى ميدلاند، فقد كانت أكثر رصانة من باقى الكنائس، **وكان بوش الأب يجمع التبرعات لمبنى الكنيسة، ويدرس فى مدارس الأحد. أما بوش الابن فقد كان فتى مطيعًا يذهب إلى الكنيسة بانتظام. وتقول والدته: إنه كان دائمًا ما يبدى اهتمامًا خاصًا بقراءة الكتاب المقدس. ولكن بوش يعلق على ذلك بابتسامة قائلاً إنه لا يستطيع تذكّر ذلك. وفى المدرسة الإعدادية فى أندوڤر أصبح بوش الابن شماس المدرسة، ولكن هذا المنصب كان قد فقد الكثير من تأثيره الدينى منذ زمن طويل.**

فى عام ١٩٧٧م، تزوج بوش لورا وانضم إلى كنيستها المنهجية (الميثودية)[3]، ومثل والده أصبح بوش عضواً محترمًا فى الطائفة، ولكنه كان سكيراً مدمنًا عرضة للكراهية فى مجتمع الحفلات التى يحضرها، كما أنه أصبح مصدر ملل لزوجته الصبورة. وفى عام ١٩٨٢م أنجب بوش ابنتيه التوأم، وقد أسعده ذلك كثيراً، ولكن زوجته لورا كانت قد فاض بها من إدمانه الشراب، فقرر بوش فى عام ١٩٨٥م، وكان يقترب من الأربعين آنذاك، إصلاح علاقته بزوجته، فتخلى عن الشراب نهائيًا.

---

(١) الأسقفيون طائفة من طوائف الكنيسة البروتستانتية التقليدية، لها نظام هيراركى - المترجمة.

(٢) طائفة ثانية مستحدثة من طوائف الكنيسة البروتستانتية - راجع صفحة ٢٧ - المترجمة.

(٣) طائفة ثالثة مستحدثة من طوائف الكنيسة البروتستانتية - راجع صفحة ٢٧ - المترجمة.

ويوضح كتاب حملته الانتخابية الدور الذى لعبه بيلى جراهام فى وضع بوش على «الطريق»، حيث يلقى الضوء أكثر على معتقدات بوش، ليس فقط عن الإيمان ولكن عن الحكومة كذلك.

كان إيڤانز المتزوج من صديقة لبوش من سنوات الدراسة المبكرة هو البداية، فقد كان إيڤانز الفتى الوسيم فى جامعة تكساس، الذى أنهى دراسته الجامعية والتحق بشركة توم براون العاملة فى مجال النفط، وهو المجال الذى كان مزدهراً بشدة فى تلك الفترة، ولكن فى عام ١٩٨٤م أصاب الكساد صناعة النفط، ووجد إيڤانز نفسه يصارع فى شركة أثقلتها الديون، كما أن حياته الشخصية لم تعد على ما يرام؛ إذ رزق بطفلة تعانى من إعاقة شديدة وتحتاج إلى رعاية خاصة طيلة حياتها. وكأى شخص من غرب تكساس، وجد إيڤانز الحل فى الانضمام إلى مجموعة عبر طائفية لدراسة الكتاب المقدس، وفى نفس الوقت أغرى صديقه بوش بالانضمام للمجموعة.

كان اسم البرنامج الذى انضم إليه إيڤانز وبوش «جماعة دراسة الكتاب المقدس» أو (CBS)، وقد أسسته مجموعة من السيدات اللاتى يسكن ضواحى منطقة واشنطن دى. سى. عام١٩٧٥م، وعندما انتقل البرنامج إلى ميدلاند كان قد أصبح دراسة مكثفة على مدار العام لكتاب واحد من العهد الجديد، حيث يُدَرَّس فصل جديد فى كل أسبوع مصحوبًا بقراءات ومناقشات تفصيلية بين مجموعة من عشرة رجال، وعلى مدى عامين (١٩٨٤ ـ ١٩٨٦م) قرأ بوش وإيڤانز وعائلتاهما كتابات لوقا، ثم إنجيله، وأعمال الرسل، والتى ظهر فيها خطان واضحان: أحدهما: روحى ويتمثل فى تحول بولس إلى المسيحية وهو فى الطريق إلى دمشق، والآخر: سياسى ويتمثل فى تأسيس الكنيسة، ولأن بوش لا يهتم كثيراً بالنظريات، فقد أعجب أكثر بقصة تحول بولس، حيث استهوته فكرة معرفة المسيح كصديق.

لقد كان برنامج جماعة دراسة الكتاب القدس (CBS) نقطة تحول فى مستقبل الرئيس من عدة أوجه. فقد أعطاه ـ لأول مرة ـ بؤرة اهتمام ثقافية. فبعد أن كان نتاج صفوة التعليم العلمانى فى أندوڤر، يال وهارڤارد، فقد أصبح لأول مرة يقرأ كتابًا سطراً بسطر بانتباه وفى نشوة. . . ذلك الكتاب هو الكتاب المقدس.

ويعتبر بوش أكثر من أىّ من أصدقائه نتاجًا فكريًا خالصًا لحزام الكتاب المقدس حيث أعطته دراسة الكتاب المقدس عمقًا فكريًا للمرة الأولى، بينما كان تعمق أصدقائه فى دراسات أخرى هو الذى شكل فكرهم، كما وجد بوش فى هذه الدراسة تدريبًا عقليًا وروحيًا استعان به لاحقًا لتقوية عزيمته فى مواجهة أكبر تحديات حياته، ألا وهو الإقلاع عن الشراب.

وقد أسهم هذا البرنامج فى إقلاع بوش عن الشراب، حيث كان البرنامج جزءًا مما عرف ذلك الحين بـ «المجموعة الصغيرة فى حركة الإيمان». وهى حركة تجمع بين العلاج الذاتى الجماعى والعبادة. وعلى كل الأحوال فإن «بوش» كما يعرف العالم قد أقلع عن الشراب فى عام ١٩٨٦م بعد عيد ميلاده الأربعين.

لقد كانت نقلة: الوداع لچاك دانيال، ومرحبًا بالمسيح.

إنشاء صداقات جديدة

عاد بوش إلى الكتاب المقدس لإنقاذ نفسه وعائلته، ولكن هل كان يفكر فى ذلك كتمهيد الطريق لمنصب رسمى؟ لا نعرف على وجه التأكيد، ولكنه بالتأكيد كان يعرف الخريطة السياسية لتكساس، فقد كان يعرف أنه بحلول عام ١٩٨٥م كان الجنوب قد صعد ليسيطر على (GOP)(١)، وأنه بصعود الجنوب صعد معه التيار الإيڤانجليكى القوى، والذى كان فى الحقيقة ذا تأثير قوى فى جعل صعود الجنوب ممكنًا، وكان يعرف أيضًا أن أسلوب والده (الأسقفية المحافظة والاعتدال فى تناول المسائل الثقافية والعلاقات الوثيقة مع شرق أمريكا) سيجعل الأمور أكثر صعوبة بالنسبة له، وقد جرب بوش ذلك بنفسه عام ١٩٧٨م عندما ترشح للكونجرس فى ميدلاند، فبالرغم من أنه من خريجى مدرسة سام هيوستن الابتدائية وسان جاكينتو الثانوية فقد هوجم بوصفه دخيلاً.

وعى بوش هذا الدرس جيدًا، فعندما انتقل إلى واشنطن فى عام ١٩٨٧م ليساعد فى إدارة حملة والده الانتخابية، انتهز الفرصة ليكون مبعوثه إلى اليمين المتدين، ولم يكن بوش الأب مرتاحًا للتعامل مع ذلك النوع من المتدينين، ولكن بوش الابن كان

(١) المقصود الحزب الجمهورى، وهى اختصار: Grand Old Party.

يعرف تمامًا ماذا يفعل وماذا يقول، كما قال دوج ويد الذى عمل معه فى الاتصال بالجماعات الإيڤانجليكية، فقد أمطر ويد وبوش المسئولين عن الحملة الانتخابية بطرق مبتكرة للتأثير فى تلك الجماعات، وكان ويد يُسرب آيات من الكتاب المقدس فى خطب بوش الأب، كما عرض بوش الابن والذى يفضل الأسلوب المباشر على والده استضافة بيلى جراهام فى ڤيديو خاص بالحملة الانتخابية ولكن «بوش» الأب رفض.

على هذا الأساس الجديد بنى كلّ من بوش وروڤ (مستشار بوش السياسى) عمله السياسى، فالإيمان والطموح أصبحا متلازمين، فبوش يتكلم وروڤ يضع السياسات، وفى عام ١٩٩٣م قبل أن يرشح بوش نفسه لمنصب حاكم تكساس، أثار عاصفة صغيرة عندما صرح لمراسل من أوستن (وكان المراسل يهوديًا بالصدفة) **أن الذين يؤمنون بالمسيح فقط هم الذين سيذهبون إلى الجنة**. لقد كان هذا تصريحًا دينيًا غير ذى أهمية، وخاصة فى مكان مثل تكساس، ولكن حقيقة أن بوش كان لديه الجرأة الكافية ليقول ذلك أثار ضجة، وبينما ثار كتاب الافتتاحيات، فإن روڤ عبر عن رضاه بهدوء فلقد كان يرى أن القصة ستساعد «بوش» على جذب ولاء حزام الكتاب المقدس فى ريف تكساس، وهى المنطقة التى كانت حتى ذلك الوقت تحت سيطرة الديمقراطيين.

كان بوش كمرشح يطلب النصيحة من رعاة الإبراشيات، خاصة قادة الكنائس الكبيرة غير الطائفية فى الضواحى، وكانت أفكاره عن الحكم ملائمة لإيمانه، فقد كانت مصممة لاجتذاب الإيڤانجليكيين لصناديق الاقتراع دون أن تبدو بالضرورة أفكاراً كنسية صادرة من جماعة دراسة الكتاب المقدس، وهكذا استخدم بوش قوة الإيمان فى إضعاف أفكار اليسار التى عفا عليها الزمن، كما استخدمها قبل ذلك فى إنقاذ حياته.

كانت حملة الانتخابات الرئاسية ذات سمات تكساس ولكن على نطاق أوسع، **ففى عام ١٩٩٩م وبينما هو يستعد للترشيح، جمع بوش رعاة الإبراشيات فى مقر حاكم تكساس لأخذ البيعة وأخبرهم أنه «استدعى» لمنصب الرئاسة**.

أما فى انتخابات الحزب الجمهورى الأولية لاختيار مرشحه للرئاسة، فقد كسب بوش تعاطف الحاضرين عن طريق الحديث عن تجاربه الشخصية وهو ما أطلق عليه أحد المنافسين ـ جارى بوير ـ «Identity Policy» فبينما حاول آخرون استمالة

الإيفانجليكيين عن طريق تبنى مواقف متشددة تجاه قضايا الإجهاض وحقوق الشواذ، كان بوش يتحدث عن إيمانه الخاص، وكان الناس يصدقونه ويثقون به، وكان فى ذلك عبقريًا بحق، فبوش الابن الذى ينظر إليه الناخبون العلمانيون ـ بصفة عامة ـ على أنه معتدل، استطاع أن يصل إلى قاعدة الناخبين المتدينين دون أن يهدد العلمانيين. كان ـ ولا زال ـ واحدًا منا. هكذا قال تشارلز كولسون الذى يُروج لبرنامج الحاكم بوش: «البرنامج المؤسس على الإيمان للسجون».

عين بوش مايكل جيرسون لكتابة خطبه العامة، وهو كاتب موهوب متخرج فى كلية ويتون فى إلينوى (هارفارد الإيفانجيليكية)، استطاع ليس فقط أن يفهم «بوش» وإخلاصه لمبادئ المحافظين، ولكنه كان موهوبًا فى التعبير عنها بلغة تستطيع اجتذاب المولودين من جديد، وكذلك العلمانيين المتحمسين الذين يبحثون عن تقوية دورهم المفقود فى الحياة العامة.

كانت حملة بوش لكسب ترشيح الحزب الجمهورى تقوم على التواصل عن طريق الخطابات والبريد الإلكترونى، ولكنه اضطر مرة واحدة للتواصل بطريقة علنية بعد أن فاز چون مكين بالترشيحات الأولية للحزب فى ولاية نيو هامپشير، **فعندها اضطر بوش لزيارته غير المشهورة لجامعة بوب جونز فى ساوث كارولينا، وهى جامعة أصولية، ورسميًا مضادة للرومانية الكاثوليكية، ويوضح أحد البارزين فى حملته الانتخابية الموقف قائلا: «كان علينا أن نبعث برسالة عاجلة، وإرساله إلى هناك كان الحل الوحيد»، ويضيف «كانت مخاطرة وكان علينا قبولها» وقد فاز بوش.**

مطروق بالنار

لم يجعل الإيمان «بوش» شخصية حاسمة فقد كان كذلك من قبل فعلاً، فكونه من آل بوش فرض عليه التزامًا بأن يخدم مواطنيه وقيادتهم، كما أن نشأته فى غرب تكساس حيث عواصف الغبار والاقتصاد غير المستقر يثقلان على السكان المحليين، جعلته يفضل الأسلوب المباشر فى مواجهة الأمور وتقبل ما قد تأتى به الحياة، بالإضافة إلى ذلك فإن وجوده فى جامعة يال فى فترة من أكثر الفترات راديكالية فى أواخر

الستينيات، جعله يكره المثقفين الذين كانوا في رأيه تجسيداً للتعقيدات والشك، وخاصة عندما سخر هؤلاء من والده.

مع ذلك فقد ساعد الإيمان «بوش» على اختيار الطريق والمضي فيه قدمًا دونما النظر إلي الوراء. ويعلق الكاتب ديفيد فروم (وهو كاتب خطب بوش السابق) على ذلك قائلاً: «إن هذا هو الاستسلام لمشيئة الله، فأنت تبذل قصارى جهدك وتتقبل أن كل شيء في يد الله». ويؤكد فروم أن هذا الاستسلام لمشيئة الله يمنح صاحبه رباطة جأش، حيث يستطرد قائلاً «إذا كنت واثقًا أن هناك إلهًا يحكم العالم، فإنك ستبذل قصارى جهدك وحتمًا ستنجح»، ولكن ما يراه البعض صلابة يراه آخرون خليطًا من العناد والعجرفة، حيث يقول أحد العاملين السابقين بالبيت الأبيض: «لا أحد مسموح له بإعادة التفكير في أي شيء حتى عندما يستدعي الأمر ذلك».

أما داخل البيت الأبيض فإن الأجواء المصبوغة بالصلاة، ومجموعات دراسة الكتاب المقدس ـ والتي كانت دائمًا موجودة داخل البيت الأبيض (حتى آل كلينتون كان لديهم مجموعتهم) موجودة أيضًا الآن، ولكنها أكثر انتشاراً، ومن بين الشخصيات الرئيسية التي تقود هذا الاتجاه چيرسون (الذي يزداد مكتبه اقترابًا من المكتب البيضاوي كل يوم)، وزوجة رئيس طاقم الموظفين آندرو كارد، وهي قسة في الكنيسة المنهجية، بالإضافة إلى والد كوندوليزا رايس الذي كان واعظًا في ألاباما، كما أنه معروف عن الرئيس أنه يرحب بالأسئلة المتعلقة بالمسائل الإيمانية، والتي يجد الموظفون الجرأة لسؤاله عنها، ولكنه لا يثير جدلاً تفصيليًا عن أمور دينية.

ويرضي بوش ضميره بالقول: **إن حرب العراق «حرب عادلة» من وجهة نظر المسيحية طبقًا لمصطلحات أوجستين في القرن الرابع وتوما الأكويني، ومارتن لوثر،** ولكن «بوش» لم يصل إلى تلك النتيجة بالبحث في الكتب أو إجراء مناقشات عن الموضوع، ولكنه قرر أن «صدامًا» شر، وأخذ يتصرف على هذا الأساس.

ويشير فروم إلى أن استخدام لغة الخير والشر جاءت طبيعية، فمن البداية استخدم بوش لفظ «الأشرار» لوصف الإرهابيين، وكان ذلك عندما أراد أن ينهي الجدل الذي

أثاره بعض المعلقين حول ما إذا كانت الولايات المتحدة تستحق الهجوم الذى تعرضت له فى الحادى عشر من سبتمبر [نتيجة لآثامها الداخلية]، فعلى الفور لجأ بوش إلى هذا اللفظ واستمر يؤكده فى كل مناسبة، فأسامة بن لادن وجماعته أشرار، وفى مقابلة مع النيوزويك فى نوفمبر ٢٠٠١م، أعلن بوش لأول مرة أن «صدام حسين» فى العراق «شرير» أيضًا.

وفى الوقت الذى ينصب اهتمام العالم والإدارة الأمريكية على العراق، فإن «بوش» يعلم جيدًا أنه ملتزم سياسيًا وأخلاقيًا بوضع برامجه المؤسسة على الإيمان (Faith - Based Domestic Agenda) موضع التنفيذ فى الداخل، فالقائمة التى أعدها روف (مستشاره السياسى) طويلة حقًا وتتضمن إقرار الأحكام بالسجن مدى الحياة، واعتماد أموال فيدرالية لتأسيس مرافق للخدمات الاجتماعية فى المؤسسات الدينية، وفرض حظر على الاستنساخ البشرى والإجهاض، والسماح للمؤسسات الدينية من كنائس ومعابد ومساجد باستخدام الأموال الفيدرالية لإدارة برامج للرعاية الاجتماعية، وزيادة الأموال المخصصة لتدريس الانضباط الجنسى فى المدارس بدلاً من الجنس الآمن وطرق منع الحمل، بالإضافة إلى سياسة المساعدات الخارجية والتى تؤكد على حق الشعوب فى الحياة، **ويعتمد بوش على روف وهيل فى تولى هذه الشئون الداخلية، بينما يتبنى هو سياسة خارجية مبنية على الإيمان، وهى سياسة شديدة الانفجار تتبنى حربًا محتملة باسم الحرية المدنية، بما فى ذلك الحرية الدينية فى القلب القديم للإسلام العربى**.

وفى الجدل الدائر حول عدالة الحرب، يحظى بوش بتأييد قوى من قاعدته، وتشمل قائمة المؤيدين لموقفه من الناحية الأخلاقية ريتشارد لاند قائد الجناح السياسى للمجمع المعمدانى الجنوبى، ولكن فى الوقت نفسه يواجه بوش تيارًا قويًا من القيادات الدينية على الجانب الآخر الرافض للحرب، ويشمل هذا التيار بابا الفاتيكان ومجلس الأساقفة، والمجلس الوطنى للكنائس، وكثيراً من الجماعات اليهودية، ومعظم القادة المسلمين. ويعلق ستيف والدمان وهو كاتب ورئيس مجلس إدارة موقع دينى موثوق به على الإنترنت قائلاً: «يقدر الناس تفانيه فى إيمانه، ولكن عندما يتعلق الأمر بحرب،

فإن هناك خطًا فاصلاً لا يجب تجاوزه، وأعتقد أنه بدأ يجعل الناس تتوتر». ويضيف «إنهم يقدرون وضوحه وحسمه الأخلاقي، ولكنهم يتساءلون عما إذا كان يتجاهل الفارق الذي يجعل عمله يبدو وكأنه مكلف بمهمة مسيحية، مهمة الإرساليات المسيحية».

أما المسلمون فإنهم الأكثر قلقًا رغم الجهد الذي بذله بوش للتأكيد على إعجابه بالدين الإسلامي، فقد استضاف إفطاراً في رمضان وانتقد الإيفانجليكيين من أمثال **فرانكلين جراهام الذي وصف الإسلام بأنه دين فاسد يدعو إلى العنف.**

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها بوش لتطمين المسلمين، فإن الإرساليات الإيفانجليكية لم تخف رغبتها في تحويل المسلمين إلى المسيحية، حتى لو لم يكن ذلك بالضرورة في بغداد. وهم يتساءلون قائلين: إنه إذا كان أحد أهداف عزل «صدام حسين» هو تمكين شعب مقهور من حرية العبادة، فكيف يعارض الرئيس ما يسعون إليه؟ وبالنسبة لبوش فإن هذا سؤال استفزازي ويحسن تأجيله لوقت آخر.

ولكن خلال العشاء الذي أقامه الرئيس بوش وزوجته الأسبوع الماضي لأصدقائهما المقربين (أمثال وزير الدفاع رامسفيلد)، لم يكن واضحًا ما إذا كان هذا السؤال هو ما يؤرق الرئيس أم أنها أمور أخرى. كان بوش مضيفًا لطيفًا، وكالعادة أيضًا كان يتعجل إنهاء العشاء «إنه يميل إلى السرعة أثناء حفلات الكوكتيل»، يعلق أحد أصدقائه «شراب واحد من الكولا ثم يطلب الطعام»، وعندما قاربت الساعة العاشرة كان بوش حريصًا على الذهاب للفراش.

الضيوف العارفون يعلمون أنه يريد مشاهدة دقائق من برنامجه المفضل «Sports Center»، ولكنه أيضًا يريد الاستيقاظ مبكرًا، مبكرًا جدًا فهناك ما يجب قراءته.

* * *

الفصل الثالث

BIBLE-BELIEVING CHRISTIANS ARE BUSH'S STRONGEST BACKERS. TURNING THEM OUT NEXT YEAR IS ONE OF HIS POLITICAL TEAM'S TOP PRIORITIES.

مقتطفات من كتاب چورچ بوش مهمة للأداء (*)

"لأحقق إرادة خالقى"

FIELDS OF GLORY: Since the '80s, Bush has referred to his religious path as the 'Walk'

(*) صدرت هذه المذكرات قبيل الحملة الانتخابية للرئاسة عام ٢٠٠٠م عن دار نشر: ويليام مورو أند كمپانى - نيويورك.

مقتطفات من كتاب چورچ بوش

«مهمة للأداء» - (لأحقق إرادة خالقى)

لم أكن أستطيع أن أصبح حاكمًا ما لم أؤمن بخطة إلهية تنسخ كل الخطط البشرية.
السياسة متقلبة ، وأصوات الاقترعات تتغير . صديق اليوم هو خصم الغد . ولكنى أبنى حياتى على أساس لا يتغير . إيمانى يحررنى . يحررنى بحيث أستطيع أن أضع مشاكل اللحظة فى منظورها المناسب . حتى أصنع قراراتى حتى ولو لم تعجب الآخرين . يحررنى حتى أحاول عمل الأشياء الصحيحة حتى لو لم تعجب الناخبين . يحررنى حتى أستمتع بحياتى ولا يصيبنى القلق عما يأتى به المستقبل .

* * *

اليوم بعد أسبوعين من حفل تنصيب چيپ حاكمًا فى كنيسة أوستن ، أخبرنى راعى الكنيسة أن إعادة انتخابى حاكمًا لولاية تكساس - ولأول مرة يعاد انتخاب الحاكم بعد نهاية ولايته الأولى مباشرة - هو البداية وليس النهاية . تحدث راعى الكنيسة عن الحاجة إلى الأمانة فى الحكومة ، وحذر من أن القادة الذين يغشون زوجاتهم سوف يغشون أيضًا بلادهم وزملاءهم ، ويغشون أنفسهم .

وأضاف الراعى أن أمريكا متعطشة للقادة الأمناء . وحكى قصة موسى الذى طلب منه الله أن يقود شعبه لأرض اللبن والعسل ، وكان لدى موسى العديد من الأسباب للتهرب من المهمة . وقال الراعى إن رد فعل موسى الأساسى كان : «أنا آسف يارب . أنا مشغول . لدىّ عائلة . لدىّ غنم أرعاها . لدىّ حياتى» .

«من أنا حتى أذهب إلى فرعون وأقود بنى إسرائيل خارج مصر ؟»، هكذا تساءل موسى فى سفر الخروج . لن يصدقنى الناس ، قال محتجًا ، لست متكلمًا فصيحًا ، «يارب ، أتضرع إليك - ارسل شخصًا آخر» قال موسى متوسلاً . ولكن الله أصرّ ، وقام موسى فى النهاية بمهمته ، وقاد شعبه خلال أربعين سنة من التيه ، معتمدًا على قوة الله ورعايته وهدايته .

«الناس متعطشون للقادة ذوى الأخلاق والشجاعة الأدبية»، قال الراعى كريج.

لا يكفى أن تكون لنا بوصلة أخلاقية تبين لنا الصواب من الخطأ، استأنف الراعى. أمريكا تحتاج قادة لديهم الشجاعة الأدبية لفعل الصواب، للسبب الصائب، وليس دائمًا من السهل أن يبرز القادة لذلك. **حتى موسى كانت لديه شكوكه.**

«لقد كان الراعى يتكلم إليك» قالت لى أمى ذلك.

* * *

فى وقت لاحق من ذلك الأسبوع، عندما كنا نحفظ برامج وكلمات التنصيب، تبين لنا أنه ليست لدينا نسخة من موعظة الراعى كريج. لقد كانت تلك الخدمة (الموعظة والصلاة) خاصة، لم تكن هناك كاميرات تليفزيون ولا شرائط تسجيل. طلبنا راعى الكنيسة لنشكره، وسألناه إن كان لديه نسخة من النص. نفى ذلك قائلاً إنه تكلم من القلب. وفى عصر إذاعة التسجيل لحظيًا، لم توجد الموعظة إلا فى وقتها الحقيقى. مع ذلك، فتلك الخمس عشرة أو العشرين دقيقة أحدثت اختلافًا. ففى بداية فترتى الثانية كحاكم لتكساس، بدأت صراع ما إذا كان علىّ السعى وراء منصب رئيس الولايات المتحدة، قلقًا على تبعات القرار.. **لدىّ عائلة.. لدىّ حياتى.**

دفعنى الراعى مارك كريج خارج حياتى المريحة كحاكم تكساس، وفى اتجاه حملة قومية للرئاسة.

* * *

طوال ذلك اليوم، وطوال حياتى، تأثرت واطمأننت بقوة حبهما.

وفى الظهيرة، أقسمت لمنصب حاكم تكساس واضعًا يدى على أسطورة تكساس: الكتاب المقدس لسام هوستون، بسيط وبال.

ضبطت إيقاع إدارتى فى خطاب تنصيبى. بدأت بالترحيب بحكام الولايات المكسيكية القريبة من تكساس، مبرزًا أهمية صداقتنا مع المكسيك. شكرت الحاكم ريتشاردز، وقلت إن تكساس مدينة لها... «المثل الذى ضربته، يقوى قلوب أولئك الذين يكافحون شدة الحياة، ويعطى الأمل لأولئك الذين يظنون أن الفرص محدودة».

وقلت لرفقائى فى تكساس «أشارككم الإحساس بالمسئولية الذى لا بد وأن يكون شعر به كل حاكم جديد. وأفهم أننى - مثلهم - مسئول عن كل الناس فى تكساس. أشارك الحكّام الذين سبقونى إحساسهم بالهدف، وتطلعهم لأداء مهمتهم، وما يثيره

ذلك فى نفوسهم. أشارك من سبقونى إحساسهم بالتواضع. فالواجبات التى علينا، نقوم بها على أحسن وجه بهداية من هو أعظم منا. أسأل الله المساعدة».

ومهدت الأرض لجلسة المشرعين: «أشارك من سبقونى المعرفة، بأن التقدم يستلزم التعاون مع نائب الحاكم، ورئيس المجلس والمجالس التشريعية التى يمثلانها. أنا أتطلع للعمل معكما، نائب الحاكم بولوك، ورئيس المجلس لانى. مهمتنا هى خدمة شعب تكساس العظيم. نخدمهم خدمة جيدة، مستمرة، وبلا حدود. معًا سوف نقوم بذلك.

أنا أسعى لجعل الناس تعرف ما فى قلبى، بالتحدث ببساطة ووضوح عن رؤيتى لمستقبل الولاية. تلك كانت الرؤية والفلسفة التى صودق عليها فى نوڤمبر.

أهل تكساس يمكنهم أن يديروا شئون تكساس. سوف أطلب من الحكومة الفيدرالية أن تعيد لنا سلطة اختيارنا لسبيلنا. مبدئى الإرشادى هو: سوف نقوم بدور الحكومة عند الضرورة، ولسنا حكومة بالضرورة.

تكلمت عن حاجتنا لتغيير ثقافتنا، وإصلاح مدارسنا ونظام الرفاه، والقوانين الجنائية. فأنا أحس وطأة رياح التغيير، حماستى لمهمتنا لا يتفوق عليه إلا ثقتى فى نجاحنا. وعندما نفعل ذلك، سيتولد الأمل عند أولئك المتروكين خلفنا، وسوف يبدأ أولئك المتشككون فى الاهتمام، وسوف يكبر أطفالنا فى ولاية أكثر رخاءً وأمنًا. تاريخ ولايتنا يقول: ما يحلم به أهل تكساس، يستطيعون تحقيقه.

أن أصبح حاكمكم، شرف لا يمكننى تخيله. أشكركم على ثقتكم بى، وليحفظ الله تكساس».

بدأت اليوم بقداس الكنيسة. واخترت الترنيمة التى كتبها تشارلز ويسلى تحت عنوان.

مهمة للأداء

ورب لأمجده
وروح لا تموت أبدًا لأخلصها.
وأؤهلها للسماء
كى أخدم العصر الحالى
علىّ أن ألبى النداء
لتستنفد كل طاقاتى
لأحقق إرادة خالقى

وبعد مرور عدة أسابيع ، اتصل بى چو وچان أونيل. كان لديهما لوحة زيتية جميلة رسمها دبليو إتش. دى كورنر اسمها : «مهمة للأداء» كانت هدية الزفاف من أبى چو.

كانت اللوحة مستوحاة من الترنيمة التى أنشدت فى حفل تنصيبى، وأراد چووجان إعارتى إياها إذا ناسبت غرفة مكتبى. ناسبت تمامًا غرفة مكتبى أمام مكتبى مباشرة.

وفى أبريل ، أرسلت مذكرة عن اللوحة لأعضاء مكتبى العاملين بكل جد واجتهاد : «أعتقد أنه على أن أشارككم جزءًا من تاريخ تكساس ، يلخص مهمتنا . عندما تدخلون مكتبى، فمن فضلكم انظروا إلى اللوحة الجميلة للفارس الذى يتقدم بكل تصميم فيما يبدو أنه طريق وعر . نحن ذلك الفارس. ما يضفى الحياة على تلك اللوحة ، بالنسبة لى، رسالة تشارلز ويسلى : نحن نخدم من هو أعظم منا. أشكركم على عملكم الشاق . أشكركم على خدمتكم بولاياتنا . وليبارك الله تكساس».

كانت الترنيمة بمثابة إلهام لى ولأعضاء إدارتى . «مهمة للأداء» تستحث فينا الأعلى والأفضل. **إنها تتكلم عن الهدف والاتجاه. وكثيراً ما يرتبط ترنيمها بما جاء فى الكتاب المقدس، الرسالة الأولى إلى مؤمنى كورنثوس: «والمطلوب من الوكلاء، قبل كل شىء، أن يكون كل منهم أمينًا» ٤ : ٢ .**

* * *

قبل ذلك، التحقت ولورا بكل من الكنيسة الميثودية التى تتبعها، والكنيسة المشيخية **حيث كنت أعطى دروس الأحد بعد عودتى الأولى إلى ميدلاند. لقد أصبحت عضواً فعالاً فى الكنيسة الميثودية المتحدة الأولى، وخدمت فى لجنة التمويل.**

كنت أشعر باختلاف داخلى. فقد كان لدى وقت أكبر للقراءة. وطاقة أكبر، وصرت مستمعًا أفضل، بدلاً من الثرثار الذى كنته. كما جعلنى الإقلاع عن الشراب أكثر تركيزاً وانضباطًا. وكثيراً ما أقول الآن إن الإقلاع عن الشراب كان من أفضل الأشياء التى قمت بها على الإطلاق.

وبصراحة، فقد غرس فىّ بذور هذا القرار قبل ذلك بعام المبجل بيلى جراهام. فقد زار عائلتى فى إحدى عطلات نهاية الأسبوع فى ماين. ورأيته يعظ فى الكنيسة الصغيرة، كنيسة القديسة آن بقرب البحر. وتناولنا جميعًا غداءنا فى الفناء المطل على

المحيط، وفى إحدى الأمسيات طلب أبى من بيلى أن يجيب عن أسئلة الجمع العائلى الكبير المجتمع فى عطلة نهاية الأسبوع هذه، فجلس بجوار المدفأة وتكلم، وأطلق كلامه شرارة التغيير فى قلبى. لا أذكر كلامه نصاً، ولكنها كانت قوة جوهره، لقد كان الرب منعكساً بجلاء تام فى سلوكه الرقيق المحب. وفى اليوم التالى مشيْنا سوياً فى ممشى واكر پوينت، **وعرفت أنى فى حضرة رجل عظيم**. لقد كان كالمغناطيس، وشعرت بالانجذاب للسعى وراء هدف مختلف. لم يحاضر أو يستحث، ولكنه أشعرنى بالدفء والاهتمام بى. لم يكن الأب بيلى جراهام يشعرك بالذنب، وإنما كان يشعرك بأنك محبوب.

وفى خلال عطلة نهاية الأسبوع هذه، غرس الأب المبجل جراهام بذرة فى روحى، ونمت هذه البذرة فى خلال العام التالى. لقد أرشدنى إلى الطريق، وبدأت السير، وكان بداية التغيير فى حياتى. لقد كنت دومًا شخصًا متدينًا، ودائمًا ما كنت أحضر القداس بانتظام، بل قمت بالتدريس فى مدارس الأحد، خدمت فى المناولة كغلام مذبح، ولكن فى عطلة نهاية الأسبوع هذه، اكتسب إيمانى معنى جديداً. لقد كان بداية مسار جديد أجدد فيه التزام قلبى بالسيد المسيح.

وتواضعت عندما عرفت أن الله قد أرسل ابنه ليموت فداء لخاطئ مثلى، وأراحنى أن أعرف أننى من خلال الابن أستطيع أن أجد نعمة الله المدهشة وفضله الذى يفوق الحدود ولا تقف أمامه عقبات وهو متاح للجميع، **ومن خلال حب حياة السيد المسيح، استطعت أن أفهم قوة الإيمان التى تغير الحياة.**

وحين عدت إلى ميدلاند، بدأت قراءة الكتاب المقدس بانتظام. وأقنعنى دون إيڤانز بالانضمام إليه هو وصديق آخر ـ دون جونز ـ لاجتماع الرجال لدراسة الكتاب المقدس (Men's Community Bible Study). وقد تكونت هذه المجموعة قبل ذلك بعام فى ربيع ١٩٨٤م فى بداية انحسار صناعة الطاقة. وكانت ميدلاند تتألم آنذاك، وكان الكثير من الناس يبحثون عن الراحة والسند والاتجاه الصحيح. **وبدأ رجلان دراسة الكتاب المقدس كفريق دعم، ثم نما الأمر. وفى وقت بداية حضورى فى خريف ١٩٨٥م، كان يجتمع ١٢٠ رجل. وكنا نلتقى فى حلقات نقاش صغيرة مكونة من عشرة أو اثنى عشر رجلاً، ثم نتضم إلى المجموعة الكبيرة فى اجتماعات موسعة. وكان دون جونز يمر بى كل أسبوع ليصطحبنى إلى الاجتماعات، وأتذكر أنى كنت أتطلع لذلك. وصاروحبى لقراءة الكتاب المقدس أقوى وأقوى.**

ودرسنا أعمال الرسل، وقصة بناء الحواريين للكنيسة المسيحية، وفى العام التالى درسنا إنجيل لوقا. وكان الإعداد لكل اجتماع يستغرق عدة ساعات، نقرأ نصوص الكتاب المقدس ونفكر فى إجابات أسئلة النقاش. وأخذت الأمر مأخذ الجد مع الاحتفاظ بروح الدعابة التى أتصف بها، ويذكر دون يوم شاهدنا شريط ڤيديو لوصف لوقا ليوحنا المعمدان، حين طلب المتحدث من فصله أن يعرف معنى «نبى». وقد كان جاداً ولكنى لم أستطع مقاومة المداعبة فقلت: «النبى هو من تكون عوائده أعلى من مصروفاته، ولم ير أحد واحداً بهذه الأوصاف منذ إيليا». وكنت ألعب على التورية فى لفظ (Prophet) والذى يعنى «نبى» و«مكسب» (Profit) وفى مرة أخرى تلاعبت على الاختصارات، فقد كان متحدث يسخر من نشأته فقال: «ليس من السهل أن تكون ابن واعظ» (PK: a Preacher's Kid) فرددت عليه فوراً: «فلتحاول أن تكون ابن نائب الرئيس a VPK:a Vice President's Kid».

وكنت ولورا عضوين نشطين فى الكنيسة الميثودية الأولى بميدلاند، وشاركنا فى العديد من البرامج من أجل تحسين الأسرة، بما فيها برنامج چيمس دوبسون (التركيز على الأسرة - Focus on the Family) بسلسلة حلقاته عن تربية الأبناء. وفى أثناء دراستى وتعلمى، اكتسب الكتاب المقدس معانى أكبر، واكتسبت ثقة وفهماً فى إيمانى.

وكنت أقرأ الكتاب المقدس بانتظام. وأعطانى دون إيڤانز نسخة الكتاب المقدس للقراءة فى خلال عام، وهو مقسم إلى ٣٦٥ جزء، وكل منها يتضمن جزءاً من العهد الجديد وجزءاً من العهد القديم وجزءاً من سفر المزامير والأمثال. وكنت أقرأ هذا الكتاب المقدس مرة كل عامين، وفى الأعوام التى فى الوسط كنت أختار فصولاً مختلفة لأدرسها فى أوقات مختلفة. كما تعلمت روعة الصلاة. فأصلى من أجل الإرشاد. ولا أصلى لأمور دنيوية، وإنما لأمور سماوية، أصلى لأكتسب الحكمة والصبر والفهم.

إن أمريكا بلد عظيم بسبب ما يتمتع به من حرية دينية، فمن المهم لأى قائد أن يحترم إيمان ومعتقدات الآخرين. وقد أكدنا على ذلك حين زرت ولورا إسرائيل فى عام ١٩٩٨م. كنا قد سافرنا إلى روما لتمضية عيد الشكر مع ابنتنا التى كانت تحضر برنامجاً دراسياً هناك، وأمضينا ثلاثة أيام فى إسرائيل فى طريق العودة إلى أمريكا. وقد كانت تجربة رائعة. وأذكر استيقاظى فى هيلتون القدس وإزاحة الستائر عن النافذة

لأرى أمامى المدينة القديمة، وصخرة القدس تلمع كالذهب، وقد قمنا بزيارة الحائط الغربى وكنيسة القيامة المقدسة. وذهبنا إلى بحر الجليل ووقفنا على قمة التل حيث ألقى المسيح موعظته من فوق الجبل.

وكان شعوراً استحوذ على كل ملكاتى أن أقف فى نفس المكان الذى ألقيت منه أشهر موعظة فى تاريخ العالم، المكان الذى رسم فيه السيد المسيح شخصية وسلوك المؤمن، وأعطى الحواريين والعالم الغبطة، والقانون الذهبى، وصلاة الرب.

وكان وفدنا مكونًا من أربعة حكام غير يهود - أحدهم ميثودى، واثنان كاثوليكيان، ومورمونى - والعديد من الأصدقاء اليهود الأمريكيين. واقترح أحد الأشخاص أن نقرأ الكتاب المقدس. فاخترت أن أقرأ ترنيمتى المفضلة: «نعمة الله المدهشة - Amazing Grace».

واجتمعنا بعد ذلك فى هذه الليلة فى مطعم تل أبيب لتناول العشاء قبل استقلال طائرة منتصف الليل لأمريكا. وتحدثنا عن تجربتنا الرائعة وشكرنا مرافقينا ومسئولى الحكومة الذين قاموا باستضافتنا وتعريفنا ببلدهم.

وقبل نهاية الوجبة، قام أحد الأصدقاء ليقص علينا كيف وهو غير يهودى مشى إلى بحر الجليل هو وصديقه اليهودى - لم يكن سائرنا يعرف ذلك - وتشابكت أيديهما تحت الماء، وصليا معًا راكعين.

ثم خرجت من بين شفتيه ترنيمة كان يعرفها كطفل، ولكنه كان قد نسيها من أعوام. وردد كل كلمة بشكل صحيح بدون أخطاء:

لقد دنا الوقت الآن

الذى بشرنا به الأنبياء من زمن طويل

حين يعيش الجميع معًا

تحت رعاية راع واحد وفى جماعة واحدة

الآن يلتقى اليهودى والجنتيل (غير اليهودى)

من شواطئهم البعيدة

ويركعون أمام المذابح

لعبادة إلههم الواحد المشترك

كم يغير الإيمان الحياة. أنا أعرف ذلك جيدًا؛ لأن الإيمان قد غيّر حياتى.

الجزء الثانى

الفصل الرابع

نبذة عن الأصولية اليهودية

SAMSON DESTROYING THE PHILISTINES WITH THE JAWBONE OF AN ASS

And he found a new jawbone of an ass, and put forth his hand, and took it, and slew a thousand men therewith . . . (Judges 15: 15)

...وعثر [شمشون] على فك حمار... تناوله و قتل به ألف رجل [فلسطينى] ...

سفر القضاة ١٥:١٥

... كتابنا الحالى عن الرئيس الأمريكى جورج بوش والأصولية المسيحية، فما دخل الأصولية اليهودية هنا؟ للإجابة عن هذا، لا بد من نظرة على البروتستانتية.

سحبت البروتستانتية بقيامها على يد الراهب مارتن لوثر - عندما علق اعتراضاته الخمسة والتسعين على أبواب كاتدرائية وتنبرج فى آخر أكتوبر عام ١٥١٧م - البساط من تحت أقدام البابوات، والذين كانت أقوالهم وكتاباتهم وتعاليمهم (التقاليد)[1] المصدر الأول فى المسيحية، وأعاد الصدارة للكتاب المقدس - الذى كانت قراءته، علاوة على اقتنائه، فى ذلك الوقت محرمة إلا على رجال الكنيسة - فانتشر الكتاب المقدس وبدأت ترجماته إلى اللغات الحية الألمانية والإنجليزية والفرنسية وغيرها، فى الظهور، ثم الانتشار . ومع العودة إلى تقديم الكتاب المقدس عند البروتستانت، **عادت إلى الصدارة ثانيًا عقائد: شعب الله المختار - أرض الميعاد وجبل صهيون - عودة المسيح لتأسيس مملكة الله على الأرض ليحكم العالم من أورشليم - معركة هرمجدون.**

يشترك اليهود مع البروتستانت فى محورية معظم تلك العقائد، والتى أصلها فى العهد القديم من الكتاب المقدس[2]، وإن أضافت رؤيا يوحنا -

---

(١) ويمكن تشبيه التقاليد فى المسيحية بالسنة فى الإسلام.

(٢) يتكون الكتاب المقدس من العهد القديم، وهو النص المقدس المرجعى لدى اليهود والمسيحيين، وهو أكثر من ألف ومائة صفحة، ثم العهد الجديد، وهو النص المقدس المرجعى للمسيحيين فقط، فلا يؤمن به اليهود، ولا يؤمنون بعيسى - عليه السلام. والكتاب المقدس حافل بالنبوءات عن خراب أورشليم بسبب فساد أهلها، ثم عودتها فى نهاية الزمان لتكون مملكة الرب على الأرض. والعهد الجديد حافل بالنصوص التى تُفسر على أنها تحقيق لنبوءات العهد القديم، أو «**ليتم ما جاء فى الكتاب**» الذى هو العهد =

عند الأصوليين البروتستانت - ما هو أخطر من ذلك، وهو حرب يموت فيها عشرات الملايين من البشر [1].

أصبح العهد القديم، بعد قيام البروتستانتية، مرجعًا أصليًا، وأصبحت عودة إسرائيل إلى أرض الميعاد بشارة بقدوم المسيح، ودليلاً على صحة الكتاب المقدس ومرجعيته.

اكتسب بنو إسرائيل أهمية جديدة، حتى ولو بصفتهم أداة لعودة المسيح، وقيام مملكته على الأرض.

كذلك أصبح تاريخ بنى إسرائيل، أو العبرانيين القدامى، مثالاً يحتذى به الأمريكيون المهاجرون، أو شعب الله الجديد المهاجر إلى أورشليم الجديدة، أو أرض الميعاد الجديدة، أمريكا.

ومنذ منتصف القرن الماضي - وخاصة بعد حرب ١٩٦٧م والتى كانت بمثابة معجزة إلهية لدى الأصوليين المسيحيين واليهود - لا يتكلم ولا يكتب مفكر أو عالم أمريكى عن الحضارة المسيحية أو القيم المسيحية، ولكن عن الحضارة اليهومسيحية وقيمها. بل إن العديد منهم يقول بأن القيم والأخلاق والحضارة اليهودية، هى أساس قيم وأخلاق وحضارة أمريكا، إن لم يكن الغرب، فعلى سبيل المثال لا الحصر، جاء فى كتاب «أمريكا والأرض المقدسة» - موشى داڤيز صفحة ٥ :

= القديم. منها نبوءات عن ميلاد المسيح، ومنها عن رسالته ودخوله أورشليم، **كملك لليهود، وابن داود، ويملك إلى الأبد، ولا تكون لملكه نهاية**. وتصل النبوءات إلى ذروتها فى رؤيا يوحنا آخر أسفار العهد الجديد، والتى تتكلم عن **معركة هرمجدون التى تسيل فيها الدماء: «... وجرى أنهارًا حتى إلى لجم الخيل (ارتفاع ألجمة الخيل) مسافة ألف وست مئة غلوة (نحو ٣٠٠ كيلومتر، كما جاء فى شرح كتاب الحياة)» - رؤيا يوحنا الإصحاح ١٤ : ٢٠.**

(١) التفسيرات المتداولة بين الإيڤانجليكيين (الذين يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس، وتفسيره الحرفى، والذين يتراوح عددهم فى الولايات المتحدة ما بين ٤٠ إلى ٥٠ مليونًا) تذكر عشرات الملايين من القتلى، ويرتفع الرقم عند بعضهم إلى ٢٠٠ مليون قتيل، وعند البعض الآخر: كل البشر عدا ١٤٤٠٠٠ يهودى.

«التوراة فى المعتقدات الأمريكية هى مصدر الإيمان. فلغتها وخيالاتها وتوجيهاتها الأخلاقية تشكل جزءاً لا يتجزأ من الشخصية الأمريكية.

والأنبياء والوثنيون والملوك والعامة الذين عاشوا فى إسرائيل القديمة، نهضوا للقيام بأدوار معاصرة فى التاريخ الأمريكى، فى أيامه المشرقة والعصيبة على حد سواء».

وأما فى كتاب «كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والإيڤانجليكية»(*) - چورچ إم. مارسدن، فقد جاء فى صفحة ٩٩ :

«... ربما كان التأثير السياسى الأعظم للإيڤانجليكية على السياسة الأمريكية خلال الخمسين عامًا الماضية، هو فى دورها الخاص بتوسيع القاعدة الشعبية الخاصة بالدعم شبه الكامل وغير القابل للتحول لدولة إسرائيل. تركز تعاليم عقيدة «المرحلية» ذات الانتشار الواسع داخل الحركة منذ ثلاثينيات القرن العشرين، على التنبؤ بأن دولة إسرائيل سوف تلعب دوراً جوهريًا فى خطة الله الخاصة بالآخرة، حتى إن معظم هؤلاء الإيڤانجليكيين الجدد الذين هجروا تفاصيل «المرحلية» لا يزالون يحملون إيمانًا لا يتزعزع بدور إسرائيل الذى قدره الله لها، ويحظى هذا الاعتقاد بشعبية جارفة فى أمريكا».

* * *

(*) من منشورات مكتبة الشروق الدولية - ٢٠٠٥م.

الأساس النظرى
العهد القديم من الكتاب المقدس

اليهودية دين سماوى كتابى. أنزل الله على موسى - عليه السلام- التوراة، وهى الأسفار الخمسة الأولى فى الكتاب المقدس، وأرسل بعد موسى كثيراً من الرسل لبنى إسرائيل (يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام) وكان آخر الرسل إليهم المسيح - عليه السلام.

لم يعترف اليهود - قديمًا ولا حديثًا - بالمسيح، ولا بميلاده الإعجازى بدون أب، واعتبروا ذلك سفاحًا، واعتبروا معجزاته سحراً وألاعيب شيطانية.

ويضع اليهود نبى الله داود فى مكانة عالية جدّاً، فهو النبى الكامل والرجل الكامل.

تتكون أسفار موسى الخمسة، وهى التوراة، من: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد (إحصاء قبائل إسرائيل) سفر التثنية (تكرار الشريعة).

يتحدث سفر التكوين عن خلق الكون، وخلق آدم، ومن ضلعه خلق الله حواء[1]، وكيف أغوت الحية حواء[2] لتأكل من شجرة المعرفة[3] ثم كان ثمرة الخطيئة النزول إلى الأرض كعقاب على ذلك الفعل[4].

(١) وتسرب ذلك إلى بعض مصادر التراث الإسلامى، على الرغم من أن هذا الكلام ليس له أساس صحيح صريح من قرآن ولا سنة.

(٢) يتشابه النص القرآنى مع نص التوراة، ولكن يختلف فى بعض النقاط، فمثلاً يذكر القرآن أن الشيطان وسوس لآدم مرة ولآدم وحواء مرة أخرى، فآدم متلق لوسوسة الشيطان مرتين وحواء مرة واحدة، مما يوحى بأن آدم هو المسئول عن الأكل من الشجرة، أو الاثنين معًا، وليست حواء وحدها، كما جاء فى التوراة.

(٣) تختلف الرواية القرآنية هنا عن رواية الكتاب المقدس، فالشجرة المحرمة التى أغوى بها إبليس آدم، أو آدم وحواء، هى شجرة الخلد وملك لا يبلى، وليست شجرة المعرفة، بل إن الله أمر الملائكة أن تسجد لآدم تكريمًا للعلم الذى أودعه الله إياه.

(٤) وجدير بالذكر أن القصة القرآنية تختلف عن القصة التوراتية، وأن المشيئة الإلهية من البداية هى جعل آدم خليفة فى الأرض.

وعلى هذا، فليس وجود البشر من أبناء وأحفاد آدم على الأرض عقوبة لهم، وإنما تكريم بجعلهم خلفاء لله على الأرض. فى التوراة يتفقد الله آثام الآباء إلى أحفادهم فى الجيل الثالث والرابع، بينما فى القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

يروى سفر التكوين قصص الأنبياء: نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، إسحاق ويعقوب وأولاده، ومنهم يوسف وحسد إخوته له وبيعه فى مصر، ثم قصته مع امرأة العزيز - فوطيفار فى الكتاب المقدس - وتوليه خزائن مصر، والمجاعة التى ألجأت يعقوب وبنيه - عليهم السلام - إلى مصر، وينتهى السفر بموت يوسف - عليه السلام.

وهناك عدة أحداث كاشفة جديرة بالذكر تبين علاقة الله ببنى إسرائيل وبالبشر كما جاءت فى سفر التكوين:

طرد الإنسان من الجنة

ثم قال الرب الإله: «**ها الإنسان قد صار كواحد منا**، يميز بين الخير والشر، وقد يمد يده ويتناول من شجرة الحياة ويأكل، فيحيا إلى الأبد». فأخرجه من جنة عدن ليفلح الأرض التى أخذ من ترابها. وهكذا طرد الله الإنسان من جنة عدن، وأقام ملائكة الكروبيم وسيفًا ناريًا متقلبًا شرقى الجنة لحراسة الطريق المفضية إلى «شجرة الحياة» - الإصحاح ٣: ٢٢.

لعن كنعان ومباركة سام

واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرمًا، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانيين عُرْى أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجًا. فأخذ سام ويافث رداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا القهقرى إلى داخل الخيمة، وسترا عُرْى أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيبصرا عريه.

وعندما أفاق نوح من سكره وعلم ما فعله به ابنُهُ الصغير قال: «**ليكن كنعان ملعونًا، وليكن عبد العبيد لإخوته**». ثم قال: «تبارك الله إله سام. **وليكن كنعان عبدًا له**. ليوسع الله ليافث فيسكن فى خيام سام. **وليكن كنعان عبدًا له**» - الإصحاح ٩: ٢٠ - ٢٧.

برج بابل

وكان أهل الأرض جميعًا يتكلمون أولاً بلسان واحد ولغة واحدة. وإذ ارتحلوا شرقًا وجدوا سهلاً فى أرض شِنْعَارَ فاستوطنوا هناك. فقال بعضهم لبعض: «هيا نصنع

طوبًا مشويًا أحسن شيّ». فاستبدلوا الحجارة بالطوب، والطين بالزفت. ثم قالوا: «هيا نشيِّد لأنفسنا مدينة وبرجًا يبلغ رأسه السماء، فنخلّد لنا اسمًا لئلا نتشتت على وجه الأرض كلها». ونزل الرب ليشهد المدينة والبرج اللذين شرع بنو البشر فى بنائهما. فقال الرب: «إن كانوا كشعب واحد ينطقون بلغة واحدة، قد عملوا هذا منذ أول الأمر، فلن يمتنع إذًا عليهم أى شيء عزموا على فعله. **هيا ننزل إليهم ونُبَلْبل لسانَهم**، حتى لا يفهم بعضهم كلام بعض». وهكذا شتتهم الرب من هناك على سطح الأرض كلها، فكفوا عن بناء المدينة، لذلك سميت المدينة «بابل»؛ لأن الرب بَلْبَلَ لسان أهل كل الأرض، وبالتالى شتتهم من هناك فى أرجاء الأرض كلها-الإصحاح ١١: ١-٩.

الوعد بأرض

فى ذلك اليوم عقد الله ميثاقًا مع أبرام قائلاً: «**سأعطى نسلك هذه الأرض من وادى العريش إلى النهر الكبير**، نهر الفرات أرض القينيين والقنزيين، والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين»-١٥: ١٨-٢١.

يعقوب يصارع فى فنيئيل

ثم قام فى تلك الليلة وصحب معه زوجتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر بهم مَخَاضَة يَبُّوق، ولما أجازهم وكلَّ ما له عَبْرَ الوادى، وبقى وحده، **صارعه إنسان حتى مطلع الفجر**.

وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب، ضربه على حُقِّ فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب فى مصارعته معه. وقال له: «أطلقنى، فقد طلع الفجر». فأجابه يعقوب: «لا أطلقك حتى تباركنى». فسأله: «ما اسمك؟» فأجاب: «يعقوب». فقال: «لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب، بل إسرائيل (ومعناه: يجاهد مع الله)؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقَدَرْتَ». فسأله يعقوب: «أخبرنى ما اسمك؟» فقال: «لماذا تسأل عن اسمى؟» وباركه هناك. ودعا يعقوب اسم المكان فنيئيل

(ومعناه: وجه الله) إذ قال: «لأنى شاهدت الله وجهًا لوجه وبقيت حيًا»[1].

الإصحاح ٣٢: ٢٢-٣٠

* * *

أما سفر الخروج، فهو يروى قصة بنى إسرائيل فى مصر، وما ذاقوه من عبودية فرعون، حتى بعث الله موسى - عليه السلام - . وأجرى على يديه الآيات الإلهية، حتى خرج مع المؤمنين به من مصر إلى سيناء، حيث تاهوا أربعين سنة بسبب عصيان بنى إسرائيل.

وفى جبل سيناء، أنزل الله على نبيه وكليمه موسى - عليه السلام - ألواح الشريعة، وهى طبقًا لنص العهد القديم من الكتاب المقدس، سفر الخروج:

الوصايا العشر

ثم نطق الله بجميع هذه الأقوال: «أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك. لا يكن لك آلهة أخرى سواى. لا تنحت لك تمثالاً، ولا تصنع صورة ما مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من أسفل الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن؛ لأنى أنا الرب إلهك، إله غيور، أفتقد آثام الآباء فى البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مُبْغضى، وأبدى إحسانًا نحو ألوف من محبى الذين يطيعون وصاياى. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً؛ لأن الرب يعاقب من نطق باسمه باطلاً، اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك، أما اليوم السابع فتجعله سبتًا للرب إلهك، فلا تقم فيه بأى عمل أنت أو ابنك أو ابنتك أو عبدك أو أمتك أو بهيمتك أو النزيل المقيم داخل أبوابك. لأن الرب قد صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها فى ستة أيام، ثم استراح فى اليوم السابع. لهذا بارك الرب يوم السبت وجعله مقدسًا. أكرم أباك وأمك لكى يطول عمرك فى الأرض التى يهبك إياها الرب إلهك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد زورًا على جارك.

---

(١) الرجل الذى صارعه يعقوب هو الله، طبقًا للعهد القديم وشروحه.

لا تشته بيت جارك، ولا زوجته، ، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئًا مما له ـ الإصحاح ٢٠ : ١ ـ ١٧ .

مع مجموعة أخرى من الأحكام ـ طبقًا للكتاب المقدس ـ منها ما يلى :

أحكام مختصة بالعبيد

وهذه هى الأحكام التى تضعها أمامهم : إن اشتريت عبدًا عبرانيّا فليخدمك ست سنوات، وفى السنة السابعة تطلقه حرّا مجانًا وإذا اشتريته وهو أعزب يُطْلَقُ وحده . وإن اشتريته وهو بعل امرأة، تُطْلَق زوجته معه . وإن وهبه مولاه زوجة وأنجبت له بنين وبنات، فإن زوجته وأولادها يكونون ملكًا لسيده، وهو يطلق وحده حرّا . لكن إن قال العبد : «أحب مولاى وزوجتى وأولادى، ولا أريد أن أخرج حرّا» . يأخذه سيده إلى قضاة المدينة، ثم يقيمه لصق الباب أو قائمته، ويثقب أذنه بمخرز ، فيصبح خادمًا له مدى الحياة . **ولكن إذا باع رجل ابنته كأمة**، فإنها لا تطلق حرة كما يطلق العبد . فإذا لم تَرُقْ لمولاها الذى خطبها لنفسه، يسمح بافتدائها، ولا يحق له أن يبيعها لقوم أجانب؛ لأنه غدر بها فلم يتزوجها، وإن خطبها لابنه فإنه يعاملها كابنة له . أما إذا أعجبته وتزوجها، ثم عاد فتزوج من أخرى، فإنه لا ينقِّصُ شيئًا من طعامها وكسوتها ومعاشرتها، فإذا قصَّر فى واحد من هذه الأشياء الثلاثة، عليه أن يُطْلقها حرة مجانًا . ـ الإصحاح ٢١ : ١ ـ ١١ .

* * *

أما سفر اللاويين، وهو ثالث أسفار التوراة والكتاب المقدس، فهو خاص بذبائح وتقدمات التكفير عن الذنوب والخطايا، ومسح الكهنة وتنظيم عملهم، مع بعض أحكام عن طهارة المرأة وأمراض الجلد .

يأتى بعد ذلك **سفر العدد** وفيه أعداد كل سبط ـ بأسمائهم ـ وهو يروى رحلة بنى إسرائيل من سيناء إلى أرض كنعان والتيه أربعين سنة، **ثم بداية معارك بنى إسرائيل، فى سبيل أرض الميعاد، ويأتى الآتى تحت عنوان:**

تطهير المحاربين وقتل النساء الأسيرات

فخرج موسى وألعازار وكل قادة إسرائيل لاستقبالهم إلى خارج المخيم، فأبدى موسى سخطه على قادة الجيش من رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من الحرب، وقال لهم: «**لماذا استحييتم النساء؟** إنهن باتباعهن نصيحة بلعام أغوين بنى إسرائيل لعبادة فَغُور، وكن سبب خيانة للرب، فتفشى الوباء فى جماعة الرب. **فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا أيضًا كل امرأة ضاجعت رجلاً، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً**. وأما أنتم فامكثوا خارج المخيم سبعة أيام، وعلى كل من قتل نفسًا، ومن لمس قتيلاً أن يتطهر فى اليوم الثالث، وفى اليوم السابع. افعلوا هذا أنتم وسباياكم. وكذلك طهروا كل ثوب، وكل متاع جلدى، وكل ما هو مصنوع من شعر المعز وكل آنية من خشب. . . . **فتكونوا طاهرين**، وبعد ذلك تدخلون المخيم» ـ الإصحاح ٣١: ١٣ ـ ٢٤.

* * *

وآخر أسفار التوراة هو **سفر التثنية**، بمعنى تكرار الشريعة، وخاصة الوصايا العشر، وفيه استمرار لرواية ما حدث لنبى الله موسى مع بنى إسرائيل فى رحلتهم، وتكرار تذمرهم وعصيانهم، مع مزيد من المعارك، ثم نقرأ ما يلى:

التحذير من مخالطة الأمم وعبادة الأصنام

ومتى أدخلكم الرب إلهكم إلى الأرض التى أنتم ماضون إليها لترثوها، وطرد من أمامكم سبع أمم، أكثر وأعظم منكم، وهم الحثيون والجرجاشيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحوِّيون واليبوسيون. وأسلمهم الرب إليكم وهزمتموهم، **فإنكم تحرِّمونهم. لا تقطعوا لهم عهدًا، ولا ترفقوا بهم، ولا تصاهروهم. فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم، ولا أبناءكم من بناتهم**، إذ يغوون أبناءكم عن عبادتى ليعبدوا آلهة أخرى، فيحتدم غضب الرب عليكم ويهلككم سريعًا، **ولكن هذا ما تفعلونه بهم: اهدموا مذابحهم وحطموا أصنامهم وقطعوا سواريهم وأحرقوا تماثيلهم**.

ـ الإصحاح ٧: ١ ـ ٥.

شعب مقدس

لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم. فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص. ولم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثر عدداً من سائر الشعوب، فأنتم أقل الأمم عدداً. بل من محبته، وحفاظًا على القسم الذى أقسم به لآبائكم، أخرجكم بقوة فائقة، وفداكم من نير عبودية فرعون ملك مصر. فاعلموا أن الرب إلهكم هو الله، الإله الأمين الوفى بالعهد والإحسان لمحبيه وحافظى وصاياه إلى ألف جيل.

وهو يجازى مبغضيه علنًا، فيستأصلهم ولا يتمهل، بل يسرع فى معاقبة من يبغضه. فأطيعوا الوصايا والفرائض والأحكام التى أوصيكم بها اليوم لتمارسوها.

فإن استمعتم إلى هذه الأحكام وأطعتموها وعملتم بها، فإن الرب إلهكم يحافظ لكم على العهد والإحسان كما حلف لآبائكم. ويحبكم ويبارككم ويكثّركم، ويبارك ثمرة أحشائكم وغلة أرضكم من قمح وزيت، ويزيد من إنتاج بقركم ونعاجكم على الأرض التى أقسم لآبائكم أن يهبها لكم. وتكونون مباركين أكثر من جميع الشعوب، فلا يوجد عقيم ولا عاقر فيكم ولا فى بهائمكم.

ويقيكم الرب من كل علة، وكل أمراض مصر الخبيثة التى عاينتموها، ولا يصيبكم بها، بل يجعلها على مبغضيكم. **وتستأصلون جميع الشعوب الذين يسلمهم الرب إليكم، فلا تشفقوا عليهم ولا تعبدوا آلهتهم لأن ذلك شرك لكم.** ـ الإصحاح ٧ : ٦ ـ ١٦ .

وعد الله بهزيمة الأمم

وإن تساءلتم فى قلوبكم: إن هذه الشعوب أكثر منَّا عدداً، فكيف نقدر أن نطردهم؟ لا تخافوا منهم بل اذكروا ما صنعه الرب إلهكم بفرعون وسائر المصريين. اذكروا الويلات العظيمة التى شهدتها أعينكم والمعجزات والعجائب والقوة الشديدة والقدرة الفائقة التى أخرجكم بها الرب إلهكم، فهكذا يفعل الرب إلهكم بجميع الأمم التى تخشونها.

ويرسل عليهم الرب إلهكم الزنابير ويبيد الباقين والمحتجبين من وجهكم. لا ترهبوهم؛ لأن الرب إلهكم الحال بينكم إله عظيم ومرهوب. غير أن الرب إلهكم سيطرد تلك الأمم من أمامكم تدريجيًا؛ لئلا تتكاثر عليكم وحوش البرية إن أسرعتم بالقضاء عليهم دفعة واحدة.

إن الرب إلهكم يسلمهم إليكم موقعًا بهم الاضطراب العظيم حتى ينقرضوا، ويجعل ملوكهم يقعون فى أسركم فتمحون اسمهم من الأرض. ولن يقدر أحد أن يجابهكم، فإنكم تفنونهم. أحرقوا تماثيل آلهتهم ولا تشتهوا ما عليها من فضة وذهب فتغنموها لأنفسكم؛ لئلا تقتنصكم؛ لأنها رجس عند الرب إلهكم.

لا تدخلوا شيئًا رجسًا إلى بيوتكم؛ لئلا تصبحوا أهلاً للدمار مثله، بل عليكم أن تستقبحوه وتمقتوه؛ لأن مآله الدمار. - الإصحاح ٧ : ١٧ - ٢٦.

شرائع حصار وفتح المدن البعيدة

وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً. **فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيدًا لكم.** وإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها فإذا أسقطها الرب إلهكم فى أيديكم، **فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما فى المدينة من أسلاب، فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التى وهبها الرب إلهكم لكم. هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم التى ليست من مدن الأمم القاطنة هنا.** - الإصحاح ٢٠ : ١٠ - ١٥.

شرائع حصار وفتح مدن أرض الموعد

أما مدن الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا، **فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها**، كمدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمركم الرب إلهكم، لكى لا يعلّموكم رجاساتهم التى مارسوها فى عبادة آلهتهم، فتغووا وراءهم وتخطئوا إلى الرب إلهكم. - الإصحاح ٢٠ : ١٦ - ١٨.

إذا لجأ إليكم عبد هارب من مولاه، لا تسلموه إلى مولاه، بل يقيم حيث يطيب له في الموضع الذى يختاره فى إحدى مدنكم ولا تظلموه.

لا يكن من بنات إسرائيل ولا من أبناء إسرائيل زانيات ومأبُونُو معابد. لا تأتوا بتقدمة نذر ما إلى بيت الرب إلهكم من مكسب زانية أو مأبون؛ لأن كليهما رجس أمام الرب.

لا تتقاضوا فوائد عما تقرضونه لإخوتكم من بنى إسرائيل، سواء كانت القروض فضة أو أطعمة أو أى شىء آخر.

أما الأجنبى فأقرضوه بربًا[١]. **إنما إياكم إقراض أخيكم بفائدة**، ليباركم الرّب إلهكم فى كل ما تنتجه أيديكم فى الأرض التى أنتم ماضون لامتلاكها.

- الإصحاح ٢٣: ١٥ - ٢٠.

* * *

ثم ينتهى السفر بوفاة موسى - عليه السلام - . طبقًا للنص الآتى: . . فمات موسى عبد الرب فى أرض موآب بموجب قول الرب ودفنه فى الوادى فى أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف أحد قبره إلى هذا اليوم[٢]. - الإصحاح ٣٤: ٥ - ٦.

ونلاحظ أيضًا، أن أسفار موسى الخمسة لم تذكر على الإطلاق مفهوم البعث بعد الموت، ومحاسبة الله البشر على أعمالهم وثوابهم أو عقابهم على ذلك، **فالجنة هى أرض الميعاد.**

وفى سفر يشوع - ويشوع هو فتى موسى - عليه السلام - الذى خلفه على بنى إسرائيل، وسفر يشوع هو أول الأسفار التالية للتوراة - يتكرر الأمر **الإلهى بقتل كل من فى المدينة من رجال ونساء وشيوخ وأطفال، وحتى البهائم، لا لشىء إلا لأنهم غير يهود.**

---

(١) من هنا، ومن غيره من النصوص، أسقطت الأصولية اليهودية كل حقوق الأغيار، واعتبرت أن نهى الوصايا العشر عن القتل والسرقة وشهادة الزور. . وما إلى ذلك، إنما هو بالنسبة لليهود فقط، ولا يسرى على قتل الأغيار أو سرقتهم أو شهادة الزور عليهم.

(٢) عند الأصوليين من اليهود والمسيحيين، وعند الإيفانجليكين المسيحيين، الكتاب المقدس هو كلمة الله الصحيحة التى لا يطولها الخطأ، وتؤخذ نصوصه حرفيًا، وموسى - عليه السلام - هو الذى كتبها بخط يده.

دولة إسرائيل

التطبيق العملى

منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٧م، ودور الأحزاب الدينية والعامل الدينى فيها بارز للعيان.

بل فى الحقيقة، تم اختيار فلسطين لأنها أرض الميعاد، واتخذت الدولة اسم إسرائيل، وهو اسم نبى الله يعقوب كما جاء فى العهد القديم، **فهى الدولة الوحيدة فى العالم التى اسمها اسم نبى**.

فأساس قيامها هو دينى، من عمل الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية بالإضافة إلى عوامل أخرى.

وللأصولية اليهودية تأثيرها البالغ على الحياة داخل إسرائيل، وعلى سياستها الخارجية وتعاملها مع الغير بصفة عامة، وبالنسبة لأرض إسرائيل والمستوطنات بصفة خاصة، وبالتالى علاقتها مع الفلسطينيين والعرب، وإيران بسبب دعمها للفلسطينيين وحزب الله جنوب بيروت.

واليهود العلمانيون - داخل إسرائيل وخارجها - يتركون من اليهودية ما شاءوا، ولكن يتمسكون أشد التمسك بثلاثة مبادئ:

أولاً: اليهود هم شعب الله المختار، حتى العلمانيون والملحدون منهم.

ثانيًا: أرض الميعاد.

ثالثًا: انتظار ظهور المسيح وقيام مملكة اليهود لتحكم العالم من القدس[1].

فهذا بن جوريون يقول: الكتاب المقدس هو صك ملكيتنا للأرض المقدسة، ويقول بعد حرب ١٩٥٦م: قد حررنا سيناء.

(١) تشترك الأصولية المسيحية مع الأصولية اليهودية فى المعتقدات الثلاثة، مع اعتقاد الأصوليين المسيحيين فى أمريكا وبريطانيا واستراليا (الأنجلوساكسون)، أنهم شعب الله المختار الجديد.

وها هو شلومو بن عامى وزير الخارجية فى آخر حكومة لحزب العمل يقول لعمرو موسى أمام أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة: **القدس عاصمة إسرائيل منذ آلاف السنين**، فلما أجابه موسى: ولكن عمر إسرائيل هو خمسون سنة فقط، جاء الرد التوراتى على لسان وزير خارجية حزب العمل: **الكل يعرف أن القدس عاصمة إسرائيل منذ آلاف السنين، فذلك قول الكتاب المقدس.**

ونرى وزير العدل الإسرائيلى على شاشة الـ CNN يقول قبيل وفاة عرفات: لا يمكن دفن الإرهابى عرفات فى أرض دُفن فيها ملوك بنى إسرائيل ويقصد بذلك القدس.

أما نتنياهو وشارون، ومن قبلهم بيجن... فأولئك مثل ملوك إسرائيل التوراتية.. يرفضون وينكرون الفلسطينى ويصرحون بذلك علنًا، ولهم خططهم لإقامة إسرائيل الكبرى، ولو على مراحل.

وسوف نستكشف ملامح الأصولية اليهودية، وهى تتكلم، وهى تحت العمل، بالاستعانة بمرجع يهودى، فننقل قليلاً من نصوص كتاب «**الأصولية اليهودية فى إسرائيل**» وهو من تأليف اليهوديين: إسرائيل شاحاك ونورتون ميزڤينسكى... الأول إسرائيلى الجنسية، توفى مطلع القرن الحالى، والثانى أمريكى الجنسية يدرس تاريخ الشرق الأوسط فى الولايات المتحدة[1] وكل المادة الآتية حتى نهاية الفصل، هى من الكتاب المذكور:

* ... لأن الأصولية الإسلامية كانت دائمًا مرادفة للإرهاب العربى، فإنها تحصل على نصيب وافر من كراهية العالم غير الإسلامى. ولأن الأصولية المسيحية مصحوبة دائمًا بالجهل والسطحية وعدم التسامح والتمييز العنصرى، فقد أصبحت هدفًا لبغض الصفوة الثقافية والحضارية فى الولايات المتحدة. **وأدت الزيادة الكبيرة فى أعداد معتنقيها مؤخرًا [الأصولية المسيحية]، إلى جانب اتساع نفوذها السياسى، إلى تحول الأصولية المسيحية إلى خطر حقيقى على الديموقراطية فى الولايات المتحدة.**

وعلى الرغم من احتوائها على كل السمات للأصولية الإسلامية والمسيحية، فإن الأصولية اليهودية مجهولة خارج إسرائيل. وحينما يتم العلم بها، يتم

(1) الكتاب من منشورات «بلوتو» البريطانية، صدرت له طبعتان الأولى عام ١٩٩٩م، والثانية عام ٢٠٠٤م، ونشرته مكتبة الشروق الدولية باللغة العربية عام ٢٠٠٤م.

التقليل من أهميتها إلى أدنى حد أو اختزالها فى الممارسات الدينية السرية والزى اليهودى التقليدى، وذلك ـ غالبًا ـ من خلال المعلقين غير الإسرائيليين الذين يرون الشرور الكامنة فى أبناء عمومتها الأصولية الإسلامية والأصولية المسيحية.

وباعتبارنا دارسين للمجتمع المعاصر، وكيهوديين، أحدنا إسرائيلى والآخر أمريكى، وبما لدينا من التزامات وارتباطات بالشرق الأوسط، **فإننا لا نستطيع التنصل من رؤية الأصولية اليهودية فى إسرائيل كعائق جوهرى أمام السلام فى المنطقة. كما أننا لا نستطيع تجاهل الخطر الداهم للأصولية اليهودية على السلام وعلى ضحاياها** من خلال أولئك الذين يعرفونها معرفة جيدة، وسرعان ما يشيرون بأصابع الاتهام إلى العنف الكامن فى المناهج الأصولية الأخرى.

. . . كما أننا سنركز بشكل خاص على الاتجاه المسيانى أو المسيحانى (الذى يبشر بظهور المسيح أو المخلص اليهودى وقيام مملكة اليهود).

وذلك لأننا نعتقد أنه الاتجاه الأكثر تأثيراً والأكثر خطورة فى إسرائيل.

* . . . فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، نجد أن الحزب القومى الدينى، الذى يسيطر عليه أنصار الاتجاه المسيانى (المبشر بالخلاص) للأصولية اليهودية، يعارض بشكل مستمر أى انسحاب من الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى عام ١٩٦٧م.

وقد عارض هؤلاء الأصوليون الانسحاب الإسرائيلى من سيناء عام ١٩٧٨م، وبعد مرور عشرين عامًا على ذلك ما زالوا يعارضون أى انسحاب من الضفة الغربية . . . **قاموا بطباعة وتوزيع أطلس يبيّن أرض إسرائيل المزعومة، التى تنتمى فى رأيهم لليهود وتنتظر التحرير وتشتمل على سيناء والأردن ولبنان ومعظم سوريا** . . . كما دافع الأصوليون اليهود عن المقترحات المسرفة في التمييز العنصرى ضد الفلسطينيين.

إذن لا عجب أن باروخ جولدشتاين وإيجال عامير، أشهر السفاحين اليهود فى التسعينيات ومعظم المعجبين بهما كانوا من الأصوليين اليهود ذوى النزعة المسيانية.

* . . . الفرق بين روح اليهود وأرواح غير اليهود أكبر وأعمق من الفرق بين روح الإنسان وأرواح البهائم ـ الحاخام الأعظم كوك.

* . . . وتبعًا للقبالاه اللوريانية، فإن الله خلق العالم فقط من أجل اليهود، ووجود غير اليهود هو أمر ثانوى. . .

* . . . وقبل وقت قليل من اغتيال رابين، تنبأ مقال فى جريدة «هاشا فوع» «الأسبوع»، وهى من أكثر الصحف الدينية انتشاراً بما يلى:

«سوف يأتى اليوم الذى يسوق فيه اليهود رابين وبيريز إلى منصة الاتهام فى المحكمة، حيث يكون أمامهما خياران لا ثالث لهما، وهما إما الشنق أو مستشفى الأمراض العقلية، فهذا الثنائى المجنون الشرير إما أنه أصابه الجنون أو أصابه داء الخيانة. فقد ضمن رابين وبيريز مكانهما فى الذاكرة اليهودية كيهوديين شريرين من أسوأ أنواع الأشرار. فهما يشبهان المارقين أو اليهود الذين خدموا النازى».

* . . . . **بل قال إسرائيل فريدمان فى فبراير ١٩٩٦م: إن أرض إسرائيل تنتمى فقط إلى الحريديم، وإن اليهود العلمانيين والفلسطينيين يجب أن يغادروها. ويقول فريدمان فى مقاله مخاطبًا اليهود العلمانيين:**

«ابتعدوا عن هنا. . إننا نقول لكم ذلك بطريقة ودية، الجريمة الأمريكية يمكنها بسهولة أن تستوعب الشباب العلمانى المجرم الغارق فى الكحول والمخدرات والحلقان للرجال. إنهم جميعًا مصاصو دماء يشربون من دمائنا، ويجرءون على العيش على الأرض التى تنتمى إلينا».

● **.... الحاخام أفينرى:**

المحكمة الحاخامية، أو ملك إسرائيل، لديهما سلطة معاقبة أى شخص بالموت إذا اعتقدا أن ذلك يمكن أن يجعل العالم أفضل.

[ثم يتناول الكتاب بالتحليل فى فصلين كاملين مذبحة جولدشتاين، واغتيال رابين، ليبين العقيدة الأصولية وراء ذلك، ورد فعل الشارع والإعلام والحكومة الإسرائيلية. وسنقتصر هنا على مذبحة جولدشتاين، كما جاءت فى نصوص الكتاب]:

• مذبحة جولدشتاين

*** . . . إن قصة المذبحة التي ارتكبها باروخ جولدشتاين فى الحرم الإبراهيمى بالخليل فى ٢٥ فبراير ١٩٩٤م، معروفة جيداً. فقد دخل جولدشتاين إلى المسجد أثناء أداء المسلمين للصلاة، وأطلق النار على المصلين فى ظهورهم، وقتل ٢٩ شخصاً، من بينهم أطفال، وجرح الكثير.**

قام جولدشتاين باعتباره طبيباً يعمل بالجيش الإسرائيلى مراراً وتكراراً بخرق نظام الجيش من خلال رفضه معالجة العرب، حتى الذين يخدمون فى الجيش الإسرائيلى، ولم يوقع عليه أى جزاء، سواء عندما كان فى الخدمة الفعلية أو فى الاحتياط.

جولدشتاين . . . . «إننى لا أرغب فى علاج أى شخص غير يهودى. فأنا لا أعترف سوى بسلطتين دينيتين ميمون وكاهانا»[1].

*** . . . . . أبدت كثير من المصادر إشارة أورين إلى أن موقف جولدشتاين لا يمثل حالة فريدة. فالقصة التى قدمها أورين تكشف عن مدى تغلغل نفوذ الأحزاب الدينية فى الجيش الإسرائيلى. وموقف اليهود الأرثوذكس من غير اليهود، كان ولا يزال يمثل موقفاً مبدئياً بالنسبة للأحزاب الدينية الرئيسية. وعلى ذلك، فإن هذا الموقف كان له تأثير قوى على الجيش الإسرائيلى. علاوة على ذلك، لو كان رابين وقادة الجيش الذين ذكرهم أورين لا يشعرون بأى ميل نحو وجهات نظر كاهانا وجولدشتاين، لما أرخوا العنان للأحزاب الدينية، ولما ضحوا بكل اعتبارات النظام العسكرى.**

. . . . كتب ناحوم بارنيا يقول: **«أبلغنى القائد العسكرى للجيش الإسرائيلى فى منطقة الخليل عن مواجهتين له مع باروخ جولدشتاين. المرة الثانية التى رآه**

---

(١) ميمون هو فقيه يهودى من العصور الوسطى، أما كاهانا فهو الحاخام المتطرف «مائير كاهانا» الذى أسس جماعة «كاهانا» الإرهابية.

فيها كان بصحبة بعض حمقى «كاخ»، حيث كانوا يسبون الرئيس عيزرا وايسمان أثناء زيارته لكريات أربع . أما المرة الأولى التى رآه فيها فكانت بعد أن قام أحد الجنود الإسرائيليين بإصابة أحد العرب المحليين فى ساقيه . وتم إحضار العربى إلى العيادة العسكرية للعلاج، ولكن جولدشتاين رفض علاجه . وكان لا بد من استدعاء طبيب عسكرى آخر؛ لكى يحل محل جولدشتاين . ولم يوضح الضابط لماذا لم يتم تنزيل رتبته، ولكن سمح له بالاستمرار فى أداء واجباته فى الاحتياط .

رفض جولد شتاين من حيث المبدأ علاج غير اليهود قبل سنوات طوال من المذبحة .

فالهالاخاه[1] تقول : إن الطبيب اليهودى الورع يمكنه أن يعالج الأغيار عندما يكون من المحتمل الإبلاغ عن سلوكه إلى السلطات [المقصود الحكومات التى يعيش اليهود فى دولها كأقليات]، ويؤدى ذلك إلى حدوث متاعب له أو ليهود آخرين . وهناك سبب للاعتقاد بأنه عندما يضطر طبيب ورع مثل جولدشتاين أن يعالج عربًا فإنه يتصرف على النحو الذى تصرف به .

. . . . خلال اليومين اللاحقين على المذبحة، تمت تغطية حوائط الأحياء الدينية فى القدس الغربية «والكثير من الأحياء الدينية الأخرى ولكن بدرجة أقل» بالملصقات التى تمجد فضائل جولدشتاين، وتأسف لأنه لم يقتل المزيد من العرب . وقام أطفال المستوطنين اليهود الذين جاءوا إلى القدس بارتداء ملابس رياضية لمدة شهور بعد المذبحة كتب عليها «جولدشتاين شفى أوجاع إسرائيل» .

كما تحول العديد من الحفلات الموسيقية الدينية ومناسبات أخرى إلى تظاهرات لتحية جولدشتاين . وقامت الصحافة العبرية بتسجيل هذه الاحتفالات الشعبية بالتفصيل الممل . ولم يقم أى سياسى بارز بالاحتجاج على هذه الاحتفالات .

---

(١) الشريعة .

* . . . . كان الرئيس وايسمان هو الأكثر مبالغة فى التعبير عن مدى أسفه لحدوث المذبحة، وكان وايسمان أيضًا، كما كتب عوزى بنزيمان فى مقاله بجريدة «ها آرتس» فى ٤ مارس ١٩٩٤م، **منخرطًا فى مفاوضات مطولة وودية مع عائلة جولدشتاين ورفاقه فى كاخ من أجل إعداد جنازة مشرفة تليق بالقاتل.**
* **. . . تبنى وايسمان موقفًا مؤداه، كما ذكر بنزيمان: «أن الجيش يجب أن يبدى احترامه لرغبات ومشاعر المستوطنين وأسرة جولدشتاين».**

وفى النهاية، تم اتخاذ قرار بأن تقام جنازة جماهيرية فى القدس، وأن تقوم الشرطة بإغلاق بعض الشوارع الأكثر ازدحامًا أمام المرور إكرامًا لجولدشتاين. وبعد ذلك يتم دفن القاتل فى كريات أربع عبر امتداد طريق كاهانا.

وكما جاء فى عدد صحيفة «چيروزاليم بوست» الصادر فى ٤ مارس ١٩٩٤م، أعلن الحاخام ليور أنه: «بما أن جولدشتاين فعل ما فعل باسم الله، فإنه يجب أن يعتبر رجلاً صالحًا». وقام بنزيمان بتفسير مسلك وايسمان وبطانته قائلاً: «بعد أن وقعت الواقعة يقوم المسئولون بتبرير الأحداث من خلال الحاجة إلى تهدئة المستوطنين» . . . . وبعد الجنازة قام الجيش بتوفير حرس شرف لمقبرة جولدشتاين.
* **. . . أصبحت المقبرة مكانًا يحج إليه، ليس فقط من قبل المستوطنين المتدينين، ولكنه أيضًا من قبل اليهود الأتقياء من كل المدن الإسرائيلية.**

كان الناس المنتظرون وصول الجثمان يرددون:

«ياله من بطل! يا له من رجل صالح! لقد فعل ذلك بالنيابة عنا جميعًا».

وقبل بداية الجنازة، قام مشاهير الحاخامات بتأبين جولدشتاين وأثنوا على القاتل. وقال الحاخام إسرائيل آرييل، على سبيل المثال، : «إن الشهيد المقدس باروخ جولدشتاين هو منذ الآن شفيعنا فى الفردوس. إن جولدشتاين لم يتصرف كفرد، ولكنه سمع صراخ أرض إسرائيل، التى تسلب منا يومًا بعد يوم بواسطة المسلمين. لقد فعل ذلك لكى يغيث الأرض».

وفى نهاية خطبة التأبين، أضاف الحاخام آريل :

«سوف يرث اليهود الأرض ليس من خلال معاهدة سلام ولكن فقط من خلال إراقة الدماء».

*** . . . قامت وحدة كاملة من حرس الحدود بالسير أمام الجنازة وتبعها أعضاء جماعة كاهانا الشباب من القدس الذين كانوا يصرخون قائلين : الموت للعرب.**

* . . . . «منحنى تيران بولاك، أحد زعماء جماعة كاهانا المطلوبين من الشرطة، مقابلة شخصية بالقرب من النعش، **وقال لى : «إن جولدشتاين ليس فقط صالحًا ومقدسًا، ولكنه أيضًا شهيد. وبما أنه شهيد فإن جثمانه يجب أن يدفن دون أن يغسل، ليس فى كفن ولكن فى ثيابه. لقد رفض د. جولدشتاين المبجل دائمًا أن يعالج العرب. وحتى أثناء الحرب من أجل الجليل رفض علاج العرب، حتى من يخدمون بالجيش الإسرائيلى فى ذلك الوقت».**

*** . . . . وتحدثت الصحافة أيضًا عن خطب تأبين أخرى تم إلقاؤها ليس فقط فى المستوطنات الدينية، ولكن أيضًا فى الأحياء الدينية للكثير من المدن الإسرائيلية فى خلال الأيام القليلة اللاحقة على المذبحة، وكتابات الصحف العبرية عن هذه الخطب الخاصة بالتأبين تظهر الإطراء والثناء والمديح الغزير لجولدشتاين، مع المطالبة بالمزيد من المذابح للعرب.**

فتبعًا لما كتبه أوفال كاتس فى مقاله الذى نشر فى ٤ مارس ١٩٩٤م بصحيفة «چيروزاليم پوست» :

من المهم الإشارة إلى أنه، طبقًا لأحد استطلاعات الرأى، أن حوالى ٥٠٪ من اليهود الإسرائيليين يوافقون على المذبحة، ولكن على شرط ألا يطلق عليها وصف مذبحة، ولكن تسمى «عملية الحرم الإبراهيمى»، وهو مصطلح ذو رنين جميل يستخدم بالفعل بواسطة المستوطنين المتدينين.

*** . . . يمكن أن نرى الناس وهم يبتسمون فى سعادة عندما يتحدثون عن المذبحة. وكان التعليق الشعبى السائد هو :**

«بالطبع، يجب لوم جولدشتاين. فقد كان يمكنه الهرب بسهولة وفعل نفس الشيء فى أربعة مساجد أخرى، ولكنه لم يفعل».

ولكنها أكثر تعبيراً فى مقاله المنشور بصحيفة «داڤار» بتاريخ ٤ مارس ١٩٩٤م:

عبارات جولدشتاين المسجلة وعبارات رفاقه تثبت أنهم كانوا يرغبون فى القضاء على مليونى فلسطينى على الأقل عندما تحين الفرصة.

. . . .

. . . .

* . . . **أما جولدشتاين والمعجبون به فلا يهمهم دخول العرب فى اليهودية. فكما تشهد عباراتهم، فإنهم لا يرون فى العرب سوى فئران تنشر الأمراض أو قمل أو أى مخلوقات أخرى كريهة، وهذا تماماً ما كان يؤمن به النازيون من حيث امتلاك الجنس الآرى لكل سمات التفوق التى يتم توارثها، ولكنها يمكن أن تتلوث من خلال الاتصال باليهود الأقذار والمقرفين. وكاهانا، الذى لم يتعلم شيئاً من قوانين نورمبرج، يقول نفس الكلام عن العرب.**

* . . . . وأشار روزنر إلى أن الجمهور أعجب بموعظة جورين، **ولكن كان يفضل، كما يفضل ذلك الكثير من اليهود الإسرائيليين الآخرين، أن يقوم الجيش بتلك المذبحة بدلاً من جولدشتاين.**

. . . . وقامت جولان بوصف رد فعل الشارع عندما انتشرت أنباء المذبحة قائلة:

صرخ رجل الأمن، الذى كان يحمل مسدساً ضخماً فى حزامه ويضع قلنسوة سوداء على رأسه، ويعلق على صدره شارة مكتوباً عليها «فريق أمن بنى براك» وهو يشير إلى أحد جامعى التبرعات: «إنها معجزة عيد البوريم، إنها معجزة. . . .» ثم صرخ بأعلى صوته قائلاً: . . . . «ذلك الرجل المقدس فعل شيئاً عظيماً. . . ٥٢ عربياً بضربة واحدة. . .».

* . . . . مر الجزء الأول من الحفل بسلام، وعلى نحو يفتقر إلى الحماس. فقط بعد الاستراحة، قبل دقائق من ظهور نجم الحفل، جن جنون الحاضرين. فقام منظم الحفل بالنداء على أحد مواطنى كريات أربع لإلقاء خطاب، وبدأ حديثه بالثناء على **«ذلك**

الرجل الصالح والطبيب المقدس، د. جولدشتاين الذى أدى لنا خدمة جليلة واستشهد فى العملية»، وطالب الحضور بتأبينه. وظل الجانب الأعظم من الحضور يلوذون بالصمت، وقام البعض بالهتاف. **رجل واحد فقط، ذو لحية قصيرة ويضع على رأسه قلنسوة مشغولة، قام وصرخ قائلاً: «إننى لا أوافق على ذلك، فهذه جريمة قتل نكراء»، وفى الحال قاموا بالاعتداء عليه**. وصرخ كثير من الجمهور قائلاً: «**اطردوا هذا الكافر من القاعة**»، ولم يعد الهدوء مرة أخرى إلا بعد أن ظهر فى النهاية بن دافيد على المسرح وبدأ الغناء. وبعد أن انتهى الحفل تجمع بعض الناس... . **وتذكروا أن هناك عدداً أكبر من الأغيار قتلوا على يد اليهود فى «سوسا» أثناء البوريم الأصلى «٧٥٠٠٠ قتيل»**.

وزعموا أن هذا هو الوقت المناسب لقتل عدد مقابل من الأغيار فى الأرض المقدسة.

لم يقم آمنون روبنشتاين وزير التعليم وقتها ولا رابين رئيس الوزراء الراحل بتوجيه كلمة واحدة تشجب ما حدث.

وفى ٥ أبريل ١٩٩٤م، أذاع راديو إسرائيل أن الحاخام شيمون بن صهيون قام بتوزيع منشور على مستوطنى كريات أربع والخليل يطلب منهم فيه المساهمة المالية لإصدار كتاب عن «**القديس باروخ جولدشتاين**».

وفى يوم ٦ أبريل قامت «يديعوت أحرونوت» بنشر نص المنشور، ويشير الكتاب إلى جولدشتاين باسم «**الحاخام دكتور باروخ جولدشتاين ذو الذكرى المباركة، الذى سوف ينتقم الله له**».

***

الفصل الخامس

مقدمة فى
الأصولية المسيحية
فى أمريكا

Understanding
FUNDAMENTALISM
and
EVANGELICALISM

(أكثر من ٩٠٪ من مادة هذا الفصل مأخوذة من كتب أمريكية ، وسيجدها القارئ مسجلة فى نهاية الكتاب) .

مقدمة

يرى الكثير منا الولايات المتحدة وشعبها من نافذة التليفزيون والإعلام المصرى، والعربى بصفة عامة، بما يركز عليه من أفلام الشباب والجنس والعنف، وكأن الدين مستبعد من الحياة الأمريكية!

وفى حقيقة الأمر، لقد نشأت أمريكا على أساس دينى. . ففى مطلع القرن السابع عشر هاجر البيوريتانز، و هم طائفة شديدة التدين من البروتستانت، من انجلترا إلى أمريكا فراراً بدينهم؛ ليعبدوا الله بالطريقة التى يرونها.

وقد اعتبر هؤلاء المهاجرون أنفسهم «بنى إسرائيل» الشعب المختار الجديد، أو القديم الجديد، يهاجرون من ملك انجلترا الذى أصبح لديهم بمثابة فرعون لموسى ومن تبعه.

كذلك اعتبروا نيوإنجلاند أورشليم الجديدة. أو بكلمات القس البروتستانتى صمويل ويكمان على ظهر السفينة أرابلا التى حملت البيوريتانز إلى خليج ماساشوستس:

. . . أورشليم كانت، لكن نيوإنجلاند هى الموجودة الآن. . اليهود كانوا، لكنكم أنتم (البيوريتانز) شعب الله المختار الآن، وعهد الله معكم، فضعوا اسم نيوإنجلاند مكان اسم أورشليم.

أما المهاجرون - أو الحجاج كما كان يُطلق عليهم - الذين جاءوا على ظهر السفينة «زهرة مايو - May Flower» فقد تعاهدوا على الميثاق التالى فى ١١ نوفمبر ١٦٢٠م:

باسم الله، نحن الموقعون على هذا، الرعايا المخلصون لمولانا الملك المهيب چيمس. . **حامى الدين، لما كنا قد قمنا بهذه الرحلة تمجيداً لله وإعلاءً لشأن المسيحية،**

وتبجيلاً لمليكنا وأمتنا . . . فإننا بموجب هذا الميثاق نتعاقد بإخلاص أمام الله، ونكون هيئة مدنية سياسية لتحسين أمورنا وصيانة حياتنا وتعزيز هذه الأغراض المذكورة.

. . . .

. . . .

بل فى الواقع التاريخى، إذا رجعنا إلى ما قبل ذلك، لوجدنا لرحلة كريستوفر كولومبس أساسًا دينيًا، بالإضافة للأسباب التجارية، تمثل فى اقتناء **الذهب والفضة لمحاربة المسلمين وتخليص بيت المقدس من أيديهم، مع نشر المسيحية الكاثوليكية فى آسيا** التى كان هدف الرحلة الوصول إليها بالإبحار غربًا، بعد أن توصلت المعرفة إلى كروية الأرض [١].

وعندما قاتل المهاجرون الهنود الحمر، اعتبروا أنفسهم بنى إسرائيل يقاتلون من حولهم من الأغيار.

وعندما ثار الأمريكيون على الحكومة البريطانية فى سبعينيات القرن الثامن عشر، اعتبروا أنفسهم - مجدداً - بنى إسرائيل والحكومة البريطانية هى فرعون موسى.

اعتقد الأمريكيون منذ إنشاء مستعمراتهم فى القرن السابع عشر أنهم شعب الله، وأن الله اختارهم، وكلفهم برسالة عالمية سموها «القدر المبين - Manifest Destiny» . . . .

وحتى نستطيع أن نتعرف على الأصولية المسيحية، يجب أن نعود فى التاريخ لنشأة البروتستانتية، مع خلفية قصيرة من التاريخ الإنجليزى قبل الهجرة لأمريكا.

***

(١) قصة الحضارة - ول ديورانت - الجزء ٢٣ صفحة ١٦٤، ١٦٧.

أولاً

من ظهور البروتستانتية إلى ظهور البيوريتانز

(١٥١٦ إلى ١٥٥٥ م)

«وهكذا تواجه الطرفان سبعة أيام .. وفى اليوم السابع دارت رحى الحرب فقتل بنو إسرائيل فى يوم واحد مئة ألف من مشاة آرام(*)» (ملوك أول ٢٠:٢٩)

(*) الأراميون هم السوريون والعراقيون الآن . والطبعة الإنجليزية من الكتاب المقدس تذكر السوريين . وليس الأراميين .

خلفية تاريخية

ظهور البروتستانتية فى ألمانيا ١٥١٦ ـ ١٥٢٠م

قامت الكنيسة الكاثوليكية على أساس أن بطرس حوارى المسيح ـ عليه السلام ـ أسس كنيسته فى روما، ومن ثم استحقت كنيسة روما وبابواتها قيادة العالم المسيحى، فهم ورثة بطرس صخرة المسيح، الذين يتكلمون باسمه ويعلمون الدين باسمه ويحللون ويحرمون باسمه، وهم معصومون، طبقًا لما جاء فى الإنجيل من قول المسيح ـ عليه السلام ـ لبطرس:

«أنت صخر. وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى، وقوات الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون قد ربط فى السماء، وما تحله على الأرض يكون قد حل فى السماء» ـ متى: ١٦: ١٨ـ١٩.

فما الذى جعل بعض البروتستانت[1] يعتبرون البابا عدو المسيح؟

بدأت المسيحية ضعيفة مضطهدة، كما بدأ الإسلام، ولاقى المسيحيون الأوائل شتى أنواع القمع والتعذيب والقتل، وضربوا أمثلة سامية فى الإيمان والتمسك بالعقيدة، والموت حبًا فى المسيح، ومن ذا الذى يعرفه ولا يهيم فى حبه؟

إلى أن أظهر الإمبراطور قسطنطين مسيحيته عام ٣١٢م ـ برغم الشك فى موته رومانيًا وثنيًا ـ اعتقادًا منه بأن توحيد إمبراطوريته على الدين المسيحى جدير بخلق توافق وانسجام، ومن ثم سلام وازدهار وتوسع.

بدأت الكنيسة فى روما تقوى، ويزداد نفوذها، ثم سيطرتها، ثم استبدادها، حتى أصبحت السلطة الدينية والسلطة الزمنية (الدنيوية) العليا فى أوروبا. بيدها مقاليد

---

(١) كان هذا ما يقال على بابا روما وقت نشأة البروتستانتية، وفى عصر الصراع الدموى بين البروتستانت والكاثوليك، وهذا ما يقوله بعض الأصوليين البروتستانت الآن، يضمون مع البابا الاتحاد الأوروبى.

السياسة والمال، وبالطبع الفكر بكل مجالاته، وهى الوحيدة - بمؤسستها الهيراركية التى تغطى كل أوروبا - التى تتكلم باسم المسيح، ولم تتوان فى استخدام حقها - كما أولت آية الإنجيل - فى الربط والحل.

وتزخر مراجع التاريخ المسيحى بالأباطرة الذين حرمتهم الكنيسة، وبمن جاءها مشيًا وبكيًا طلبًا للمغفرة، ومن رشاها لتمسحه إمبراطورًا.

دب الفساد فى الكنيسة، وتلطخت سمعة البابوات بشتى أنواع الجرائم، من الزنا إلى مؤامرات القتل والاغتيال، إلى تأجيج الحروب، إلى جمع الثروات بكل السبل، حتى صارت أغنى مؤسسة فى أوروبا [١]. وتصارع رجال الكنيسة على منصب البابوية، حتى أصبح هناك ثلاثة منهم فى وقت واحد عام ١٤٠٩م. انسكب جزء كبير من ذلك الفساد وفاض على كثير من كبار ثم صغار رجال الكنيسة، وتلك سمة فساد الرأس.

وفى درك كل ذلك الفساد، ابتدعت الكنيسة صكوك الغفران، ومن يشتريها يدخل الجنة، أو كما راج فى ذلك الوقت:

فى نفس اللحظة التى ترن فيها دراهمكم فى الصندوق، تخرج النفس من المطهر (الأعراف) حرة منطلقة إلى السماء [٢].

اكتسب البابوات، وكثير من كبار رجال الكنيسة وصغارها، كراهية الشعوب، عدا البسطاء إن لم يكن الجهلاء. وبدأ التفكير فى شرعية ما يفعلون، وما صلته بالمسيحية، وبالمسيح الذى عاش طاهرًا نقيًا، متقشفًا زاهدًا من كل متع الدنيا ومادياتها، وضحى بنفسه فى سبيل البشر.

ظهر فى انجلترا چون ويكلف (١٣٢٠ـ ١٣٨٤م)، مفكرًا مستقلاً عن الكاثوليكية، واعتقد أن الله يمنح بركته ورحمته لمن يشاء، وقد كتب على كل إنسان مصيره المحتوم

---

(١) جاء فى «قصة الحضارة» ول ديورانت، الجزء ٢٢ عن ثروة الكنيسة: نصف ثروة ألمانيا - ثلاثة أرباع أموال فرنسا - ص ٣٩، خمس أملاك انجلترا ص ٦٨-٦٩ جـ ٢٥.

(٢) «مارتن لوثر» - الدكتور حنا جرجس الخضرى - دار الثقافة - ص ٦٤.

فى الأزل قبل مولده، وليست الأعمال الصالحة هى التى تنجى صاحبها، ولا تحتاج علاقة البشر بالله إلى وسيط، ولم يقصد المسيح أن يكون لمن تبعه من حواريين وأساقفة أموال وثروات.

ويقول ويكلف عن الأساقفة الكاثوليك فى كنيسة انجلترا:

«يخدعون الناس بصكوك الغفران الزائفة، وينهبون أموالهم، لعنة الله عليهم. وإذا كان فى مقدور البابا أن ينتزع الأرواح من المطهر، فلم لا ينتزعها على الفور عملاً بروح الإحسان المسيحية؟.. إن كثيرين من رجال الدين يدنسون أعراض الزوجات، والعذارى، والأرامل، والراهبات، بكل ضروب الفسق والفجور.. وهم نهابون.. خبثاء، ثعالب ماكرة.. ذئاب ناهشة... شياطين.. قردة» [1].

ثم يشير ويكلف إشارة رقيقة فيقول: إن البابا هو عدو المسيح الذى تنبأت به الرسالة الأولى من رسائل يوحنا، وإنه الوحش الوارد ذكره فى سفر الرؤيا [صفحة ٧٢] واستبق ويكلف مارتن لوثر وكالفين عندما قال:

«لاحاجة إلى الاعتراف السرى أمام الأساقفة.. كما أن القس صالحًا أو طالحًا لا يستطيع أن يحيل الخبز المقدس إلى جسد المسيح ودمه».

ابتدأ ويكلف بترجمة الكتاب المقدس من ترجمة جيروم اللاتينية. ثم جاءت نهاية ويكلف الحزينة، بكلمات ديورانت:

«ولما كان عام ١٣٨٤م، دعا البابا أربان السادس ويكلف للمثول بين يديه فى روما. لكن دعوة أخرى كانت ذات سلطان أكبر. ذلك أن المصلح المريض وافته المنية [آخر أيام ديسمبر ١٣٨٤م]، ودفن فى لترروث.... لكن عظامه أخرجت من قبره بناء على قرار من مجلس كنستانس (٤ مايو ١٤١٥م) وألقيت فى مجرى ماء قريب من القبر، ودار البحث عن كتاباته، وأبيد كل ما عثر عليه منها» [صفحة ٧٦].

---

(١) قصة الحضارة، الجزء ٢٢، ص ٧١.

مارتن لوثر

راهب ڤيتمبرج الكاثوليكي

عـاين لوثر انحطاط الكنيسـة الكاثوليكيـة، ورهبـانهـا فى ألمانيـا، وأعـمل فكره فى مبادئها، فاختلف معها واحتج عليها فى خمس وتسعين مسألة علقها على باب كنيسته فى ٣١ أكتوبر ١٥١٦م، نصفها تقريبًا احتجاجات على صكوك الغفران، وعلى سلطان البابا ورجال الكنيسة فى غفران الذنوب وقبول التوبة.

وأقام لوثر مذهبه البروتستانتى على الأسس الآتية:

- الكتـاب المقـدس هو المصـدر الأعلى للمسيـحيـة، وليس أقـوال وتعـاليم(تقـاليـد) البابوات.
- **الكتاب المقدس صحيح كله، ويُفسر حرفيًا وليس مجازيًا.**
- التبرير بالإيمان وليس بالأعمال، فمن اختاره الرب يقوم بالأعمال الصالحة؛ لأن الرب اختار، وليس العكس. **وقد اختار الرب قلة من البشر للخلاص، فهم مختارو الرب**، والأكثرية الباقية مآلها الجحيم.
- لاخلاص إلا بقبول الرب يسوع المسيح كمخلص.
- المسيحيون متساوون، لا فرق بين كاهن أو علمانى [المقصود بالعلمانى من ليس من رجال الكنيسة].
- يجب أن يتاح لكل مسيحى تفسير الكتاب المقدس؛ لأن روح الله تعمل فى القارئ كاهنًا كان أو علمانيًا ليفهم النص.
- يهبط المسيح فيحضر القربان المقدس [فى العشاء المقدس] بطريق التجسد لحمًا ودمًا مع الخبز والنبيذ(١).
- يجب حرق الساحرات.

---

(١) أصر لوثر على أن المسيح يحل - ليس كذكرى، وليس كروح - لحمًا ودمًا فى خبز ونبيذ العشاء المقدس، **وأصر على ذلك التفسير الحرفى** أمام كل من عارضه بتلاوة آيات الكتاب المقدس: «**هذا هو جسدى... هذا هو دمى**» متى ٢٦: ٢٦-٢٨، مرقس ١٤: ٢٢-٢٤، لوقا ٢٢: ١٩-٢٠.

وقال فى كتابه «المسيح ولد يهوديًا» :

● **اليهود هم أبناء الرب ونحن الضيوف الغرباء . . . . وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التى تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها ، تمامًا كالمرأة الكنعانية .**

ثار البابا ، وبعد كثير من الجدل اللاهوتى ، والشد والجذب القومى والسياسى والمالى ، أرسل البابا من يقبض على لوثر ليحضره للمحاكمة فى روما ، وأصدر قراراً بحرمان لوثر فى ١٥ يونيه ١٥٢٠م ، وحرمان كل من يتعاون معه أو يدافع عنه .

فرد لوثر بسلسلة من الكتب تهاجم سيطرة البابا ، واحتكار رجال الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس ، وما تقوله الكنيسة عن حلول المسيح فى العشاء المقدس بواسطة الأسقف ؛ وما يرتبط بذلك من سحر وادعاء القدرات غير البشرية للأساقفة .

وانتهى الأمر بأن أحرق لوثر وأتباعه قرار الحرمان البابوى قائلاً : «بما إنك أحزنت روح القدس فلتلتهمك النيران» ، وانفصل عن الكنيسة الكاثوليكية وبشر بمذهبه الجديد ، فى ألمانيا ، وأوروبا ، **وأضاف إليه أن البابا عدو المسيح .**

چون كالڤين (١٥٠٩ـ ١٥٦٤م)

ولد فى فرنسا ، ودرس القانون ثم الأدب ، وبعد أن وصلته عظات لوثر فاستهوته ، تحول لدراسة الدين ، ثم أصدر كتابه الأول «مبادئ الدين المسيحى» واستهل طبعته الأولى بـ «مقدمة إلى أعظم ملك مسيحى لفرنسا» لكن البرلمان الفرنسى حرَّم الكتاب ، وأحرق نسخه علنًا .

وافق كالڤين على أفكار لوثر فى التبرير بالإيمان ، وأن **الرب اختار بمشيئة حرة لا تتوقف على ما نتمتع به من فضائل أو نتصف به من رذائل ، من منا تكتب له النجاة ، ومن يعذب فى نار جهنم**[١] ، وقال إن استخدام الصور والتماثيل انتهاك صارخ للوصية الثانية من الوصايا العشر ، وتشجيع على عبادة الأوثان ، ويجب إزالتها من الكنائس . والكنيسة الحقة هى كل الذين يعترفون بنفس الرب والمسيح ، ويشتركون فى مراسم التعميد ، والعشاء الربانى ، **ولا خلاص خارج هذه الكنيسة .**

---

(١) علق ديورانت على ذلك قائلاً : فكرة كالڤين عن اختيار الله لبعض الناس ، قد يكون مدينًا بها للصبغة اليهودية فى العقيدة [الاختيار أو الشعب المختار] ، كما تدين البروتستانتية بالكثير للعهد القديم .

وأضاف كالفين أن الحكومة المثالية هى حكومة رجال الدين، والدولة والكنيسة مقدستان، وعلى الكنيسة أن تضع قواعد العقيدة والعبادة والأخلاق، والدولة تدعمها.

استدعت مدينة چينيف كالفين، فأسس بها «**مدينة الله**» التى حكمها بمساعدة رجال الدين، وكان أول عمل قام به هو «إعادة تأسيس تنظيم الكنيسة، وصاغ قانونًا كنسيًا جديدًا أجازه المجلس فى يناير عام ١٥٤٢م، ولا تزال الكنائس التى تناولها الإصلاح والمشيخية فى أوروپا وأمريكا تقبل معالمه الجوهرية».

رأى كالفين أن التقسيم الطبقى أمر طبيعى، واعتبر مذهب كالفين العمل الشاق، والاقتصاد فى المعيشة، وإنكار الخمول والراحة، علامات الأخلاق البروتستانتية - ولعل ذلك، كما قال ديورانت، قد أسهم فى صقل رجل الأعمال البروتستانتى - كذلك اعتبر الثراء علامة على قبول الرب.

وقال كالفين إن القانون الحقيقى لدولة مسيحية يجب أن يكون الكتاب المقدس.

تشدد كالفين فى حكومته حتى رفضته چينيف التى استدعته وطردته، ثم طالبت بعودته ثانيًا، فعاد إليها ولكن كسير النفس مهزوز الثقة.

وعلق ديورانت على آثاره قائلاً:

لم يكن وطنيًا، فقد كان الدين بلده، **وعلى هذا فعقيدته، مهما لحقها من تعديل، ألهمت البروتستانتية فى سويسرا وفرنسا واسكوتلاند وأمريكا، واستولت على قطاعات كبيرة من البروتستانتية فى المجر وپولندا وألمانيا وهولندا وانجلترا**. ولقد أضفى كالفين على البروتستانتية فى كثير من البلاد تعظيمًا وثقة واعتزازًا بالنفس؛ لتعيش وتصمد أمام ألف محنة.

البروتستانتية مقابل الكاثوليكية

وضع لوثر وكالفين الملامح الرئيسية للكنيسة البروتستانتية، التى نمت من بعدهما فى أوروپا، وأصبحت الديانة الرئيسية فى أمريكا.

فما الجديد الذى أتت به البروتستانتية فيما يخصنا فى الشرق الأوسط؟

الإيمان بصحة الكتاب المقدس وعصمته، وتفسيره حرفيًا، واعتماد نبوءاته، أحيا - تدريجيًا وتراكميًا - عند البروتستانت عقيدة الشعب المختار، وأرض الميعاد، وعودة المسيح ليحكم العالم من القدس ألف سنة بعد معركة هرمجدون الدموية، حتى أصبح ذلك - كما سنرى - من أساسيات الأصولية البروتستانتية.

ويلخص كليفورد لونجلى - الصحفى والكاتب الإنجليزى - فى كتابه «الشعب المختار - الأسطورة التى شكلت انجلترا وأمريكا»[1] اختلاف الرؤية الكاثوليكية عن البروتستانتية:

. . . ويبدو أن الجانبين يختلفان أشد الاختلاف فى مواقفهما من الكتاب المقدس عندما يتعلق الأمر بفهمهما لعلاقة العهد القديم بالحوادث اللاحقة له . . . اعتقدت الكنيسة [الكاثوليكية] أنها هى نفسها صارت شعب الرب . . فقد كانت معركتها روحية . ولكن البروتستانت رأوا العهد القديم بصورة أكثر حرفية . بالنسبة لهم إسرائيل الجديدة أمة مثلما كانت إسرائيل القديمة بالضبط . وبينما كانت كنيسة العصور الوسطى قد أضفت مسحة روحانية على رسالة العهد القديم، وتعاملت مع معظم ما جاء به على أنه مجاز مركب، أو مزاعم وادعاء، فإن البروتستانت أخذوه بقدر أكبر من الحرفية، وتعاملوا معه بقدر أكبر من السياسة . وهكذا فإن الروايات الكبرى التى يسردها العهد القديم قد تجسدت بقوة فى المذهب البروتستانتى . **وقد اقترح بعض المؤرخين أن الأمريكيين - الذين يفتقرون إلى تاريخ خاص طويل - كانوا أسعد ما يكونون بتبنى تاريخ بنى إسرائيل . وكان بوسع البروتستانت الإنجليز الأوائل أن يجدوا مزية مشابهة . وعندما قام رئيس الوزراء دافيد لويد چورچ بتولى رئاسة الحكومة البريطانية التى أصدرت وعد بلفور سنة ١٩١٧م، الذى وعد اليهود بوطن قومى فى الشرق الأوسط [فلسطين] قال : إنه ربما كان يعرف عن ملوك بنى إسرائيل أكثر مما يعرف عن ملوك انجلترا . وكان هذا يعكس حالة عقلية شائعة جدًا بين معاصريه .**

---

(١) ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم، ومن منشورات مكتبة الشروق الدولية، ص ٣٩، ٤٠، الجزء الأول.

● **القدس الجديدة**

وتحت عنوان «القدس الجديدة» أكمل لونجلى قائلاً:

لو أن أى زائر متحذلق من المريخ كان يتجول فى كنيسة ويستمنستر يوم الثلاثاء ٢ يونيو ١٩٥٣م[١]، فلا بد وأن يدرك بسرعة أن ثمة احتفالاً عامًا كبيرًا على وشك أن يحدث. فقد كان هناك استعداد لحفل تتويج. ومع الوقار اللازم، كان ثمة حاكم جديد على وشك أن يقسم اليمين، ويجلس على العرش، ويضع التاج على رأسه، وتُؤدى له مراسم الولاء والطاعة، ثم يكال له المديح علنًا. ولو أن تفتيشًا جرى لعدة ثوان، لكشف لرجل الفضاء القادم من المريخ أن ما كان على وشك البداية كان قداسًا دينيًا، على الرغم من أن الاستعراض التمهيدى فى الخارج يكاد يكون عسكريًا خالصًا. إذ إن الاحتفال كان به قدر كبير يتعلق بالرب - من خلال العهود التى قدمت له، بأن يكونوا مؤمنين به، ويصلون له، ويحمدونه - أكثر مما يتعلق بالسياسة. وكان الوزراء الرئيسيون الحاضرون والذين تتركز عليهم الأضواء وزراء دينيين، أما وزراء الحكومة فكانوا مدفونين فى مكان ما داخل زحام المتفرجين، ولم يكن لهم أى دور بالفعل فى الاحتفال. فهل يُحتمل أن هذه كانت ثيوقراطية؟[٢]

وربما يكون القادم من المريخ قد قفز إلى استنتاج مضلل آخر: **أن الأمة التى يتم تتويج ملكها فى احتفال كانت تسمى إسرائيل، وأن عاصمتها القدس؛ لأن الخدمة بدأت بصلاة من سفر من الكتاب المقدس الخاص ببنى إسرائيل القدامى من افتتاحية المزمور رقم ١٢٢:**

«فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب. تقف أرجلنا فى أبوابك يا أورشليم. أورشليم المبنية كمدينة متماسكة متحدة، حيث صعد الأسباط، أسباط الرب شهادة لإسرائيل ليحمدوا اسم الرب. لأنه هناك نصبت عروش للقضاء، عروش آل داود. اسألوا سلامة أورشليم. ليسترح محبوك. ليكن سلام فى أبراجك راحة فى قصورك...».

---

(١) يصف الكاتب مراسم تتويج ملكة انجلترا الأخيرة الحالية.

(٢) حكومة دينية.

كانت كلمات حفل التتويج سنة ١٩٥٣م واضحة صريحة فى هذه النقطة. فبينما وضع الدكتور فيشر قطرة من الزيت على بشرة الملكة، كان يتلو، أولاً: «اتركى يديك تمسحان بالزيت المقدس»، ثم «دعى صدرك يمسح بالزيت المقدس»، وأخيراً «اتركى رأسك تمسح بالزيت المقدس» مثلما يمسح الملوك والكهنة والأنبياء، ثم غير طبقة صوته قائلاً «**كما مسح سليمان ملكا على يد صادوق الكاهن وناثان النبى، كذلك تمسحين وتكرسين وتباركين ملكة على الشعب، الذين أعطاهم الرب إلهك لهم لكى تحكميهم...**».

وهذه الكلمات تجد لها صدى فى ترنيمة صادوق الكاهن المأخوذة عن النسخة المعتمدة **سفر الملوك الأول، الإصحاح الأول: ٣٩-٤٠**، **ومن ثم وضع موسيقاها چورچ فريدريك هاندل، وكانت هذه الترنيمة تنشد أثناء تتويج إليزابث الثانية، كما كانت قد أنشدت فى حفل تتويج أبيها «فنزل صادوق الكاهن وناثان النبى وبناياهو بن يهوياداع والجلادون والسعاة، وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود، وذهبوا به إلى جيحون. فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان. وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحى الملك سليمان. وصعد جميع الشعب وراءه، وكان الشعب يضربون بالناى ويفرحون فرحًا عظيمًا حتى انشقت الأرض من أصواتهم»**.

وتمامًا مثلما كان سليمان يحكم وفقًا للأسلوب الذى تم إرساؤه فى الأسفار الخمسة الأولى التى تشكل التوراة العبرية، فإن الملكة إليزابث تسلمت نسخة من الكتاب المقدس المسيحى [الذى يشمل العهد القديم والعهد الجديد]، الذى يبدأ بنفس هذه الأسفار الخمسة، أسفار موسى «**لكى تبقى جلالتك على الدوام وفى ذهنك قانون الرب وكتابه المقدس، بمثابة القاعدة التى تسير عليها حياة الأمراء المسيحيين وحكوماتهم**». وقال لها كبير الأساقفة: نحن نهديك هذا الكتاب، أقيم شىء يستطيع هذا العالم توفيره، ثم يغير وسيط المجلس لكنيسة اسكوتلاند، الذى كان يسهم مع كبير الأساقفة فى المراسيم نغمة الصوت بقوله: «**هنا الحكمة؛ هذا هو القانون الملكى؛ هنا تجليات الرب الحية**».

وبينما كان سيف الدولة تتم مباركته، استعداداً لتمريره إلى الملكة بأيدى كبير الأساقفة وغيره من كبار الموظفين، كان يترنم:

«اسمع صلواتنا يارب فنحن نبجلك، وكذلك وجه وساند خادمتك الملكة إليزابث لكى لا تحمل السيف عبثًا؛ ولكن لتستخدمه وزيرة للرب لإرهاب وعقاب من يرتكبون الشر، ولحماية وتشجيع أولئك الذين يفعلون الخير من خلال سيدنا يسوع المسيح . آمين».

وبينما يمرر السيف إليها، وبينما هى تمسكه، يستمر فى ترنيمته:

«تقبلى هذا السيف الملكى المجلوب الآن من مذبح الرب، وقد سلم إليك بأيدينا نحن الأساقفة وخدام الرب، على الرغم من عدم جدارتنا بهذا السيف. مارسى العدل، أوقفى نمو عدم المساواة، احمى كنيسة الرب المقدسة، ساعدى الأرامل واليتامى ودافعى عنهم، أعيدى الأشياء التى تلاشت وحافظى على الأشياء التى أعيدت، عاقبى وأصلحى ما هو فى فوضى، وثبتى ما هو فى حال ونظام سليم، لأن فعل هذه الأشياء قد يجعلك مجيدة بكل الفضائل؛ وكذلك اخدمى بإخلاص سيدنا يسوع المسيح فى هذه الحياة حتى يمكن أن تحكمى إلى الأبد معه فى الحياة الآتية. آمين».

.. ومنها خاتم الكرامة الملكية الذى توافق قبول الملكة له مع صلاة كبير الأساقفة:

«بينما أنت فى هذا اليوم يتم تكريسك رئيسة وأميرة علينا، فكذلك استمرى بثبات مدافعة عن دين المسيح: إذ إنك إذا كنت غنية فى العقيدة ومباركة فى كل الأعمال الخيرة، فسوف تحكمين معه هو ملك الملوك، له المجد إلى الأبد ومنذ الأزل. آمين».

.... والحقيقة أنه كانت ثمة رابطة، وهى رابطة غاية فى العمق والشمول. وعلى الرغم من أنها كانت ماثلة بالضرورة فى أذهان الشعب الإنجليزى وهو يشاهد حفل التتويج، فإنه لم يحدث أن تم التصريح بها علنًا فى أى مكان؛ إذ إن الرابطة بين كل هذه الأمم الممثلة بطرق مختلفة فى دير وستمنستر فى ذلك اليوم من سنة ١٩٥٣م، هى أنه فى فترة ما من ماضيها، قد استوطنها أو غزاها أبناء تلك الأمة التى تسمى بريطانيا العظمى والتى تشكل انجلترا أربعة أخماسها. **وكانت القوة الدافعة فى حملة الغزو الكبرى هذه وموجة الاستيطان الكبرى التى صاحبتها هى بالضبط الاعتقاد الإنجليزى بأن أمتهم قد اختارها الرب وحدها لدور فريد فى تاريخ العالم. وكان دور هذه الأمة المختارة، التى ورثت مهمة إسرائيل القديمة، هى نشر الحضارة الإنجليزية ـ أى الحضارة البروتستانتية ـ فى**

أركان الدنيا الأربعة. وأولئك الذين قاوموا إنما كانوا يقاومون إرادة الرب، ويمكن إزاحتهم جانبًا، أو استئصالهم، إذا دعت الضرورة لذلك. لقد كان التتويج احتفالاً بهذا التاريخ غير العادى، وأعطى الأمة الإنجليزية قدرًا هائلاً من الرضى. وكانت أوائل خمسينيات القرن العشرين فترة لا تناسب الشعور بالذنب من الاستعمار بحيث تقضى على شعور الرجل الإنجليزى بالفخر بإمبراطورية لا تغيب عنها الشمس حتى سنة ١٩٥٣م. إذ كانت الإمبراطورية شيئًا ينبغى شكر رب الإنجليز عليه. إنه هو الرب الذى جعل هذا ممكنًا[١].

البروتستانتية فى انجلترا وأمريكا

من الملك هنرى الثامن إلى إعلان الاستقلال الأمريكى

(١٥٠٩ إلى ١٧٧٦م)

صادف زمن احتجاج مارتن لوثر، تربع الملك هنرى الثامن - على عرش انجلترا لمدة ٣٧ عامًا، من ١٥٠٩م، والذى قال عنه ديورانت: البطل والوغد معًا فى أكبر حكم درامى فى التاريخ الإنجليزى.

كان جذابًا، رياضيًا، موسيقيًا، بوسعه أن يستشهد بآيات من الكتاب المقدس لأى مناسبة، وقال عنه السير توماس مور: أعلم من أى ملك إنجليزى قبله.

وكانت كنيسة انجلترا كبقية الكنائس الكاثوليكية، سواء من ناحية تضخم الثروة وانحطاط أخلاق القسس، أو كراهية معظم الشعب لها.

ويلخص ذلك السطور التى نقلها ديورانت على لسان كوليه - واعظ الملك - فى خطاب وجهه إلى جمعية رجال الكنائس عام ١٥١٢م:

. . . أن تفكروا فى إصلاح أمور الكهنوت لأنه لم يحدث من قبل أن كان الأمر محتومًا كما هو الآن. لأن الكنيسة - زوجة المسيح - أصبحت دنسة مشوهة، وكما يقول، إشعياء: كيف صارت المدينة الأمينة عاهرة؟

---

(١) «الشعب المختار: الأسطورة التى شكلت انجلترا وأمريكا»، الاقتباس من صفحة ٤١ إلى ٦٤.

وكما يقول أرميا: أما أنت يا شعب الله فقد زنيت بعشاق كثيرين [1]. . . . - [صفحة ٦٩ الجزء ٢٥ من قصة الحضارة].

زادت حدة انتقادات المفكرين الإنجليز للكنيسة الكاثوليكية وممارساتها، بل وعقائدها، واسترجعوا أفكار چون ويكلف، وتناقلوا أخبار ثورة مارتن لوثر الدينية. . . ونسخوا منشورات ووزعوها سراً في انجلترا. . . فتصدى لها الملك الكاثوليكي الغيور هنرى، وأصدر كتابه المشهور عام ١٥٢١م «قضية المقدسات السبعة ضد مارتن لوثر». . . وجاء فيه: **«أى ثعبان سام يصل إلى درجة من يصف سلطة البابا بأنها مستبدة؟ . . . وأى جارحة من جوارح الشيطان تحاول أن تمزق أعضاء المسيح وتفصلها عن رأسها؟ ما من عقوبة يمكن أن تكون جسيمة توقع على من يعصى القس الأكبر والقاضى الأعلى على الأرض؛ لأن الكنيسة بأسرها ليست رعية للمسيح فحسب. . . بل لكاهن المسيح الوحيد: بابا روما»** فجاء رد لوثر صاعقاً. . على «ذلك الحمار الأحمق. . المجنون. . . ملك الأكاذيب. . . ولما كانت تلك الدودة اللعينة العفنة، **قد افترت كذباً على مليكى فى السماء، فإنه يحق لى أن ألطخ هذا الملك الإنجليزى بقذره»** - [صفحة ٧٣ ، ٧٤ من المرجع السابق].

كامبريدچ وأكسفورد

درس فى كامبريدچ وأكسفورد فى ذلك الوقت تندال، وبلنى وغيرهما، ثم ذهبوا إلى أوروبا، وطبعوا كراسات دينية تهاجم الكاثوليكية، وبعثوا بها سراً إلى انجلترا.

وذهب تندال إلى لوثر؛ ليكمل ترجمة الكتاب المقدس من الأصلين العبرى واليونانى إلى الإنجليزية، وطبع ستة آلاف نسخة أضاف فيها آراءه وانتقاداته للكاثوليكية، وهربها إلى انجلترا، فكانت بمثابة الوقود الذى أشعل نار البروتستانتية الأولى.

(١) العهد القديم، سفر أشعياء: الإصحاح الأول: ٢١.
العهد القديم، سفر إرميا: الإصحاح الثالث: ١.

زعم تونستال أسقف لندن أن الترجمة بها أخطاء شنيعة، وقامت الكنيسة بطباعة ردود عليها - شارك فيها توماس مور - مع حرق النسخ التى تقع تحت يدها، ورأى الملك أن يخمد الفتنة بمنع تداول وقراءة الكتاب المقدس بالإنجليزية، إلى أن تصدر ترجمة معتمدة . . . ولم يفطن أن ذلك كان بمثابة أول الغيث بالنسبة للپروتستانتية الصاعدة.

قارب تندال من إنهاء ترجمة الكتاب المقدس، ولكن أفلحت كنيسة انجلترا - بجواسيسها فى كل مكان - من الإمساك بتندال، وسجن بالقرب من بروكسل، ثم أعدم فى المحرقة عام ١٥٣٦م.

لم تكن تلك المحرقة بلا سابقة، فطبقًا لديورانت:

فى عام ١٥٢١م تمت محاكمة خمسة وأربعين هرطيقًا وأحرق خمسة، وتورد السجلات قائمة تضم ٣٤٢ محاكمة مماثلة خلال خمسة عشر عامًا. . . . ومما كان يُعد من الهرطقات الجدل حول القربان المقدس[١]...

طلاق هنرى

وانقلابه على البابا (كاهن المسيح الوحيد)

وانفصال كنيسة انجلترا عن روما

تزوج آرثر - أخو هنرى الثامن الأكبر - بكاترين، ابنة فرديناند وإيزابيلا (ملك وملكة إسپانيا الكاثوليكيين جدًا) ومات بعد ستة شهور دون إنجاب. أراد الملك هنرى السابع ألا تعود كاترين لإسپانيا، فيفقد مهرها الكبير، ويفقد حلفه مع إسپانيا، فزوجها من ابنه الثانى هنرى الثامن. عارضه بعض الأساقفة، ولكنه استطاع الحصول من البابا يوليوس الثانى على مرسوم بمباركة الزواج.

(١) مسألة تحول الخبز والنبيذ إلى جسد المسيح - عليه السلام - ودمه، أو حلول المسيح - عليه السلام - فى الخبز والنبيذ.

أنجب هنرى الثامن من كاترين عدة أبناء، لم يعش منهم سوى مارى. أراد هنرى طلاق كاترين[1] والزواج من آن بولين، سواء للحصول على وريث ذكر، أو لهيامه بها. وأرسل للبابا طالبًا أن يعلن البابا بعدم شرعية زواجه من كاترين - والذى دام ما يقرب من عشرين سنة - بحجة أنها زوجة أخيه ولا تحل له، ولم يستجب البابا، سواء كان المانع أن مثل ذلك الإعلان يجعل من سلفه يوليوس الثانى المعصوم، خاطئًا، أو لئلا يغضب ملك إسبانيا القوى، أو لغير ذلك.

انتظر هنرى عدة سنوات، فلما لم ينل من البابا مراده، أعلن انفصال كنيسة انجلترا نهائيًا عن روما، وأعلن نفسه رئيسًا للكنيسة، ولكن دون اختلاف عن قانون الإيمان الكاثوليكى.

وكما جاء فى «مختصر تاريخ الكنيسة» - أندرو ملر، مكتبة الإخوة صفحة ٦٨٤ - ٦٨٥: **«عقد الملك مع رجال الإكليروس اتفاقًا من أردأ الاتفاقات.. فقد أعطى للإكليروس السلطة ليسجنوا ويحرقوا المصلحين (البروتستانت)، بشرط أن يساعدوه على امتلاك السلطة التى اغتصبها من البابا....**

... كان من الصعب أن ينجو أى إنسان مخلص من الاضطهاد فى ذلك العصر... فالمصلحون (البروتستانت) كانوا يضطهدون كهراطقة و كثيرون من البابويين (الكاثوليك) كانوا يضطهدون كخونة..».

تزوج هنرى من آن بولين عام ١٥٣٣م بعد أن أعلن كرانمر رئيس أساقفة كنتربرى بطلان زواج الملك السابق بكاترين؛ لأنه مخالف للشريعة.

ملكات جدد

لم تنجب آن بولين لهنرى وريثًا ذكرًا، وإنما أنجبت بنتًا أسمتها إليزابث. ورأى هنرى فى چين سيمور وصيفة آن أمله فى إنجاب الوريث، فما كان منه إلا أن اتهم الملكة آن

---

(١) جاء فى «قصة الحضارة».. عبر هنرى عن خوفه من أن يكون حرمانه من إنجاب ولد عقابًا من الله؛ لأنه استخدم محللاً بابويًا.. وأقسم ليقودن حملة صليبية ضد الأتراك إذا أنجبت له الملكة ولدًا، غير أن كاترين لم تحمل بعد ذلك - صفحة ٨١ الجزء ٢٥.

بالزنا مع عدة رجال، ومن ثم قطع رءوسهم مع رأس الملكة، ثم تزوج چين سيمور عام ١٥٣٦م، التى أنجبت له إدوارد السادس، وماتت بعد ذلك باثنى عشر يومًا.

ثم تزوج للمرة الرابعة من آن أخت زوجة أمير سكسونيا، بناء على نصيحة واختيار وزيره كرومويل، الذى علق آمالاً على هذا الزواج ليجذب الملك إلى البروتستانتية، ويلغى قانون المواد الست المناهضة للوثر (١).

ولكن عندما جاءت آن ورآها الملك، مات الحب من أول نظرة، وأغمض عينيه وتزوجها فى يناير ١٥٤٠م، ولكنه لم يصفح قط عن كرومويل، وأبطل زواجه من آن بحجة أنه لم يدخل بها قط، ثم قطع رقبة كرومويل فى ٢٨ يوليه ١٥٤٠م، وفى نفس اليوم تزوج من كاترين هوارد الكاثوليكية، وكف الملك المتقلب عن أن يتقرب من البروتستانت.

ولكن بلغ الملك عن زوجته الخامسة ما جعله يحاكمها ويقطع رأسها ويحكم على عشاقها بالسجن مدى الحياة.

ثم تزوج آخر مرة عام ١٥٤٣م من كاترين الثالثة، التى رعت صحته وصالحته مع ابنته إليزابث.

وعلى حد قول ديورانت: **لم تنقطع مشاغله اللاهوتية حتى نهاية حكمه، فأحرق ستة وعشرين هرطيقًا فى سنوات مماته الأخيرة، ومات الملك عام ١٥٤٧م بعد حكم دام ٣٨ عامًا، لم يتوان فيه عن اضطهاد الكاثوليك وإرسالهم للحرق أو المقصلة بسبب إنكارهم لرئاسة الكنيسة، وأيضًا لم يتوان عن اضطهاد البروتستانت وإرسالهم للحرق أو المقصلة بسبب جدالهم فى اللاهوت الكاثوليكى.**

ومع ذلك يقول ديورانت:

---

(١) يقضى هذا القانون بالموت على من يعارض:
* الاستحالة فى العشاء المقدس طبقًا للعهد الكاثوليكى. * الاعتراف. * نذر البتولية. * القداسات الخصوصية. وعلى من: * يدافع عن زواج الإكليروس. * يعطى كأس النبيذ فى العشاء المقدس للعلمانيين.

ومع ذلك يمكن القول إنه لم يسفك من الدماء عشر ما سفكه شارل التاسع عندما أجاز مذبحة سانت بارثلوميو [1]، أو شارل الخامس عندما صفح عن نهب روما، أو الأمراء الألمان عندما حاربوا ثلاثين عامًا للحصول على حقهم فى تحديد المعتقدات الدينية لرعاياهم.

إدوارد السادس، مارى الدموية، إليزابث، چيمس الأول ١٥٤٧ ـ ١٦١٤م.

وكأن هنرى لم يكتف بما سببه فى حياته، فقد أسفر تعدد زواجه عن ورثاء تقلبوا بين البروتستانتية الصاعدة والكاثوليكية الآفلة، فجاء إدوارد السادس، والذى حكم سبع سنوات، صدر خلالها إحدى عشرة طبعة من الكتاب المقدس، وصدرت الأوامر برفع التماثيل من الكنائس، وأعلنت الكنيسة أن الاعتراف السرى وتعليم الاستحالة غير كتابيين، وسمح بزواج الإكليروس، وأصبحت الخدمة فى الكنائس بالإنجليزية.

ويروى أندرو ملر تتويج إدوارد ملكًا:

. . . لما أوشك الركب أن يتحرك من كنيسة ويستمنستر إلى القصر، أتوا بثلاثة سيوف تحمل أمام الملك إشارة إلى ممالكه الثلاث، فقال الملك: ينقصها سيف آخر . . الكتاب المقدس . . لأنه ينبغى أن يحكمنا فى كل شىء، وبدونه نحن لا شىء . . ومن يحكم بدون هذا الكتاب لا يستحق أن يدعى ملكًا أو خادمًا له . .

ويروى كذلك صلاته الأخيرة قبل وفاته:

أيها الرب إلهى . . بارك شعبى وخلص ميراثك . . أيها الرب خلص شعبك المختار فى انجلترا . . احم هذه المملكة من البابوية . . واحفظ ديانتك الحقيقية . . [صفحة ٦٨٧].

ثم جاءت مارى تيودور . ابنة كاترين الإسپانية الكاثوليكية ولمدة ست سنوات، قلبت الكفة ثانيًا فى اتجاه الكاثوليكية، فرفعت أسهم البابويين، واضطهدت البروتستانت وعذبتهم وأحرقتهم أو قطعت رءوسهم، وفر الألوف إلى أوروبا.

---

(١) فى منتصف ليلة ٢٤ أغسطس ١٥٧٢م، دق ناقوس كنيسة سان چيرمان فى باريس؛ ليبدأ الحرس الملكى وأشراف الكاثوليك فى ذبح البروتستانت، فكانت حصيلة المجزرة ألفين فى باريس وثمانية آلاف فى بقية فرنسا.

وطبقًا لأندرو ملر، فخلال ثلاث سنوات، أعدم حرقًا مائتان وأربعة وثمانون شهيدًا، بينما مات كثيرون فى السجون من الجوع وسوء المعاملة.

ماتت الملكة مارى وهى فى بداية عقدها الخامس عام ١٥٥٨م، وجاءت بعدها الملكة إليزابث (بنت آن بولين) ذات الخمسة والعشرين ربيعًا، لتحكم انجلترا خمسًا وأربعين سنة.

لم تكن إليزابث متحمسة للكاثوليكية مثل أختها مارى ولا للبروتستانتية مثل أخيها إدوارد، ولكنها تحب الحياة والسيطرة مثل أبيها وأمها، وعينت وليم سيسل سكرتيرا ومستشارًا لها، وهو سياسى ماهر رأى أن من مصلحة البلاد تدعيم المذهب البروتستانتى.

. . . وأن هذه الدولة لن تستشعر الأمان والاطمئنان ما دام فيها تسامح نحو عقيدتين. . . . وأغرى إليزابث بأن تجعل من نفسها زعيمة لأوروبا البروتستانتية.

وتمثلت خطى أبيها. . فهى ترفض الكاثوليكية؛ لأنها تعنى خضوع الكاثوليك للبابا، وتريد أن تكون رأس الكنيسة البروتستانتية، بما للبابا من سلطان على الكنيسة الكاثوليكية. . . أو باختصار تريد أن تكون بابا البروتستانت. . . مع إبقائها للكثير مما يرفضه البروتستانت داخل الكنيسة. . . ابتداء بهيراركية الأساقفة، إلى ملبسهم الفاخر، وطقوسهم المستحدثة، وصور المسيح المصلوب التى كانت تعشقها.

ظهور البيوريتانز

تحت حكم إليزابث، أصبحت الدولة بروتستانتية، وأصبحت كنيسة انجلترا بروتستانتية، ذات نظام هيراركى أسقفى، تسيطر عليه الملكة، بل وتسيطر حتى على لبس الأساقفة وخدمتهم.

ولكن مع انتشار الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية، وأفكار كالفين، ظهر داخل الكنيسة البروتستانتية من يعترض على كل ما تريده الملكة إليزابث، بدءًا من تدخل الدولة فى الكنيسة، إلى الصلاة الأشبه بالصلاة الكاثوليكية. . . مرورًا بالملابس والصور. . .

رفض البيوريتانز - وهو الاسم الذى أطلق عليهم فى ستينيات القرن السادس عشر - أى سلطة أو رقابة للدولة على الكنيسة[1]، وطالبوا بتطهير البروتستانتية من كل الطقوس والعبادات غير الواردة فى الكتاب المقدس.

وأحسوا أنه لاخلاص من الجحيم إلا بإخضاع كل ناحية من نواحى الحياة للدين والأخلاق.

وبكلمات ديورانت: كلما قرأوا الكتاب المقدس، كاد أن يتوارى شكل المسيح أمام الرب المحب للانتقام (يهوا) الوارد ذكره فى التوراة [صفحة ٣٣ جـ٢٨].

رأى البيوريتانز أن المسيح عهد بالسلطة الكنسية إلى الإخوان الشيوخ من كبار السن، تنتخبهم كل قرية أو مدينة أو مقاطعة، وتنظم تلك السلطة المنتخبة الحياة وفقا لما جاء فى الكتاب المقدس، ولها حكم القضاء، دون أن يكون للدولة أى سلطان روحى على الكنيسة بأى شكل من الأشكال.

تم تأسيس أول كنيسة مشيخية فى واندوورث عام ١٥٧٢م، ثم قامت كنائس مماثلة فى المقاطعات الشرقية والوسطى فى انجلترا. ومال أصحاب الأعمال والحرفيون فى لندن للكالفينية المتشددة، كحصن ضد الكاثوليكية، ومن الناحية الثانية لإقرار كالفين بالفائدة فى المعاملات المالية.

ثم تطورت أفكار البيوريتانز وتشددت ضدد كنيسة انجلترا البروتستانتية، حتى نادى بعضهم بالانفصال الكامل عنها لعدم جدوى إصلاحها من الداخل.

وفى نفس الوقت أحست الملكة إليزابث بخطر الحركة البيوريتانية، فبدأت فى قمعها، وعادت عمليات الاضطهاد والاعتقال، والإعدام إذا لزم، ولكن فى أضيق الحدود.

وبدأ البيوريتانز فى التفكير فى الهجرة، فكانت أولاً إلى هولندا، ثم اتجهت لأمريكا، فى مطلع القرن السابع عشر.

(١) سيظهر هذا فيما بعد تحت مصطلح: فصل الدولة عن الكنيسة.

ويلخص ديورانت الحال فى انجلترا فى مطلع القرن السابع عشر، تحت حكم چيمس الأول(١٦٠٣ـ ١٦١٤م) بأنه: **فوق الصراع الاقتصادى، والسياسى، استعرت نار الحرب الدينية. . . حملات عنيفة شنها اليوريتانز على الأساقفة والطقوس الإنجليكية [التابعة لكنيسة انجلترا البروتستانتية]، أو الإنجليكيون [التابعون للكنيسة الرسمية فى انجلترا] على صرامة اليوريتانز وعنادهم، أو شنها هؤلاء وهؤلاء على مؤامرات الكاثوليك لإعادة انجلترا إلى حظيرة البابوية.**

. . وحاول ليونارد بوشر فى كتابه «السلام الدينى» ـ ١٦١٤م، أن يدلل على أن الاضطهاد الدينى يوسع هوة الخلاف ويؤدى حتمًا إلى النفاق، ويضر بالتجارة، **وذكّر الملك چيمس بأن اليهود والمسيحيين والأتراك المسلمين متسامحون فى القسطنطينية، فهم جميعًا يعيشون فى سلام.**

ولكن انجلترا كانت مرجلاً دينيّا فى حالة غليان، تتقلب فيها الأحوال، فقد نشبت حربها الأولى من ١٦٤٢ـ ١٦٤٦م، وانتهت بأن أنهى البرلمان الحكومة الأسقفية الأنجليكية، وأقر التنظيم والمذهب المشيخى، أى منع تعيين الأساقفة فى مجلس اللوردات والوظائف العامة الكبرى، **وألغى أى تدخل للدولة فى شئون الكنيسة**، وتم إعدام الملك شارل عام ١٦٤٩م.

ثم اجتاحت انجلترا الثورة الثانية، بعد أن بدأ الملك چيمس الثانى(١٦٨٥ـ ١٦٨٨م) بالإفراج عن الكاثوليك المسجونين بسبب رفضهم تأدية قسم الولاة والسيادة، وأحاط نفسه بالعديد من الكاثوليك.

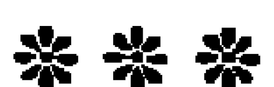
حاول كلٌ من الإيرل أرجيل التاسع وچيمس دوق مونموث خلع الملك الكاثوليكى بقوة جيشيهما، ولكنه انتصر عليهما، وتعقب جيش الملك فلول الثوار وشنق الأسرى بدون محاكمة. وشكل محكمة برئاسة قاضى قضاته جفريز، ذهبت للمناطق الغربية لتحاكم المتهمين بالثورة والتحريض عليها، **فشنق نحو أربعمائة، وأرسل ثمانمائة للعمل الإجبارى فى مزارع جزر الهند الغربية**، ثم كافأ الملك طاغيته الشرير بتعيينه رئيسًا

لمجلس اللوردات، فباعد بين النبلاء والملك، وطلب من البرلمان إلغاء قانون الاختبار (الذى يمنع تعيين الكاثوليك فى الوظائف ومقاعد البرلمان).

فامتنع البرلمان، فعطله الملك، وأخذ يعين الكاثوليك فى وظائف الدولة والمناصب، وعطل العقوبات على حضور العبادة الكاثوليكية، وأرسل للبابا انوسنت الحادى عشر يعده بقرب رجوع انجلترا للانضواء تحت راية كنيسة روما.

ثم بلغ السيل الزبى عندما أصبح لكل من البروتستانت والكاثوليك كنيسة تساندها الدولة.

قرر زعماء البروتستانت دعوة وليم أمير أورنج، صهر چيمس والوريث الثانى للعرش [زوج ابنة چيمس البروتستانتية] أن يأتى إلى لندن من هولندا ليخلف چيمس، فجاء بأسطوله، وتخاذل جيش چيمس عن حمايته، فأحس بأن قوى الشعب تلفظه، أسرع رجال الدين الإنجليكيون إلى التصالح مع المشيخيين والپيوريتانز والكويكرز (الأصحاب) لرفض التسامح مع عدوهم (الكاثوليك)، فنبذ الجميع الملك. فهرب إلى فرنسا مع زوجته الكاثوليكية، لتنتهى بذلك ملكية عائلة ستيوارت، وتولى وليم الملك فى عام ١٦٨٩م، لتستقر البروتستانتية بصورة نهائية ديانة انجلترا.



ثانياً

من هجرة البيوريتانز إلى الثورة الأمريكية ووضع الدستور الأمريكى

(مطلع القرن السابع عشر إلى ١٧٨٧م)



John Wollaston, *George Whitefield*. Ca. 1742. Oil on canvas. (*National Portrait Gallery, London.*)

هجرة البيوريتانز إلى أمريكا

قامت الهجرة الإنجليزية والهجرة عمومًا إلى أمريكا للبحث عن فرصة جديدة فى الحياة للنجاح والاستقرار . . سواء كان ذلك من ناحية الرزق والعمل، المال والثروة، من جانب الأفراد والشركات والدول، أو من ناحية الحياة الدينية الجديدة، حيث يمكن لكل امرئ أن يعبد الله بالطريقة التى يراها مناسبة .

ولنقرأ من مرجعنا الأساسى «قصة الحضارة»[1] ما ذكره ول ديورانت تحت عنوان :

[الملكة] إليزابث وإسپانيا

. . . وحانت لحظة مباركة ابتسم فيها الحظ السعيد للملكة . ذلك أن القراصنة الإنجليز ساقوا فى ديسمبر ١٥٨٨م إلى موانى القنال الإنجليزى عدة سفن إسپانية كانت تحمل ١٥٠,٠٠٠ جنيه لدفع رواتب جنود دوق ألفا فى الأراضى الوطيئة، سألت الأسقف «چول ـ Jewel»: هل لها حق فى الاموال الإسپانية؟ فحكم بأن الرب، وهو بروتستانتى قطعًا، يسره أن يرى البابويين يُسلبون .

وأثرت إسپانيا ثراء واسعًا بفضل كولومبس والبابا إسكندر السادس وقرارات التحكيم التى أصدرها (١٤٩٣) والتى منحت وطنه إسپانيا كل الأمريكتين تقريبًا . وبهذه الرحلات والمراسيم لم يعد البحر المتوسط مركز حضارة الرجل [الأوروپى] وقوته، وبدأ عصر الأطلنطى . ومن بين دول أوروپا العظمى الثلاث المطلة على المحيط، كانت فرنسا مغلولة اليدين بسبب الحرب الأهلية فلم تشارك فى الصراع الدائر حول السيادة على المحيطات، أما انجلترا وإسپانيا فقد استمر الصراع بينهما، صارت كلٌّ منهما تمتد نحو الأرض الموعودة مثل الصخرة الناتئة فى البحر . وبدا من

---

(١) ج ٢٨ ـ ص ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٥ .

العسير زحزحة إسپانيا عن مكان الصدارة والغلبة فى أمريكا، فما وافت ١٥٨٠م حتى كان لها مئات المستعمرات، على حين لم يكن لانجلترا شيء قط. وتدفقت الثروات الهائلة من مناجم المكسيك وپيرو إلى إسپانيا، وبدا قدراً محتومًا أن تحكم إسپانيا نصف الكرة الغربى، وتدخل الأمريكتين فى نطاق كيانها السياسى والدينى.

وكان لهزيمة الأرمادا أثرها على كل شيء تقريبًا فى أوروپا الحديثة، فكانت بداية تغيير حاسم فى تكتيك البحرية. وساعد ضعف إسپانيا الهولنديين على نيل استقلالهم، وارتقى بهنرى الرابع إلى عرش فرنسا، وفتح أمريكا الشمالية أمام المستعمرات الإنجليزية. وبقت الپروتستانتية وقوت. تضاءل شأن الكثلكة. وكف چيمس السادس ملك اسكتلنده عن مصادقة البابوات ومجاملتهم.

. . . ويكاد رالى أن يكون رجل عصر إليزابث الكامل: سيد مهذب، جندى، ملاح، مغامر، شاعر، فيلسوف، خطيب، مؤرخ، شهيد، فكان «الرجل العالمى» الذى صورته أحلام النهضة الأوروپية، والذى جمع العبقرية من أطرافها. . . ولابتهاجها بقوامه ومديحه لها وتملقه إياه وذكائه، أصغت إليه فى شك أقل مما اعتادت أن تنظر أو تسمع به إلى الناس، **عندما اقترح عليها إنشاء مستعمرات انجليزية فى أمريكا، ومنحته امتيازاً بذلك، وفى ١٥٨٤م أرسل - ولكنه لم يصحب - أول حملة من عدة حملات، وحاولت تأسيس مستعمرة فى ڤيرچينيا، ولكنها أخفقت، وبقى الاسم تذكاراً خالداً لعدم وصول الملكة إلى مبتغاها.**

چيمس تاون - ڤيرچينيا

حصلت شركة ڤيرچينيا على تفويض من الملك چيمس الأول بإنشاء مستوطنة بين خطى عرض ٣٨ , ٤٥ على الساحل الشرقى لأمريكا، فى المنطقة المسماة ڤيرچينيا، للبحث عن الذهب والفضة وما إلى ذلك، مما جلبه الإسپان من العالم الجديد.

أرسلت الشركة حوالى مائة من المغامرين المهرة الأقوياء، فرست سفنهم الثلاث فى ٢٤ مايو فى خليج تشيزاپيك. لم يجدوا لا ذهبًا ولا فضة، ولكنهم زرعوا الأرض

واصطادوا من البر و البحر ، وكونوا مستعمّرة تعيش على الزراعة والصيد ، وبنوا منازلهم من أشجار الغابات البكر ، وبنوا كنيستهم . وبدأوا تصدير الدخان إلى انجلترا .

توافد المهاجرون ، وكوّنوا مجلسًا تشريعيًا من حاكم وستة من أعضاء الكنيسة ، ومقابلهم اثنان من الأهالى ، اجتمع لأول مرة فى كنيسة چيمس تاون .

ماساشو ستس - نيوإنجلاند
من ميثاق زهرة مايو إلى الدولة الدينية

فى الحادى عشر من نوڤمبر ١٦٢٠م ، نزل إلى الساحل الشرقى شمال چيمس تاون بحوالى ١٠٠٠كم جماعة من المهاجرين الذين أطلق عليهم الحجاج .

جاءوا بزوجاتهم وأطفالهم على متن سفينة صغيرة ، قطعت بهم المحيط فى أكثر من شهرين ، جاءوا فراراً بدينهم . . . فهم البيوريتانز المضطهدون الذين رأوا فى كنيسة انجلترا انحرافًا عن المسيحية الصحيحة . . وفقدوا الأمل فى إصلاحها من الداخل . . .

وعلى متن سفينتهم ، أبرموا ميثاقهم المشهور بميثاق زهرة مايو- May Flower[١]

من ميثاق زهرة مايو إلى صهيون فى البرية

ذلك ما تواثق عليه ركاب السفينة «زهرة مايو - May Flower» . قبل وصولهم شتاء ١٦٢٠ إلى ما عُرف بعد باسم : كيب كود - ماساشوستس ، أو نيوإنجلاند .

كان هؤلاء البيوريتانز كالڤينيين ، فتمثلوا حكومة كالڤن الدينية فى چينيڤ ، ومن ثم تتابعت عليهم أمواج الهجرة البيوريتانية من انجلترا ، لا فرادى ولا عائلات ، وإنما مجتمعات بأكملها ، حتى إن بعض قرى انجلترا خلت من نصف سكانها ، جاءت إلى پلايموث ثم إلى سالم ، التى وصلها فى عام ١٦٣٠م «چون وينثروپ» فى أسطول من إحدى عشرة سفينة حملت تسعمائة مستوطن ، وما إن حل عام ١٦٤٠م حتى كان هناك أكثر من عشرين ألف مهاجر ، أو حاج پيوريتانى من انجلترا .

---

(١) راجع الميثاق فى صفحة ٨٩ ، ٩٠ .

بنى المهاجرون ميناء بوسطن، وأنشئوا جامعة هارڤارد[1].

عين المهاجرون، أو الحجاج اليپوريتانز، ويثروپ حاكمًا على ماساشوستس.

نظر اليپوريتانز لأنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة، أما العالم القديم بالنسبة لهم، فكان هو مصر التى فروا منها. لقد عقدوا عهدًا مع الرب: إذا أمَّن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعًا تحكمه القوانين الإلهية.

«لقد شبه چون وينثروپ المستعمرة بمدينة فوق التل (أى مدينة فاضلة، طبقًا لمجاز الكتاب المقدس تتجه إليها أنظار العالم). واعتبر اليپوريتانز أنفسهم مثالاً يُحتذى به العالم، واستمر هذا النوع من التفكير فى الولايات المتحدة، إذ إن الأمريكيين غالبًا ما يرون أنفسهم مكلفين بمهمة خاصة، وهى أن يكونوا مثالا يحتذى به فى سائر أنحاء العالم»[2].

. . . ووفقًا للعهد اليپوريتانى، يقوم أعضاء الكنيسة بانتخاب الحكومة. . . ومع ذلك فقد كان يُسمح فقط لأعضاء الكنيسة المتمتعين بالعضوية الكاملة بانتخاب الحكومة، وكانوا هؤلاء الأعضاء يشكلون نسبة صغيرة من إجمالى السكان، الخمس أو ربما أقل.

لم يكن اليپوريتانز يؤمنون بالتسامح الدينى، بل على العكس رفضوا تلك الفكرة تمامًا. . .

---

(١) حمل اليپوريتانز معهم إلى شمال أمريكا اللغة العبرية، وطبعوا «سفر المزامير» [من العهد القديم فى الكتاب المقدس] كأول كتاب ينشر فى العالم الجديد، وأسسوا جامعة هارڤارد بتبرع من الممول چون هارڤارد، وجعلوا أحد شروط القبول بالجامعة القدرة على الترجمة من النص العبرى الأصلى للتوراة إلى اللاتينية.

(٢) «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة» - مايكل وچوليا كوربت، مكتبة الشروق الدولية، الجزء الأول، صفحة ٤٤.

وعلى القارئ أن يأخذ فى الاعتبار مرة أخرى إطار عمل الپيوريتانز، فهم يعتبرون أنفسهم الشعب المختار الجديد فى إسرائيل الجديدة، وقد عاهدوا الرب على أن يقيموا المؤسسات الدينية والسياسية وفقًا للقانون الإلهى.

.. ولكن كما وصفنا فى المقدمة، فإن بعض التحول فى الرؤية الپيوريتانية - التى تربط النظام الاجتماعى السليم بالدين السليم - قد بدأ فى الظهور فى أغلب مؤسسات الدين - وكما سترى فى الفصل الرابع، **فإن كثيراً من هذه الرؤى قد وجدت فى تسعينيات القرن العشرين طريقها إلى فكر «اليمين المسيحى الجديد»**[1].

تشدد الپيوريتانز، وفرضوا قيوداً صارمة على الشعب، سواء فى المعتقد أو فى العمل.. أعدموا عشرات السحرة، رجالاً ونساءً، وسجنوا المئات منهم، بتروا آذان الكويكرز (الأصحاب)، وثقبوا ألسنتهم بالحديد الساخن، ونفوهم، ولما لم يجد كل ذلك أعدموا أربعة منهم بين عامى ١٦٥٩ و ١٦٦١م، حتى تدخل الملك شارلز الثانى فى عام ١٦٦١م وحرم ذلك.

وقد أفلح ناثانيل وارد (١٦٤٧ - ١٦٩٧م) المتحدث باسم حكومة نيو إنجلاند الپيوريتانية فى تصويرهم عندما قال:

«أتكفل باعتبارى الناطق بلسان نيو إنجلاند بأن أعلن للعالم باسم مستعمرتنا، أن جميع الفاميليست ومخالفى الشريعة، والمعمدانيين، وغيرهم من المتحمسين[2]، ستكون لهم الحرية التامة فى أن يظلوا بعيداً عنا، على أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن؛ لأن ذلك سيكون من الأفضل للجميع»[3].

مستعمرة رود أيلاند

وصل القس الپيوريتانى روجر ويليامز إلى بوسطن مهاجراً من انجلترا عام ١٦٣١م. خالف ويليامز الحكومة الدينية فى ثلاثة أمور:

---

(١) المرجع السابق صفحة ٤٦، ٤٧، ٤٨.

(٢) كل أولئك طوائف پروتستانتية.

(٣) المرجع السابق صفحة ٤٧.

أولاً: رأى أنه يجب فصل الكنيسة عن الدولة من أجل تطهير الكنيسة وضمان استقلالها وحريتها. ثانيًا: أراد الانفصال تمامًا عن كنيسة انجلترا. وثالثًا: اعترض على قيام البيوريتانز بالاستيلاء الجبرى على أراضى السكان الأصليين[الهنود]، دون الاتفاق معهم أو تعويضهم.

أصدرت الحكومة أمراً بالقبض على ويليامز لترحيله إلى انجلترا، ولكنه هرب، واشترى بعض الأراضى من الهنود، وأسس عليها المستعمرة الصغيرة رود أيلاند. طبق ويليامز معتقداته فى المستعمرة الجديدة، فلم ينشئ كنيسة رسمية، وبسبب الحرية الدينية أصبحت المستعمرة تتمتع بالتنوع فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية البروتستانتية. وبعد ذلك جاء الكاثوليك واليهود.

كان ويليامز ـ حسب الزوجين كوريت ـ يسعى لتحقيق بيوريتانية أكثر تطهراً من تلك الموجودة بمستعمرة خليج ماسا شوستس، وهو أول من استخدم استعارة الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة، وكان هدفه حماية الكنيسة من فساد العالم. . وكما أوضحنا فى المقدمة، فإن إحدى حجج الفصل القانونى بين الكنيسة والدولة، هى حماية الدين من تدخل الحكومة ـ[صفحة ٥٢، ٥٣ من كتاب الدين والسياسة فى الولايات المتحدة].

مستعمرات الوسط الأمريكى

طبقت كل من مستعمرتى نيوهامپشير وكونكتيكت نمط نيو إنجلاند. بينما أسس ويليام بن مستعمرة بنسيلڤانيا، وعمل على فرض آراء الكويكرز (الأصحاب) فيما يتعلق بالمعايير الأخلاقية، ولكنه آمن بالتسامح الدينى والخلاص الفردى، وليس عن طريق الكنيسة الرسمية.

أما فى ولايات الوسط والجنوب، فقد كانت هناك تعددية بروتستانتية.

ڤيرجينيا

كانت أول مستعمرة بريطانية فى أمريكا عام١٦٠٧م، وقد قامت لتحقيق الربح للإمبراطورية البريطانية، و زيادة الانتشار لكنيسة انجلترا الإنجليكية.

وطبقًا للزوجين كوربت، فبعد صدور «قانون التسامح» فى بريطانيا عام ١٦٨٩م، زاد التنوع البروتستانتى. وفى القرن الثامن عشر، بدأ المعمدانيون والمشيخيون والميثوديون فى التدفق على ڤيرچينيا، وبسبب الاضطهاد الذى نجم عن ذلك، ساهمت ڤيرچينيا فى ظهور رجال مثل چيفرسون وماديسون، الذين أيدوا بشدة الحرية الدينية.

وقد كان فى كلٍ من كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية كنيسة أنجليكانية ضعيفة، وقد باءت بالفشل جهود جعلها كنيسة رسمية.

تأسست آخر المستعمرات البريطانية، چورچيا، عام ١٧٣٧م، وكانت كنيستها الرسمية هى الكنيسة الإنجليكية، ولكنها كانت ضعيفة.

مارى لاند الكاثوليكية

أسس اللورد بالتيمور مستعمرة كاثوليكية بعد أن حصل على مباركة ملك انجلترا الكاثوليكى فى ذلك الوقت الملك شارل، ولكن بعد إعدام الملك، زاد عدد البروتستانت على عدد الكاثوليك، واستبعدوهم من المناصب العامة، وبعد ثورة ١٦٨٨م، أصبحت مارى لاند تابعة للملك، وبالتالى أصبحت كنيسة انجلترا هى كنستها الرسمية.


المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية
التي حاربت إنجلترا سنة ١٧٧٦
ماساتشوستس
نيوهامشير
ماساتشوستس
رود آيلند
كنيتيكت
نيويورك
نيوجيرزي
دلاوير
ميريلاند
فرجينيا
نورث كارولينا
ساوث كارولينا
جورجيا

خفوت البيوريتانية

كما خفت الحماس للحكومة الدينية لكالڤين فى چينيف، خفت الحماس للبيوريتانية فى نيوإنجلاند، خاصة بعد صدور «قانون التسامح»(1) فى بريطانيا الأم عام ١٦٨٩م، والذى يكفل حرية العبادة إلا للكاثوليك والموحدين (طائفة مسيحية)(2).

ولكن طبقًا للزوجين كوربت فى كتابهما «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة»، بقيت من معتقدات البيوريتانية ما كان له الأثر على الثقافة والتطور الدينى والسياسى لأمريكا:

- العهد اللاهوتى [بين الله ونبى الله إبراهيم، وأبنائه من بعده]، والعقد الاجتماعى.

- المدينة الفاضلة والقدر الأمريكى.

جاء البيوريتانز إلى العالم الجديد وهم يعتقدون أنهم الشعب المختار المكلف برسالة، والعالم الجديد هو إسرائيل الجديدة، والعالم القديم [انجلترا] هو مصر الجديدة. ولقد عاهد البيوريتانز عهداً مع الرب ومع بعضهم البعض على بناء مجتمع يقوم على أساس القانون الإلهى. واليوم يعتقد كثير من الناس فى الولايات المتحدة بأن بلدهم مكلف بمهمة خاصة. ويشعر كثير من الأمريكيين بأن الولايات المتحدة هى البلد المختار الذى أسبغ عليه الرب نعمته. وقد برزت هذه الرؤية - على سبيل المثال - فى خطاب الرئيس كلينتون الافتتاحى سنة ١٩٩٧م حينما قال: استرشاداً بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، دعونا نوجه أبصارنا إلى أرض ميعاد جديدة.

---

(1) Tolerance Act: members of all religious orders except Catholics and Unitarians permitted freedom of worship - Introdnction To Comparative Government, Second Edition - Curtis Harper Collins pg. 30.

(2) وفى كتاب الفيلسوف الإنجليزى الشهير چون لوك، والذى صدر فى آخر القرن السابع عشر «رسالة فى التسامح» استثنى من ذلك التسامح: أولئك الذين يتبعون رئيسًا فى الخارج (الكاثوليك)، واليهود. فكان يقصد التسامح بين طوائف البروتستانت.

الخطيئة الأولى والحكومة المحدودة [الصلاحيات]

آمن البيوريتانز بأن الخطيئة الأولى وفساد البشر هما واقع الحياة. وقد وجدت هذه الرؤية السلبية للطبيعة البشرية طريقها إلى الثقافة السياسية للحياة الأمريكية . . .

. . . إلا أن واضعى الدستور قد تأثروا بها، وقد وجِّه مؤخراً انتقادٌ للتعارض الموجود فى الحكومة الأمريكية . . . والشروط المسبقة لهذا التعارض وضعها المؤسسون الأوائل عمداً فى الإطار الدستورى وفقًا للرؤية السلبية للطبيعة البشرية، فقد شكلوا حكومة مقيدة بقيود وضوابط وفصل بين السلطات. فلم يؤمن المؤسسون الأوائل بديمقراطية جامحة بدون حدود.

الصحوة الدينية الكبرى

بعد أن خبت سيادة المذهب البيوريتانى، جاءت الصحوة الكبرى.

كانت الصحوة الكبرى، هى إحياء دينى للكالفينية والإيفانجليكية[1] فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن الثامن عشر.

كانت حركة واسعة بمعنى أنها حاولت أن تضم إلى الكنيسة أناسًا لم يكن يُسمح لهم بذلك بمقتضى المعايير البيوريتانية القديمة، ونجحت الحركة فى تحقيق ذلك.

كان من أهم من دعاة الصحوة چوناثان إدواردز (١٧٠٣ ـ ١٧٥٨م) وچورچ وايتفيلد (١٧١٤ـ ١٧٧٠م)

وكان تأثير إدواردز الأساسى فى السياسة، هو ربط آمال «العصر الألفى السعيد» الناتجة عن الصحوة الكبرى، بالقومية الأمريكية.

يستخلص كوينج أن ارتفاع نسبة الإيفانجليكيين بين سكان المستعمرات، كان له التأثير الحاسم فى الثورة الأمريكية، وتقنين الحرية الدينية[2].

---

(١) الإيفانجليكى: هو من يؤمن بأن الكتاب المقدس من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا هو كلمة الله الصحيحة المعصومة من الخطأ، والتى تفسر حرفيًا، والتى ينبغى اتباعها فى مجال الإيمان والعمل.

(٢) «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة» ـ صفحة ٥٩.

ويرى آل كوربت أن هناك ثلاثة عوامل رئيسية أسهمت فى إحداث التوتر بين بريطانيا العظمى والثلاث عشرة مستعمرة بأمريكا الشمالية . . حتى أعلنت المستعمرات الاستقلال وقامت بحربها الثورية من أجله .

أول العوامل : كان سياسيًا ، وهو الشعور المتزايد لدى سكان المستعمرات بقدرتهم على حكم أنفسهم ، دون الحاجة إلى الفوائد ولا القيود من جانب حكومة ليس لديهم سلطة فيها . ثم العامل الاقتصادى ، والذى رأى فيه سكان المستعمرات نزيفًا لصالح بريطانيا .

أما العامل الدينى ، فهو أولاً خوف سكان المستعمرات من أن تعين انجلترا أسقفًا إنجليكيّا[١] للمستعمرات ، مما يعنى أن هجرتهم من كنيسة انجلترا أسفرت عن هجرة كنيسة انجلترا وراءهم .

وثالثهما : أن حكومة انجلترا أصدرت قانونًا عام ١٧٧٤م ، منح سكان كويبك الكاثوليك [فى كندا] بعض ميزات الحكم الذاتى [مثل جمع الضرائب من أجل المدارس] ، مما جعل سكان المستعمرات - المعادين للكاثوليكية - يرون فى ذلك خطر تأسيس كنيسة كاثوليكية .

ويرى كليفورد لونجلى فى كتاب « الشعب المختار » أن إلغاء مرسوم الاختبار[٢] فى كندا ، كان من الأسباب التى أسهمت فى الحرب الثورية الأمريكية ضد البريطانيين .

ثم أضاف لونجلى نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية : كان الكونجرس القارى [كونجرس المستعمرات الثلاث عشرة] الذى اجتمع فى سبتمبر ١٧٧٤م ، قد عبر عن غضبه الشديد ؛ لأن البرلمان البريطانى ما كان يجب أن يوافق أبدًا على أن يؤسس فى هذه البلاد [أى كويبك] ديانة أغرقت جزيرتكم فى الدماء .. [صفحة ٧٢ ، ٧٣ من الجزء الأول] .

---

(١) تابع لكنيسة انجلترا .

(٢) الاختبار بمعنى منع الكاثوليكى من التعيين .

كان التيار الرئيسى فى الكاثوليكية يتبع البابا ورجال الكنيسة، وأصبح التيار الرئيسى فى البروتستانتية الصاعدة- يتبع كلمات الكتاب المقدس حرفيًا.

ظهر بين البروتستانت تيار يدعو لإعمال العقل، خاصة عندما يتأمل فى الصراع الدموى بين الكاثوليكية والبروتستانتية، وادعاء كل جانب صحة معتقداته، وفساد معتقدات الآخر.

كذلك أسهمت فلسفة التنوير فى أوروبا، مع ذلك الدين العقلانى، أو الاتجاه العقلانى فى فهم الدين، لما أصبح المسيحية المستنيرة. وقد وصفها آل كوربت بالخصائص السبع الآتية:

١- دور البشر فى تخليص أنفسهم من الخطيئة، مع رفض فكرة القدر المسبق.

٢- ضرورة تبسيط المعتقدات المسيحية.

٣- ضرورة تعاون الناس على البر والتقوى.

٤- لم تعط اهتمامًا كبيرًا للأسرار المقدسة.

٥- ركزت على المنطق والعقل، وقللت من تأثير الظروف المحيطة بالإنسان على عمله.

٦- اهتمت بتقدم الإنسان دينيًا ودنيويًا.

٧- رأت الله سلطة مختلفة عن البشر، تحكم الكون بقوانين الطبيعة، وليس إلهًا له طبيعة بشرية.

ثم يعلق آل كوربت فى كتابهما «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة»:

ولكن القوة الدافعة للدين العقلانى لم تكن وحدها تكفى لإشعال الثورة على الحكومة الإنجليزية. لقد كان هناك توافق ما بين الدين العقلانى، والتقوى البروتستانتية، والإيفانجليكية، وحدت تلك المذاهب قواتها مؤقتًا من أجل الثورة، ونظر العديد من البروتستانت التقاة إلى الانفصال عن بريطانيا كخطوة نحو خلق نظام اجتماعى أفضل، يمكن من خلاله التقدم تدريجيًا لتحقيق مملكة الرب على الأرض.

الربوبيون

ظهر الربوبيون فى انجلترا، وأوروبا بصفة عامة، وأمريكا، بعد الحروب الدينية، وبعد انطلاق الاكتشافات العلمية. . لم تكن لهم نفس المعتقدات. . وهم بكلمات ديورانت: بين الطبقات المتعلمة، التمس الشك حلاً وسطًا فى التوحيد- الدين الطبيعى- والربوبية.

ارتاب التوحيديون فى المساواة بين المسيح والأب، ولكنهم عادة ارتضوا الكتاب المقدس نصوصًا إلهية. أما الربوبيون فإنهم طالبوا فقط بالإيمان بالله، الذى اعتبروه مفهوما تجريديًا غير مشخص.

وحسب آل كوربت:

- يؤمن الربوبيون بإله خالق للكون.
- يطلقون عليه أحيانًا الرب، ولكن فى كثير من الأحوال يُشار إليه بألفاظ مثل «الخالق» أو «رب الطبيعة» أو «حاكم الكون». . أو غير ذلك.
- تتجاوز طبيعة هذا المعبود قدرة البشر على الإدراك.
- يحكم هذا المعبود من خلال قوانين الطبيعة.

وتحت عنوان« الثورة ترتدى عباءة الدين» قالا:

استغل الوطنيون الجاذبية الدينية لإعطاء الثورة الهوية الدينية. وعادة ما غُلفت مبررات الحرب بالأسباب والتصورات الدينية. ومرة أخرى، قياسًا على وصف الكتاب المقدس لهروب اليهود من مصر باحثين عن الأرض الجديدة التى وعدهم الرب بها، أصبحت الأمة الجديدة هى إسرائيل الجديدة، وأصبحت بريطانيا هى مصر الجديدة. وقدم الجانب التقوى للائتلاف الثورى الحماس الدينى، بينما قدم الجانب العقلانى أساسًا منطقيًا فكريًا، إلا أن طرفى الائتلاف صاغا الجهد الثورى فى لغة دينية. [الاقتباس من صفحات ٧٠، ٧١، ٧٢].

أما كليفورد لونجلى فى كتابه «الشعب المختار»، فقد قال:

وكان الكتاب المقدس فى الحقيقة هو كتاب الثوريين فى المستعمرات الأمريكية عندما اتسع النزاع مع البريطانيين حتى وصل إلى نقطة اللاعودة. ولم يتضح هذا على نحو أفضل من اجتماع الكونجرس القارى الأول، والذى اجتمع فى سبتمبر ١٧٧٤م عندما باتت الحرب مع انجلترا وشيكة. وعندما وصلت أنباء قصف المدفعية البريطانية لبوسطن إلى فيلادلفيا، قام قس أسقفى إنجليكى، هو المبجل يعقوب دويتشى، بقيادة المجلس فى الصلاة. ولم يكن من طائفة البيوريتانز، والواقع أن هذا كان أحد الأسباب فى أن مندوب نيوإنجلاند، سام آدامز، اقترحه هو لقيادة الصلاة، رمزًا للوحدة فى وقت فريد فى الأزمة. ولكن النص الذى اختار أن يقرأه، والكلمات التى قالها عقب ذلك، يمكن فهمها بوضوح على أنها تجنيد للكتاب المقدس فى صف أمريكا فى الصراع القادم. فهو يضع أمريكا مكان إسرائيل، ويطلب دفاع الرب عن إسرائيل فى العصور القديمة متوسلاً بأنه سبب لكى يدافع عن أمريكا الآن. وبينما كان المندوبون يحنون رءوسهم، وكان المندوب الفيرجينى چورچ واشنطن يشاهد راكعًا، قرأ دويتشى المزمور الخامس والثلاثين: «خاصم يارب مخاصمى، وحارب الذين يحاربوننى. أمسك مجنًا وترسًا وانهض إلى معونتى. واشرع رمحًا وتصد لمطاردى. قل لنفسى خلاصك أنا. ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتى ليكونوا مثل ذرات التبن قدام الريح وملاك الرب داحرهم. ليكن طريقهم ظلامًا وزلقًا وملاك الرب طاردهم. . . ».

(هذه هى الإشارة إلى «الملائكة فى الريح» التى عناها چورچ دبليو بوش فى خطابه الافتتاحى الذى أوردنا فقرات منه فيما قبل). وينتهى المزمور بتذكير أن الذين اختارهم الرب لا ينالون مكافآتهم بالنصر على أعدائهم فقط وإنما بالرفاهية؛ ولكن عليهم فى مقابل ذلك أن يبقوا مؤمنين:

«لا تسكت ياسيد، لا تبتعد عنى. استيقظ وانتبه إلى حكمى يا إلهى وسيدى إلى دعواى. اقض لى حسب عدلك يارب يا إلهى فلا يشمتوا بى. لا يقولوا قد ابتلعناه. ليخز وليخجل معًا الفرحون بمصيبتى. ليلبس الخزى والخجل المتعظمون علىّ. ليهتف ويفرح المبتغون حقى وليقولوا دائمًا ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده. ولسانى يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك».

وبينما كان البيوريتانز على ألفة بالفعل بأسلوب التبشير الذى يضع نيوإنجلاند مكان إسرائيل، فإن الإنجليكيين الكثيرين الحاضرين لا بد أنهم كانوا أكثر ألفة مع العادة التقليدية فى صلاة القداس فى رؤية كنيسة انجلترا ـ أو انجلترا فى جانبها الروحى ـ كما لو كانت تحل محل بنى إسرائيل. **وقد حدث فى افتتاح الكونجرس القارى سنة ١٧٧٤م، وبتلك القراءة والصلاة التى أعقبتها، أن أمريكا قدمت نفسها بصورة رسمية فى مكان بنى إسرائيل، وبذلك تطرد انجلترا من هذا المكان وتدعم الزعم البيوريتانى فى هذا الشأن بحيث يضم المستعمرات الثلاث عشرة جميعًا. وقد كان ذلك الامتياز هو حجر الزاوية الذى شيد أمريكا على فهم محدد لأغراض الرب. ومنذ ذلك الحين فصاعدًا لم يعد الشعب المختار هم اليهود، ولا الكاثوليك، ولا الإنجليز، ولا سكان نيو إنجلاند فقط، ولكن كل الأمريكيين. ومنذ ذلك الحين فصاعدا «الكينونة الأمريكية»، مثل أن تكون يهوديًا أو مسيحيًا، كانت تعنى أن تحوز مكانة دينية متمايزة بوصفك واحدًا من المختارين. [صفحة ٨١، ٨٢].**

ثم يقدم آل كوربت نبذًا مختصرة عن المؤسسين الأوائل، أو آباء الدستور، أو حتى الفلاحين، كما يُطلق على زعماء الاستقلال فى أمريكا:

المؤسسون الأوائل

. . . هناك مفتاح مهم يجب ذكره، ألا وهو أن المؤسسين كانوا منخرطين فى السياسة، وهى تتطلب حلولاً وسطًا، بينما هناك ما يكفى من الأسباب للاعتقاد بأن المؤسسين كانوا أصحاب مبادئ سامية، و لكنهم كانوا أيضًا توجههم الأهداف، وعمليين للغاية.

چورج واشنطن (الرئيس الأول من ١٧٨٩ ـ ١٧٩٧)

وجهات نظر چورج واشنطن، قائد جيش الثورة لبضع سنوات وأول رئيس للولايات المتحدة، هى محل تفسيرات متنوعة ومتناقضة، مما جعل البعض يدعى أنه كان مسيحيًا تقليديًا والبعض الآخر يدعى أنه كان ربوبيًا.

فمن ناحية كان واشنطن يذهب إلى الكنيسة بصورة غير منتظمة (أقل من عشر مرات في العام) وأيد فكرة وجود دين رسمي في ڤيرچينيا، كما استشهد بالدين بصورة متكررة في خطبه العامة، وطلب من الجنود حضور القداس الديني ما لم يكونوا في نوبة عمل، كما أصدر مرسومًا يجعل من عيد الشكر عيداً قوميّا. وعلى هذا الأساس يمكن الجزم بأن واشنطن كان مسيحيًا تقليديًا معتدلاً.

ومن الناحية الأخرى، فاستشهاداته بالدين كانت عالمية أكثر منها پروتستانتية، أو حتى مسيحية، وهو نادراً ما استشهد بالكتاب المقدس، وأشار أحيانا إلى الرب بأسماء مثل حاكم الكون والصانع الأعظم، وفي هذا تشابه مع لغة الربوبية.

أما بخصوص علاقة الكنيسة والدولة، فمن ناحيته أيد واشنطن بوضوح محاولة پاتريك هنرى الفاشلة لاستعادة المؤسسة الدينية الرسمية في ڤيرچينيا، وطلب من الكونجرس الموافقة على تعيين قساوسة في الجيش، ونادى بالاحتفال بالأعياد الدينية القديمة، وأكد أن الحكومة لن تؤيد التعصب والاضطهاد.

چون آدامز (الرئيس الثاني من ١٧٩٧ ـ ١٨٠١)

مثل چيفرسون، يمكن وصف چون آدامز ثاني رؤساء الولايات المتحدة كربوبي مسيحي آمن بتعاليم المسيح الأخلاقية ولم يؤمن بألوهيته. وفي ماساشوستس كان آدامز أحد الليبراليين الدينيين ممن انفصلوا عن الإبرشيين التقليديين ليصبحوا موحدين. وآمن أيضًا أن الدين المسيحي هو الأفضل، ولكنه رأى هذا من ناحية دعم الدين للسلوك الأخلاقي. ففي ٢٦ يوليو ١٧٩٦م، أشار في يومياته إلى أن المسيحية هي دين الحكمة والفضيلة والمساواة والإنسانية، وهذه الصفات تختص بالسمات الإنسانية أكثر من الألوهية أو الخلاص.

وفي يومية ١٤ أغسطس ١٧٩٦م، كتب آدامز أن إحدى مزايا الدين المسيحي العظيمة تتمثل في قدرته على توصيل مبدأ قانون الطبيعة والأم إلى الجميع، مثل: أحب لجارك كما تحب لنفسك، وعامل الآخرين كما تحب أن تعامل. ومثل چيفرسون وفرانكلين، أكد آدامز على سلوكيات الناس أكثر من معتقداتهم الدينية.

وفى نفس الوقت، كان آدامز ناقدا لاذعًا لما رآه بمثابة انحراف المسيحية من خلال الدين المؤسساتى (وهذا على الرغم من إيمانه بوجوب ذهاب الناس إلى الكنيسة) وبسبب النزاعات اللاهوتية المستديمة. وفى رسالة موجهة إلى ف. أ. ديركمب بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٨١٦م، أشار آدامز إلى أن هذا الانحراف جعل من الديانتين اليهودية والمسيحية أكثر الديانات دموية على الإطلاق[1]، وأضاف أن العديد من الإنجازات الثقافية قد أسيء استخدامها لخدمة أغراض ممقوتة من الدجل والخرافات.

وآمن آدامز بحرية الدين، وعمل من أجلها. فلم يؤمن بأحقية أى جماعة فى فرض مذاهبها الدينية على الآخرين، ويجب أن يترك العقل البشرى حراً من المعتقدات الجازمة. وفى رسالته إلى ديڤيد سيوال فى ٢٢ مايو ١٨٢١م، أعرب آدامز عن وجهة نظره فى أن التقدم قد تحقق خلال حياته فى مجالات كثيرة، وتتضمن قائمة هذه المجالات إلغاء الخرافات والاضطهاد والتعصب.

وصرح آدامز فى رسالته إلى بنيامين رش فى ٢٨ أغسطس ١٨١١م بفكرة اعتنقها لفترة طويلة، ألا وهى **أن الدين والفضيلة هما أساس الحكومة الجمهورية، وكل الحكومات الحرة، وأساس السعادة الاجتماعية فى ظل جميع الحكومات. وآمن آدامز إيمانًا قويًا باستخدام الدين لدعم كل من الأخلاقية الفردية ومزية المواطنة. كما آمن أن الدين جعل الناس مسئولين وعلى خلق من ناحية سلوكهم كأفراد فى حياتهم اليومية، ومن ناحية واجباتهم كمواطنين. فبدون الدين كدعامة، لا يمكن أن يكون هناك حكومة جمهورية.**

وذكر المؤرخ الأمريكى والتر أ. مكدوجال فى كتابه «أرض الميعاد والدولة الصليبية»: كان چون آدامز يعتقد أن الكتاب المقدس قدم النظام الوحيد الذى حفظ، وسيحفظ دائمًا، الجمهورية فى العالم[2].

---

(١) ماذا كان يقول لو شاهد الحربين العالميتين، وما تلاهما من حروب أشعلها المسيحيون واليهود، وخصوصًا ما كان ذلك من أمريكا.

(٢) ترجمة رضا هلال، ونشرته دار الشروق، صفحة ٦٦.

بنيامين فرانكلين

أرسل فرانكلين قبل وفاته بالرسالة الآتية إلى رئيس جامعة يال:

«أنا أؤمن بإله واحد خالق الكون الذى يتولاه بعنايته الإلهية، وهو وحده المستحق للعبادة، وأن أفضل ما نقدمه له هو تقديم الخير لعباده الآخرين. كما أؤمن بأن روح الإنسان خالدة، وسوف تعامل بعدل فى الحياة الأخرى حسب سلوكها فى الحياة الدنيا».

وعبر فرانكلين فى رسالته عن إيمانه بأن نظام الأخلاقيات والدين الذى تركه المسيح هو الأفضل فى العالم، إلا أن البعض تسببوا فى إفساده. وتشكك فى ألوهية المسيح، ولكنه لم يعط تلك المسألة أهمية كبرى. ورأى أن الدين يساعد فى دعم أخلاق المجتمع.

توماس چيفرسون (الرئيس الثالث من ١٨٠١ـ ١٨٠٩)

وواضع إعلان الاستقلال. كان چيفرسون ربوبيّا على الرغم من إشارته لنفسه فى عديد من المناسبات كموحد أو قائل بإله واحد أو مسيحى عقلانى.

كان مسيحيّا ولكن ليس بالمعنى التقليدى. فقد نسب إلى المسيح كل الفضائل الإنسانية، ورفض ألوهيته، ورأى أن رجال الدين والمؤسسات الدينية حرفوا تعاليم المسيح. ونادى بوجوب قراءة الكتاب المقدس ونقده، حتى يستخلص الناس جواهر الحكمة فيه. وقد انتقى من الكتاب المقدس ما أسماه الكتاب المقدس لچيفرسون، وقد نبذ الجزء الأكبر من الكتاب المقدس، وأبقى ما علم أنه صحيح ونافع.

ولعدم ثقته برجال الدين والمؤسسات الدينية، آمن چيفرسون بحرية الضمير والفصل بين الكنيسة والدولة، وصك المصطلح المشهور «حائط فاصل بين الكنيسة والدولة».

وعلى الرغم من عدم ثقته برجال الدين، ومعارضته لوجود كنيسة رسمية، فقد أيد الدين كداعم للمجتمع والمواطنة، وشاركه هذا الرأى معظم الزعماء السياسيين والدينيين من جميع المذاهب، واهتم بالأفعال أكثر من الأقوال، حتى إنه قال: لو أنه

أراد تأسيس طائفة دينية لكان مبدأها الأساسى عكس الكالڤينية - التى تقول التبرير بالإيمان وليس بالأفعال - فيكون مبدأه التبرير أو الخلاص بالأفعال وليس بالأقوال[1].

بينما يؤكد كليفورد لونجلى فى كتابه «أسطورة الشعب المختار» : **ثلثا الذين وقعوا إعلان الاستقلال، وكذلك ثلثا الذين وقعوا الدستور الأمريكى، كانوا من الإيڤانجليكيين الأمريكيين، الذين كانت حياتهم الدينية قد تشكلت بفعل كتاب الصلوات العامة سنة ١٦٦٢م.**

أما عن توماس چيفرسون، فيقول لونجلى :

يحتفظ قسم المخطوطات فى مكتبة الكونجرس بأوراق تتعلق باقتراح چيفرسون - الذى يعد الأكثر علمانية بين الآباء المؤسسين - لشعار الدولة الجديدة، حيث أوصى چيفرسون بـ «بنى إسرائيل فى البرية تقودهم سحابة فى النهار، وعمود من النار فى الليل»[2]، ثم تبنى اقتراح فرانكلين باستبدال ذلك بقصة انشقاق البحر الأحمر لبنى إسرائيل الواردة فى الكتاب المقدس.

ثم استأنف لونجلى قائلاً :

وغالبًا ما يتم التعامل مع مذهب الربوبية الذى شاع أواخر القرن الثامن عشر فى أمريكا على أنه السابقة التى خرجت منها العلمانية. وهى غالبا ما تعرف بأنها قيم التنوير، التى تم الأخذ بها فى الديانة العلمانية الجديدة للماسونيين الأحرار التى ينتمى إليها كثير من الآباء المؤسسين. وقد يكون أقرب للحقيقة أن نقول، مع أخذ التجربة الإنجليزية فى الحساب هنا أيضًا، إن مذهب الربوبية قد أفرز مذاهب عديدة ربما يكون أكثرها حظًا فى الاعتراف ليس هى اللا أدرية العلمانية وإنما البروتستانتية المتحررة (فى المذهب الإيڤانجليكى خاصة). كان هذا الفرع من التيار العام للمسيحية هو الأكثر انفتاحًا لاكتشافات البحث النقدى فى الكتاب المقدس، الذى كان آخذا فى الظهور فى ألمانيا بحلول منتصف القرن التاسع عشر، وهى الأرضية التى قام عليها رفض

---

(١) النصوص السابقة مقتبسة من «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة» - الجزء الأول من صفحة ٧٥ إلى ٨٢.

(٢) جاء ذلك فى سفر الخروج، وطبقًا لنصوص العهد القديم، فالسحابة وعمود النار هما الهداية الإلهية لبنى إسرائيل.

الدراسات لقصص المعجزات. وكان هذا الفرع من المسيحية الذى واجه أقل قدر من الصعوبة فى تناول أعمال تشارلز داروين، كما أنه كان على أتم الاستعداد للموافقة على أن روايات الخلق فى سفر التكوين خرافات وأساطير.

واللاهوت المتحرر، مثل مذهب الربوبية، يميل صوب التوحيدية (وهو مذهب لطائفة تنكر الثالوث)؛ لأنه لا يستريح لعقيدة أن المسيح هو ابن الله المتجسد. ونوع الديانة التى يستهجنها التحرريون أكثر من غيرها هى الكاثوليكية الرومانية؛ بسبب عقيدتها ومعجزاتها وثقتها، ثم المذهب الإيفانجليكى المحافظ (والمعروف كذلك باسم الأصولية البروتستانتية) بسبب ثقته فى الكتاب المقدس واعتماده عليه، وإصراره على «قفزة العقيدة» أو تجربة شخصية للخلاص، التى تبدو على النقيض من المبادئ العقلانية. وثمة شىء واحد يمكن أن نكون متأكدين منه هو أن أولئك الآباء المؤسسين لأمريكا والذين أطلق عليهم اسم «الربوبيين»، أيًا كان قدر التبرير، لا بد وأنهم كانوا يتفقون صراحة مع البروتستانت الليبراليين فيما كانوا يكرهونه أكثر من غيره.

وسواء كان چورچ واشنطن ربوبيًا «ناعمًا»، أو لم يكن، فإنه كان على إيمان قوى بالرعاية الإلهية، أى يد الرب الخفية التى توجه شئون الناس صوب صالحهم. وفى خطابه الافتتاحى الأول رئيسًا للولايات المتحدة قال مثل هذا وأكثر:

«سيكون من غير الملائم بتاتًا أن نحذف فى هذا الفعل الرسمى الأول امتنانى الحماسى للرب العظيم الذى يحكم العالم، والذى يرأس مجالس الأمم، والذى يمكن لمساعداته الرعوية أن تعوض كل نقص إنسانى، وأن بركاته قد تكرس لحرية شعب الولايات المتحدة وسعادته، حكومة أسسوها بأنفسهم لهذه الأغراض الأساسية، وقد تساعد كل أداة استخدمت فى إدارتها لإنجاز الوظائف التى تظللها رعايته بنجاح. وتقديم الطاعة والولاء للخالق العظيم الذى خلق كل خير عام وخاص، أؤكد لنفسى أنه يعبر عن عواطفكم مثلما يعبر عن عواطفى، وعواطف الإخوة المواطنين على نطاق واسع. وليس هناك شعب يمكن أن يعترف ويحب يد الرب الخفية التى توجه شئون العالم أكثر من شعب الولايات المتحدة. فكل خطوة تقدموا بها لتحقيق وطن مستقل تبدو أنها كانت متميزة بنوع من الرمز الدال على الرعاية الإلهية، وفى الثورة المهمة التى تم إنجازها بنظام حكومتهم المتحدة، فإن التشاور الهادئ والموافقة الطوعية لهذا العدد

الكبير من الجماعات المتمايزة والتى نتج عنها الحدث، لا يمكن أن يقارن بالوسائل التى تم بها تأسيس معظم الحكومات، دون الرجوع إلى الامتنان الدينى، مع توقع للبركات التى يحملها المستقبل والتى يبدو أن الماضى قد بشَّر بها».

كانت العناية الإلهية أقوى فعلاً من المعجزات. فبدلاً من أن تكون شديدة الندرة ومرتبطة بحوادث معينة، مثلما هى الحال فى الكاثوليكية، فإن مفهوم العناية الإلهية الرحيمة غطى كل شىء تقريبًا. فكل طفرة محظوظة تصبح تدخلاً إلهيًا. هل ساقت الريح السفن الإسپانية إلى الصخور سنة ١٥٨٨ (فى معركة الأرمادا ضد الأسطول الإنجليزى)؟ لقد كان ذلك بفعل العناية الإلهية. هل نجا المستوطنون الپيوريتانز الأصليون من أول شتاء؟ كان الفضل فى ذلك للعناية الإلهية. هل قضى الجيش الناشئ [الأمريكى] على قوات الملك [الإنجليزى]؟ لقد كانت العناية الإلهية وراء ذلك. هل عاش جيش واشنطن المهلهل أثناء محنته فى ڤالى فورج؟ لقد كان هذا أيضًا من فعل العناية الإلهية. وفى لاهوت العناية الإلهية لا يتدخل الرب سوى بهذه الطريقة لصالح العادل والمستقيم. **أو إذا قلبنا المعادلة، يكون الرب جانب الرابح وبهذا يكون «الحق قوة»[1]. هذه الاعتقادات مكونات مهمة ليس بالنسبة للرؤية الأصولية للعالم فقط، فهى لم تكن مرفوضة ممن يسمون أنصار مذهب الربوبية فى أمريكا أواخر القرن الثامن عشر، والذين كانوا على قناعة كامة بأن الرب الذى لم يكونوا يعرفونه تمامًا يقف إلى جانب أمريكا. وهذه بطبيعة الحال طريقة إنجليزية خالصة فى النظر إلى الأمر. وإذ كانوا هم الشعب المختار، والرعاية الإلهية إلى جانبهم، فإن هذا كله جزء من الشىء نفسه.**

والجدل الحى فى الولايات المتحدة حول المعتقدات الدينية للآباء المؤسسين ليس فى الحقيقة جدلاً حول الحقيقة التاريخية بحد ذاتها، ولكن حول معركة للسيطرة على الذاكرة الجماعية الأمريكية، فى سبيل السيطرة على طريق أمريكا فى المستقبل على النحو المتصور[2].

---

(١) تلك ترجمة القول الأمريكى المأثور : Might is Right .

(٢) الشعب المختار ـ ط مكتبة الشروق الدولية ـ ص ٣١ ـ ٣٣.

فصل الدولة عن الكنيسة

قاست أوروبا فى العصور الوسطى من استبداد الكنيسة (الكاثوليكية) والدولة(الإمبراطور) سواء فى عصور الاتفاق أو الصراع بين المؤسستين. وقاسى الإنجليز من الكنيسة الإنجليكية، والتى أصبحت مع هنرى الثامن تابعة للدولة، فهو، الملك اللعوب، قد أصبح رأس الكنيسة، وتقلب هو والملوك من بعده بمعتقداتهم وأهوائهم على الكنيسة، فزاد اضطهاد وسجن وإحراق المخالفين الهراطقة، من الكاثوليك والپروتستانت على التعاقب وبالتبادل، ثم البيوريتانز.

هاجر البيوريتانز من انجلترا لأمريكا فراراً بدينهم. وتعددت الطوائف الپروتستانتية فى أمريكا، بيوريتانز، أصحاب(كويكرز) معمدانيون، لوثريون، كالڤينيون، منهجيون، مشيخيون، . . . . وغيرها.

وكان من أسباب الثورة على انجلترا ومحاربتها ثم الاستقلال عنها، الخوف من أن تمد سلطانها الدينى بكنيستها الإنجليكية وأساقفها على المهاجرين، الذين هاجروا بسببها.

كذلك فزع المهاجرون من إلغاء قانون الاختبار فى كوبك ـ كندا، بل أصابهم الذعر من أن يكون ذلك ـ فى هاجسهم ـ ردة للوثنية الكاثوليكية الأولى.

وخلال حرب الاستقلال، لم يتحد كل المهاجرين للقتال ضد انجلترا، فوقف البعض موقفًا سلبيًا من الطرفين، وحارب البعض مع القوات الإنجليزية ضد القوات الأمريكية.

وبعد انتهاء الحرب، كانت انجلترا لا تزال تتربص بالدولة الناشئة، خاصة فى التجارة والبحار، وكان الفرنسيون فى الشمال يمثلون خطراً كاثوليكيًا، والإسپان يمثلون نفس الخطر الكاثوليكى فى الجنوب، وهناك أيضا أصحاب الأرض الأصليون، الهنود. كانت الدولة الناشئة فى أشد الحاجة لتجميع الصفوف ونبذ الخلافات . . .

فإذا اختارت الحكومة كنيسة لتكون «الكنيسة المؤسسة ـ Established Church » فأى كنيسة؟ الإنجليكية أم البيوريتانية؟ أم كنيسة الأصحاب ؟ أم المشيخية؟ أم الميثودية؟ أم المينونيتية؟ أم غير ذلك؟ وعن ماذا سيسفر ذلك ؟

أجاب چيفرسون: ليس ذلك من شأن الدولة.

اجتمع كثير من المتدينين - الذين ذاقوا وطأة التعصب تحت الكنيسة الإنجليكية الرسمية - والعقلانيين وراء چيمس ماديسون وتوماس چيفرسون لمنع إنشاء الكنيسة المؤسسة فى ڤيرچينيا، وخاضوا فى ذلك معركة ضد پاتريك هنرى، وچورچ واشنطن. وكانت أهم حجج ماديسون:

* لا إكراه فى الدين.

* انتهاك الحرية الدينية - بواسطة كنيسة مؤسسة، كما كان يزخر التاريخ الأوروپى والإنجليزى حتى ذلك الوقت - يفتح الطريق لانتهاك الحريات الأخرى.

* دعم الدين بواسطة الحكومة، يفسده ويفسد رجاله.

*لا يحتاج الدين المسيحى لدعم الحكومة، فقد عاش وازدهر بدونه، بل وبالرغم من الحكومة فى أوقات كثيرة.

* تؤثر الكنيسة المؤسسة بتحيزاتها على التنمية الاقتصادية فى إحجام المهاجرين المخالفين عن القدوم لأمريكا.

ويعلق آل كوربت على ذلك الوضع قائلين:

لم يمثل تفادى المؤسسين الأوائل للاعتبارات الدينية فى الدستور تأييدًا أو معارضة للقيم الدينية، بل كان مجرد استراتيچية پراجماتية لتفادى إثارة عش دبابير القضايا الدينية.

بينما قال لونجلى: . . إذا كانت الولايات المتحدة ولدت وهى تعتقد أنها شعب الله المختار، فمن الصعب أن نراها فى الوقت نفسه باعتبارها كيانًا علمانيًا تمامًا.

والفصل بين الكنيسة والدولة يسهل بالفعل هذا الدمج للشخصية الدينية والسياسية للوطن الجديد فى كيان واحد. . . . إذ كان مفهوم الدولة العلمانية هو المفهوم الذى يصعب استيعابه فى ذلك العصر.

التعديل الأول:

اجتمع الكونجرس للمرة الأولى بنيويورك فى خريف ١٧٨٩م، وأقر عشرة

تعديلات على الدستور، صيغت فيما يعرف باسم وثيقة الحقوق، يختص أولها بحرية العبادة، ونصه كالتالى :

لا يسن الكونجرس أى قانون ينص على إضفاء صفة الرسمية على دين ما، ولا يمنع حرية ممارسة دين .

هذا نص التعديل الأول على الدستور الأمريكى، والذى بفضله تمتعت طوائف البروتستانت المختلفة بالحرية الدينية . . .

ثم استفاد به الكاثوليك، ومن بعدهم-بعقود- اليهود، ومن بعدهم-بعقود -يكافح المسلمون ليتمتعوا بذلك، لا يزعم أحد من الكاثوليك أو اليهود، ولا بالطبع المسلمين بأن حقوقهم الدينية أهديت لهم[1]، ولا أنهم على قدم المساواة التامة مع البروتستانت فى كل أوجه الحياة، حتى اليوم ، حتى وإن قام هناك تحالف بين اليهود و البروتستانت الأصوليين، ازداد وثوقًا مع الثلث الأخير للقرن العشرين، وامتد ليشمل أغلبية الإيفانجليكيين.



(١) . عارض عديد من أعضاء الوفود ـ للمؤتمر الدستورى ـ السماح للفئات التالية بتولى مناصب عامة، ألا وهى : اليهود والوثنيون والملحدون والكفار والربوبيون و«المحمديون» (المسلمون) والبابويون (الكاثوليك) . ـ صفحة ٩٤ «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة» .



WESTWARD
EXPANSION AND
THE AMERICAN
MISSION

إمبراطورية الخير

القرن التاسع عشر

Westward Ho (American Progress). Lithograph, after a painting by John Gast. © 1873 by George A. Crofutt. Detail. *(Library of Congress.)*

استخدم آل كوربت فى كتابهما «الدين والسياسية فى الولايات المتحدة» هذا المصطلح كعنوان فرعى للإشارة إلى منظمات وحركات الإصلاح التى جمعت الطاقات الدينية التى انطلقت بسبب الصحوة الكبرى الثانية (من ١٧٩٠م إلى ثلاثينيات القرن التاسع عشر) لتحقيق الإصلاحات الاجتماعية المتعددة.

وكانت العقيدة الأساسية فى ذلك، ربط التقوى الشخصية بالعمل الاجتماعى. اهتمت الطوائف المتعددة بتحسين التعليم ورعاية المرضى، خاصة المعوقين، ومساعدة الفقراء، إصلاح السجون، تهذيب الأخلاق، وطالبت بإلغاء الرق - برغم استناد بعض المؤيدين للرق على الكتاب المقدس لتبريره - والحد من الشرب.

كذلك بدأ نشاط إرساليات التبشير فى الازدهار، محليًا أولاً، ثم فى القرن التاسع عشر، أصبح دوليًا.

ووصلت إمبراطورية الخير إلى ذروتها قبيل منتصف القرن التاسع عشر، وقبيل الحرب الأمريكية الأهلية. وشاركت النساء فى كل تلك العمليات الإصلاحية المصاحبة للصحوة الدينية الكبرى، ومن ثم بدأن يتحدثن عن اكتساب الحق فى التصويت السياسى.

القرن التاسع عشر

يستحق هذا القرن، من الناحية الدينية، أن يُطلق عليه قرن صعود الإيفانجليكية.

والإيفانجليكية هى طائفة البروتستانت التى تؤمن بعصمة الكتاب المقدس، أى صحته المطلقة، وأنه يجب تفسيره حرفيًا.

وعلى التوازى مع الإيفانجليكية، ظهرت «حركة التبشير الاجتماعى»، والتى رأت فى رسالة المسيح أنها رسالة اجتماعية للإصلاح، ومن ثم إصلاح المجتمع هو هدف

رئيسى وليس هدفًا فرعيًا أو ثانويًا، واهتمت بالأعمال الأخلاقية والخيرية أكثر من الاهتمام بتفسير الكتاب المقدس حرفيًا، والدخول فى التفاصيل اللاهوتية المتنوعة.

وطبقا لچورچ مارسدن فى كتابه «كيف نفهم الأصولية والإيڤانجليكية؟» جاء ما يلى:

الإمبراطورية الإيڤانجليكية

ترتكز السيطرة الثقافية الواضحة للپروتستانت على قاعدة متينة من العائلات والمؤسسات الأمريكية الأكثر ثراء وعراقة....

وقد كان للمرء أن يتوقع أن تكون أمريكا أرض المثاليات السياسية الليبرالية الثورية قد تبنت بحلول هذه الفترة (القرن التاسع عشر) مذهبًا إنسانيًا معتدلاً، محرراً من العقائد والأعراف المسيحية، الأمر الذى لم يحدث. لقد كانت تهتدى وتتبع زعماء إيڤانجليكيين[1] ملهمين، استطاعوا - بفاعلية - شق قنوات لقوى الإحياء وللمنظمات الدينية التطوعية لموازنة تأثير القوى الخاصة بالتغير العلمانى الخالص.

كانت الطوائف الكبرى تقف فى مركز القلب من الإمبراطورية الإيڤانجليكية، يقودها المنهجيون والمعمدانيون والمشيخيون، وحواريو المسيح، والإبرشيون.

مثلث أعداد ضخمة من المنظمات الإيڤانجليكية وحدة حيوية داخل سياق التنافس الطائفى، بممارساتها فى النشاط الإرسالى، ومدارس الأحد، وتوزيع الكتاب المقدس، والحملات الصليبية الأخلاقية، والأنشطة الاجتماعية، وقامت النساء بدور مهم فى ذلك، خاصة لملء الفراغ الذى يتركه الرجال الذين ذهبوا فى الإرساليات، أو الحروب[2]. وفى الحقيقة، ضاعفت الجماعات الپروتستانتية من عدد أعضائها ثلاث مرات بين عامى ١٨٦٠، و١٩٠٠م. وهناك قصة حقيقية مشهورة، إذ أرسل الملحد الأشهر فى أمريكا روبرت أنجرسول إلى تشارلز ماكاب يقول:

---

(١) بدأ فى منتصف القرن الثامن عشر ظهور المبشرين أو الدعاة النجوم، الذين اكتسبوا شعبية طاغية، وازدادت الظاهرة وحميت، من وقتها وحتى اليوم.

(٢) خاضت الولايات المتحدة، فى القرن التاسع عشر الحروب الآتية: حاربت انجلترا ١٨١٢م، ثم المكسك ١٨٤٦م، ثم الحرب الأهلية لمدة ست سنوات فى ستينيات القرن، ثم حاربت الإسپان فى كوبا والفيلبين قبل نهاية القرن، وهذا بالطبع خلاف قتال الهنود الحمر.

الكنائس تحتضر بطول البلاد وعرضها.

فرد عليه ماكاب:

كل المجد للمسيح

نحن نبنى أكثر من كنيسة منهجية كل يوم من أيام العام، ونقترح أن نبنى اثنتين كل يوم!

شاهد القرن أحداثًا كبيرة، منها الحرب الأهلية التى استمرات أكثر من خمس سنوات بين الشمال والجنوب، وراح ضحيتها حوالى ستمائة ألف قتيل، غير الجرحى والخسائر المادية، وكان تعداد أمريكا وقتها أقل من ثلاثين مليونًا، مما يعنى موت رجل من كل عشرة فى سن القتال. وكالعادة اعتبر كل طرف أن الله معه، وأنه يمثل المسيح...

وكان الخلاف الحقيقى هو أسلوب الحياة... اقتصاديًا وماليًا وتجاريًا وصناعيًا.. والجنوب هو الذى بدأ بالحرب بإعلان بعض ولاياته الانفصال، بل وبدأت القصف والهجوم على الوحدات الاتحادية ومبانيها...

وفى تلك الفترة الساخنة، تم اغتيال اثنين من الرؤساء لنكولن فى ١٨٦٥م، وماكنيلى فى ١٩٠١م.

كذلك ظهر كتاب داروين «أصل الأنواع» وبه نظرية النشوء والارتقاء عام ١٨٥٩م، فأشعل أزمة صحة الكتاب المقدس بخلافه لنظرية خلق الكون، تبعًا للتفسير الحرفى لسفر التكوين من الكتاب المقدس، الأمر الذى أصاب حجر الزاوية فى البناء الإيفانجليكى بالاهتزاز[1]، **وإن كان تيارًا بروتستانتيًا آخر، وفق بين نظرية داروين والكتاب المقدس، بل وطبق نظرية داروين على بقاء الأصلح فيما يخص الدين والعرق، مما أضاف ثقلاً جديدًا لنظرية حمل الرجل الأبيض ورسالة الرجل الأبيض،**

---

(١) قد تكون الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة فى العالم التى صدرت بها قوانين تمنع دراسة نظرية النشوء والارتقاء لداروين، كذلك قد تكون الوحيدة فى العالم التى حبست مدرسًا؛ لأنه قد تجرأ ودرس النظرية فى مطلع القرن العشرين، وكان ذلك فى تنيسى.

وبذلك أضاف بعداً جديداً فى تبرير الاستعمار والقضاء على الآخر إذا لزم الأمر.

ويلخص المبجل چوزيا سترونج ذلك، كما جاء فى «أرض الميعاد والدولة الصلبية»:

ولم يقلها أحد أفضل من المبجل چوزيا سترونج الذى مزج الإنجليكانية مع الإنجيل الاجتماعى، والأنجلوساكسونية مع الداروينية الاجتماعية، وحدد كتابه الأكثر مبيعا «بلدنا» فى عام ١٨٨٥م الأمريكيين باعتبارهم:

. . . عنصراً ذا طاقة ليس لها مثيل، بكل ضخامة الأعداد وعظمة الثروة وراءها ـ الممثلين ـ دعا نأمل ـ للحرية الأوسع، والمسيحية الأنقى، والحضارة الأعلى ـ ينمون بتميز شمائل فذة، تجذب أعرافها كل البشر، لتنتشر فى كل أرجاء الأرض. . وهل يستطيع أحد أن يشك فى أن هذا العنصر ـ إذا لم يضعف حيويته بالكحول والتبغ ـ فإنه مقدر له أن يتملك عدة أعراق أضعف، ويذيب آخرين، ويعيد تشكيل الباقين، حتى ـ فى معنى حقيقى ومهم جداً ـ يجعل البشرية أنجلوساكسونية؟

. . . فظائع الحدود[1] كانت طريق الرب لتدريب العرق على قيادة العالم، وبعد ذلك جاء الدور على المنافسة النهائية بين الأعراق. [صفحة ١٥٦].

وتوازى مع كتاب داروين، الدراسات النقدية الألمانية للكتاب المقدس، ومثّل كل ذلك صعوبات فكرية جمة للاهوت الإيڤانجليكى خاصة، والپروتستانتى بصفة عامة.

نشبت حرب فكرية بين دعاة الحرفية فى تفسير الكتاب المقدس، وأنصار داروين، استمرت حتى ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين[2]. كذلك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، بدأت أمريكا تتحول إلى دولة يسكنها قاطنو المدن أكثر من الريف، فأصاب هذا التحول مجتمعات القرى والمدن الريفية الصغيرة المترابطة بالعائلة والكنيسة والمغلقة، بأمراض المدينة من انقطاع الصلات، والتفكك، وانحلال الروابط العائلية والكنسية.

---

(١) يقصد معارك الأمريكيين مع الهنود الحمر خلال توسيع حدود أمريكا من الشرق، وصولاً إلى الساحل الغربى للقارة.

(٢) حيث ظهرت محاولات فى نهاية القرن لتدريس نظرية الخلق كما جاءت فى الكتاب المقدس بالتوازى مع نظرية داروين.

عـلاوة على ذلك، زادت مـوجـات الـهـجـرة الأوروبيـة، وزاد الكاثوليك[1]، والليبراليون والعلمانيون، فأصبح البروتستانت عمومًا، والإيفانجليكيون بالذات فى أزمة.

وحسب قول چورچ مارسدن:

لم يكن أمـام البـروتسـتانت إلا تعلم كيف يحيون مع الكاثوليك، على الرغم من حجم المرارة المتبادلة بين الفريقين. وكانت حقـائق الأمـر واضـحة. . . لا يستطيع البروتستانت داخل أمة تضم نسبة كبيرة من تعدادها من الكاثوليك (وآخرين من غير البروتستانت) أن تزعم أنها ديمقراطية، وفى نفس الوقت تدعـو لفرض الأخـلاق والمثاليات البروتستانتية. .

لم يمنع ذلك المنطق من الانتشـار الواسع لجهـود معـاداة الكاثوليكيـة، ومعـاداة اليهودية، ومعاداة الأجنبى.

وبنهاية القرن، أصبح أكثر عمداء الكليات من غير رجال الدين، بعد أن احتكر رجال الدين مناصب العمودية حتى منتصف القرن، وبعد أن كان الكتاب المقدس هو الصواب المطلق، ومحور كل العلوم، تغير ذلك تمامًا فى نهاية القرن.

وبنهاية القرن، خفت بريق الإمبراطورية الإيفانجليكية، حتى أوشك على الأفول، فى نفس الوقت الذى ازداد فيه المد الدينى البروتستانتى العام، وأيضًا فى نفس الوقت الذى ازداد فيه المد العلمانى.

***

---

(١) تضاعفت عضوية الكنائس الكاثوليكية بين عامى ١٨٦٠، و ١٩٠٠م من ثلاثة ملايين إلى اثنى عشر مليونًا، ونظر الكثير من البروتستانت إلى تلك الزيادة على أنها تمثل تهديدًا جديدًا للأمة.

رابعاً

أورشليم الجديدة

« وأنا رأيت المدينة المقدسة ، أورشليم الجديدة ، نازلة من السماء من عند الله مجهزة كأنها عروس مزينة لعريسها »

الرؤيا ٢١ : ٢

الأصولية المسيحية

THE NEW JERUSALEM

And I John saw the holy city, new Jerusalem, coming down from God out of heaven, prepared as a bride adorned for her husband. . . . (Revelation 21: 2)

فى القرن العشرين



سقوط بابل

« فقد تراكمت خطاياها حتى بلغت السماء وتذكر الله ما ارتكبته من آثام »

الرؤيا ١٨ : ٥

BABYLON FALLEN

For her sins have reached unto heaven, and God hath remembered her iniquities . . . (Revelation 18: 5)

ظهر مع مطلع القرن العشرين تباين ثلاثة تيارات فكرية داخل البروتستانت . . . الأول هو استمرار التيار الإيفانجليكى الذى يقول بعصمة الكتاب المقدس وتفسيره حرفيًا . . والثانى، وهو أيضًا محافظ، ولكن لا يأخذ بالتفسير الحرفى، ويريد بذلك أن يتجاوز أى اصطدامات جديدة تأتى من جانب التطور العلمى إذا ما تم الإصرار على التفسير الحرفى . . أما الثالث فهو التيار الليبرالى الذى يقوم تركيزه على أخلاقيات الكتاب المقدس، وترجمتها لبرامج إصلاح المجتمع، حسبما اتفق على ما تسميته الإنجيل الاجتماعى، مع اجتناب التركيز على التفاصيل العقائدية واللاهوتية .

تضافرت التيارات الثلاثة مع الكاثوليكية فى العمل الاجتماعى ، واقتراح البرامج التقدمية على الحكومة، فى شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فمن انتخابات أولية مباشرة، وحق المرأة فى الانتخاب، وحق إقالة الحاكم بالتصويت، إلى تحديد ساعات العمل اليومى، ومنع عمالة الأطفال، والتأمين ضد حوادث العمل والأمراض المهنية، إلى تنظيم التجارة بين الولايات، ومراجعة قوانين المصارف والعملة، ومقاومة الاحتكارات ، وضريبة الدخل، إلى اتخاذ إجراءات صارمة لمنع تهريب الخمور وتحريمها، التى سميت فى ذلك الوقت شراب دم الشيطان، واعتبرت أخطر وأضر صناعة على الإطلاق .

وطبقا لآل كوربت، ففى عام ١٩١٢م جعل مؤتمر الحزب التقدمى شعاره الرئيسى أغنية : إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون .

المسيحية والحرب

ذكر آل كوربت فى «الدين والسياسية فى الولايات المتحدة» :

ترجع الجذور الدينية للمواقف الأمريكية تجاه الحرب والسلام إلى الكتب المقدسة، وقد أدت هذه الكتب إلى ظهور ثلاث رؤى للحرب: الحرب المقدسة، والحرب العادلة، والسلامية... لقد أيد كلٌ من مارتن لوثر وچون كالڤين شكلاً من أشكال الحرب العادلة. فالسيف بالنسبة للوثر هو السلاح الشرعي للدولة. أما كالڤين، فقد كان متطرفًا بعض الشيء، فبالنسبة له الدولة مسئولة عن دعم الكنيسة، وعلى هذا النحو، أصبحت الحرب بالنسبة لكالڤين أقرب ما تكون إلى حرب مقدسة.

والمكان الرئيسي للسلامية - أي وجهة النظر الثالثة في الولايات المتحدة - هو كنائس السلام، إلى جانب الأصحاب، المينونيت، الأدڤنتست، شهود يهوا، على الرغم من قول شهود يهوا بأنهم سيحاربون في حرب الرب [هرمجدون] وسيكونون في مقدمة الصفوف وعلى هذا فهم ليسوا سلاميين بالمعنى التام. [صفحة ١٢٢].

ثم ينقل آل كوريت عن چون فيرجسون الأسس التي تقوم عليها الحرب العادلة:

١ - تعلنها السلطة الصحيحة.

٢ - وراءها قضية عادلة.

٣ - هدفها زيادة الخير وتقليص الشر.

٤ - تستخدم الوسائل المناسبة.

٥ - تشن على المذنبين وليس الأبرياء.

٦ - ألاَّ تسبب معاناة زائدة للأبرياء.

٧ - أن تكون الحل الأخير بعد فشل كل الحلول الأخرى.

٨ - أن تكون لها فرصة معقولة للنجاح.

كتاب الأصولي

كيف ظهر مصطلح الأصولية إلى العالم؟

نقرأ من كتاب «كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والإيڤانجليكية» لچورج مارسدن[1]، ما كتبه تحت عنوان:

(١) من منشورات ويليام بي إيردمانز - جراند رابيدز، ميتشجان ١٩٩١م - إعادة طبع ٢٠٠٠م.

الحروب هى محفزات التاريخ. إنها تكثّف وتعجّل من التوجهات الكامنة بالفعل داخل الثقافة. وقد كان للحرب العالمية الأولى تأثير هائل وخاص على الحياة الأمريكية. كانت الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت تقبع بعيداً عن قلب الشئون الدولية. واتسمت أمريكا ما قبل الحرب بالتفاؤل الملحوظ على الرغم من مشكلاتها المتعلقة باستيعاب الناس ذوى التنوع الشديد. لم يكن هناك تحد تصعب السيطرة عليه من جانب المثالية الأمريكية ومن جانب تقنية استخدام المعارف. وقد ألقى الأمريكيون بكل ثقل ثقتهم بالنفس وكذلك حماسهم المعنوى لدعم المجهود الحربى، وقد نجحوا فى ذلك. ولكن كان حيز النجاح محصوراً إلى حد كبير فى ميدان القتال. وبرغم بعض الاستثناءات من القاعدة، لم تكن الحرب ممارسة تطهرية. ففى خارج الولايات المتحدة سرعان ما تلاشت الحملة الصليبية من أجل «جعل أمريكا آمنة من أجل الديمقراطية». وداخل الوطن أطلقت الحرب قوى العلمانية من عقالها مما استدعى عصر الجاز. كما أشعلت أيضًا فتيل مرحلة من المرارة ورد الفعل. واجتاحت الانشقاقات المثالية الأمريكية. وعلى الرغم من النضال الأخير من أجل إبقاء أمريكا پروتستانتية، كانت حقيقة الأمر هى انتهاء العصر الذى كانت فيه الولايات المتحدة هى، بأى معنى من المعانى الجوهرية، معقل «المسيحية».

وبينما طال التغيير الجوهرى كل مجموعة مسيحية رئيسية فى أمريكا بسبب الحرب، لكن التأثير الذى طال طائفة البروتستانت البيض ذات السيطرة الثقافية كان هو الأكثر شدة. لقد أوقعت التغيرات الثقافية المصاحبة للحرب وكذلك توابعها، هذه الطائفة فى اضطرابات لمدة عقدين، وبعدما استعادت عافيتها إلى حد ما عقب الحرب العالمية الثانية، لم تعد إلى ما كانت عليه.

بمجرد دخول أمريكا إلى الحرب الأوروپية فى ربيع عام ١٩١٧م، لم يقاوم إلا القليل من رجال الإكليروس تلك الموجة الوطنية الغامرة التى اكتسحت البلاد. توحدت الهوية المسيحية مع الهوية الأمريكية بشكل كامل. وقال الإيڤانجليكى «بيلى صانداى» بشكل مباشر: «المسيحية والوطنية هما كلمتان مترادفتان، كما أن الجحيم والخونة مترادفان أيضًا». كان «صانداى» (١٨٦٢ - ١٩٣٥م) قد بلغ لتوه قمة شهرته

عندما اندلعت الحرب، وقد أدخل فى رسالته الحرب بحماسة غير عادية. ومن بين أعظم الإيڤانجليكيين من أمثال «فيني»، و«مودى»، و«صانداى»، و«جراهام»، كان «بيلى صانداى» هو رجل العروض الأول.

ولأنه كان لاعب كرة بيسبول سابقًا، فقد امتلأت قُدّاساته بالألعاب الأكروباتية، والقفز، والسقوط، والدوران السريع، والانزلاق. وكان عندما تغمره الوطنية، ينهى موعظته بالقفز فوق قمة منبر الوعظ ملوحًا بالعلم الأمريكى.

وباستثناء الطريقة، لم يتفق اللاهوتيون الليبراليون مع المحافظين فى أى شىء على الجبهة الوطنية. وبينما خلط الإيڤانجليكيون من أمثال «صانداى» الدين الفولكلورى الوطني مع ديانتهم المسيحية، كان لليبراليين رهان لاهوتى أعمق على الحرب «لجعل العالم آمنًا من أجل الديمقراطية». كانت النسخة الأقصى حداثة من إنجيلهم ترى الله يعمل من خلال التقدم فى الحضارة، وبخاصة الحضارة الديمقراطية مثل الموجودة فى أمريكا. وعليه كانت الحرب بالنسبة لهم بكل وضوح قضية مقدسة. لذلك قال «شيلر ماثيوز» مدير الجامعة لمدرسة اللاهوت فى شيكاجو فى تصريح مميز «الأمريكى الذى يرفض المشاركة فى الحرب الحالية. . . . . ليس مسيحيًا».

من بين المحافظين والليبراليين من المسيحيين، تصارع المعتدلون فيما يتعلق بقضية الحرب والكوارث الأخلاقية المترتبة عليها. مع ذلك، فقد أجبرت ضغوط الرأى العام معظم غير المتحمسين على أن يلتزموا بالصمت الحذر. كان الكثيرون على استعداد – ومن بينهم الوعاظ وعلماء اللاهوت – لإلقاء الحجر الأول على من يشتبه فى تهربه من الحرب. وعلى سبيل المثال، اعتبرت مدرسة اللاهوت بجامعة شيكاجو عقيدة المرحلية «ما قبل الألفية» (والتى رفضت معادلة تقدم المملكة مع تقدم المجتمع الديمقراطى) هدامة بالنسبة للمجهود الحربى، وتعرضت لهجمات مريرة للغاية.

وسرعان ما أدت هذه الضغوط إلى إعادة كل فرد تقريبًا إلى داخل الصف مع اعترافات مغالية بالوطنية. وقد استمدت هذه العواطف العون بحلول عام ١٩١٨م عن طريق روايات الفظائع عن ألمانيا التى تم تداولها وقبولها بشكل واسع، مما أدى إلى اقتناع الكثيرين بأن الحرب هى مسألة حضارة مسيحية ضد الجنود الألمان البرابرة والمتعطشين للدماء. كان «نيويل دوايت هيليز» راعى كنيسة «هنرى وارد بيتشر» القديمة بإبرشية

بلايموث فى بروكلين، هو الزعيم فى خلق هذا الاعتقاد. ألقى «هيليز» فى عام ١٩١٧م ما يزيد على أربعمائة محاضرة حول فظائع الألمان وألهب مستمعيه بروايات عن كيفية قيام الجنود الألمان باغتصاب وتشويه النساء البريئات. وادّعى أن القيصر الألمانى أعطى كل جندى ألمانى رخصة واضحة «لارتكاب أية جريمة يرغب فى إتيانها». (أصبحت إحدى أسوأ تبعات هذه الهستيريا واضحة للعيان فى وقت متأخر للغاية، عندما حدث تجاهل للصحفيين الذين أرسلوا تقارير عن فظائع «هتلر»، وفقدت مجهوداتهم التقدير بحسبانها ليست إلا دعاية فى زمن الحرب).

مع ذلك، كان التأثير الرئيسى فى ذلك الوقت، هو خلق كراهية أمريكية لكل ما هو ألمانى. وقد حظر تعليم اللغة الألمانية فى بعض المدارس العامة، وفى العديد من الأماكن.

اعتبرت قداسات الكنائس التى تقام بأية لغة عدا اللغة الإنجليزية برهانًا على نقص الوطنية. كان الرأى العام المضاد لاستخدام اللغات الأجنبية فى إقامة الطقوس الدينية خلال الحرب، مقترنًا بالضغوط لإعلان الأمريكانية الشاملة، يشكلان عنصرين مهمين فى التعجيل بأمركة الكثير من المهاجرين الجدد الكاثوليك والپروتستانت والأرثوذكس.

بعد الحرب

عندما انتهت الحرب فى نوڤمبر عام ١٩١٨م لم تكن حماسة الأمة للحملة الحربية قد وصلت بعد إلى ذروتها. كانت الوطنية المتطرفة التى تعالت نتيجة دعاية وقت الحرب قد اشتد ساعدها نتيجة النجاحات المؤكدة للجيوش الأمريكية. بعدها وحيث كان الحماس لا يزال يتزايد، جاء السلام المفاجئ فترك الأمة غائصة فى تأرجح نفسى كبير، لكن بلا عدو محدد بوضوح. وخلال الأعوام التالية، اختلطت موجات الحماس العالية مع بقايا المرارة والشك والكراهية. وكالعادة، كان للكنائس دور محورى تلعبه.

فى البداية، كان المزاج الطاغى فى معظم الكنائس يحمل شعوراً بالوحدة والمثالية. وكان التجلى الأكثر درامية لهذا المزاج حاصلاً مع الانتصار النهائى لحركة حظر الخمور. فخلال عام ١٩١٧م أحرزت هذه الحركة ـ التى كانت تنمو بثبات لعقود ـ النصر

بشكل فجائى فى قلب حماسة زمن الحرب. اتحد الكثيرون من البروتستانت والكاثوليك والتقدميين فى هذا الجهد الاستثنائى لتنظيف المنزل. استطاعوا بشكل عاجل تمرير عدة قوانين تحظر إنتاج أو بيع المشروبات الروحية، وسرعان ما تبعوا ذلك بإصدار التعديل الثامن عشر، الذى أعاد فقط تأكيد الإنجاز عندما دخل أخيراً إلى حيز التنفيذ عام ١٩١٩م. يعود هذا الانتصار الواضح لهذه التجربة الاجتماعية بشكل هائل إلى مساهمة المثالية المسيحية الخاصة بتلك الفترة.

فى البداية كان للحرب تأثير وحدوى. وقد سرى ذلك التأثير بشكل واسع على وجه الخصوص بين البروتستانت المتحمسين للوحدة المسيحية وللإصلاح العالمى. حمل الجهد الأكبر أهمية لتنظيم هذا التوقد الحركة العالمية بين الطوائف والكنائس والتى انطلقت عقب الحرب مباشرة. أظهرت هذه الحركة نفس الحماسة التى سبق أن ألهمت الحركة التقدمية للرجال والدين، وقد تشكلت هذه الحركة من أجل توحيد الجهود الخيرية والإرسالية والروحية للمسيحيين على اتساع العالم. وأثناء الحديث عن التوحيد الفعلى للكنائس، تشارك زعماء الحركة فى «رؤية كنيسة موحدة ترمى لتوحيد عالم منقسم».

بحلول صيف عام ١٩٢٠م، ظهرت الانشقاقات داخل الحركة العالمية بين الطوائف والكنائس. لقد جلبت المعارضة المحافظة إلى الحركة مصيراً يشابه إلى حد كبير ذلك الذى كان لعصبة الأمم التى اقترحها الرئيس «ودرو ويلسون» بعظيم الأمل، وانتهى الأمر فى عام ١٩٢٠م بأن كانت الولايات المتحدة وحدها هى التى رفضت الانضمام لتلك العصبة.

لقد اختفت مثالية الحرب العالمية الأولى بسرعة كبيرة تحت ظل رد الفعل المرير المتنامى داخل الكنائس، مثل الحادث فى الأمة عموماً عندما انتهت الحرب فجأة، فقد بدا كما لو أن عنصراً معتبراً من الشعب الأمريكى فى احتياج إلى العثور على أعداء جدد لينفس خلالهم عن انفعالاته الملتهبة. تضافرت الثورة الماركسية فى روسيا عام ١٩١٧م مع القلاقل العمالية، وسلسلة من انفجارات القنابل الإرهابية المرعبة على صب الوقود على نار «الرعب الأحمر» خلال عام ١٩١٩م، حيث وقعت معظم الأمة فى قبضة

المخاوف من الاختراق ومن صعود الشيوعية. وكان إحياء منظمة «كوكلوكس كلان» يحمل ارتباطًا مباشراً بالكنيسة. أعيد تشكيل هذه المنظمة المناهضة للسود عام ١٩١٥م، ليتسع نطاق كراهيتها ويشمل الكاثوليك، واليهود، والشعوب غير الشمالية بشكل عام. وإذا كانت الحرب قد عجلت من امتصاص هذه المجموعات غير الشمالية داخل التيار الرئيسى للحياة الأمريكية، فإن توابع الحرب قد عجلت من ردود الأفعال والتحيزات ضد هذه المجموعات عند العديد من الأمريكيين ذوى الأصول الشمال أوروبية. وبحلول عام ١٩٢٣م، وصلت «الكلان» إلى ذروة العضوية بحوالى ثلاثة ملايين عضو. وعلى الرغم من عدم ربط هويتها مباشرة مع أية طائفة أو أية حركة بروتستانتية، وعلى الرغم كذلك من إنكارها من جانب الليبراليين والمحافظين على السواء، فقد ادعت منظمة «الكلان» بلا مواربة بأنها بروتستانتية. لقد تبنت تعاليم وتراتيل ورموزاً مسيحية، ومثلت قطاعًا له اعتباره داخل الطائفة البروتستانتية المهنية. وربما يكون رمز الصليب المشتعل هو أفضل ما يضع يدنا على الأسلوب الذى تبين به هذه الحركة، مثلها مثل الحركة النازية فى ألمانيا فيما بين الحربين، كيفية الدمج بين التراث المسيحى، مع دين فولكلورى قومى، مع المصالح الذاتية، مع الكراهية للآخر.

وبالطبع، لم تمثل منظمة «الكلان» الغالبية الساحقة من البروتستانت الأمريكيين سواء فى الجنوب أو الشمال. مع ذلك، كانت تجليًا متطرفًا للميول التى تتخلل الجماعة الأمريكية المسيطرة ولكن بأشكال معتدلة. وبالتحديد، كانت المشاعر قوية ضد «الأجانب». وعلى المستوى الاقتصادى، فقد بدوا وكأنهم يمثلون تهديداً، أما اجتماعيًا فقد كانوا فى المركز من مشكلات الأرياف. علاوة على ذلك، فإن استمرار تدفقهم سوف يضع النهاية الدينية والثقافية لسيطرة البروتستانت الأنجلوساكسون. قاد تراكم هذه المشاعر إلى وضع القيود على الهجرة بعد الحرب، وبلغت تلك القيود أوجها فى قانون «چونسون ريد» عام ١٩٤٢م، والذى حدد حصصًا قاسية بالنسب التى كان عليها تعداد الولايات المتحدة فى عام ١٨٩٠م. أثرت هذه الجهود بشكل مباشر على زيادة اليهود، والكاثوليك من جنوب وشرق أوروبا، وعلى الطوائف الأرثوذكسية.

وقد واجهت جميع الطوائف الدينية الأمريكية تحديات حقيقية ومحبطة على جبهة أخرى فى العشرينيات من القرن العشرين. فقد عجلت الحرب وأخرجت إلى العلن

العلمانية التى كانت تنمو داخل الحياة الأمريكية. فحين كان المرء فى عام ١٩٠٠م قد يتحدث مع أصحابه عن الدين فى أدب ولكنه لا يجرؤ على الإطلاق على ذكر الجنس، فبحلول العشرينيات من القرن العشرين كان العكس هو الحادث فى الأغلب. هذه «الثورة فى الأخلاقيات» كانت جلية وبخاصة فى المدن وفى الثقافة الشرقية والتعليمية التى حكمت الإعلام الأمريكى. وبدأت فى عام ١٩١٩م صحف الفضائح (التابلويد) الحديثة، بعناوين رئيسية عن القصص المثيرة للمشاعر والهادفة للإثارة. واستغلت السينما نجوم الجنس إلى أقصى مدى. وكان الأدب نصف الجاد مملوءاً بنقاشات حول فرويد، والفرويدية، وبأهمية حرية التعبير. واستغلت الإعلانات الحديثة هذه الحرية الجديدة، فبيع الصابون - مثلما كان ملاحظًا كما لو أنه عقار مثير للشهوة الجنسية. وجاء مع هذا التغير فى الثقافة الشعبية الانهيار المفترض فى قوة الدعم الاجتماعى لمعايير السلوك الشخصى التى كانت ضمن القواعد النابعة من الكنائس. مارست النساء التدخين فى العلن، ولم يعدن على الدوام يغطين ركبتهن (حتى داخل الكنائس)، ورفضن أن يتبعن المثل العائلية التى ضربتها أمهاتهن. أما الرقص والذى كان لفترة طويلة من المحرمات بالنسبة لبعض البروتستانت، أصبح الآن له دوره المكمل للقبول الاجتماعى فى زمن الفتاة العصرية. وفى حين تقبل بعض رؤساء الكنائس الأمر ببساطة، وأدخلوا الرقص حتى إلى مقابلات الشباب فى الكنسية، فقد أصيب آخرون بالرعب. وقد اشتكى أحد الأساقفة الميثوديين من الجنوب المحافظ من الرقصات الجديدة قائلاً: «تتصل أجساد الرجال والنساء مع بعضها البعض بشكل غير عادى». وأدت المقاعد الخلفية فى العربات الجديدة نفس الوظيفة. وعلى الرغم من إمرار قانون حظر الخمور، كانت المعركة من أجل فرض الفيكتورية التقليدية والأخلاقيات الميثودية معركة خاسرة.

جلب مناخ الأزمة هذا معه اختلافًا حاداً فى الآراء داخل الكثير من الكنائس البروتستانتية. وظل العديد من الليبراليين على تفاؤلهم، ورأوا فى تفكيك التقاليد فرصة من أجل بناء إجماع مسيحى ليبرالى جديد. كان رد فعل المحافظين قويًا على الجانب الآخر. وبذلك، فإن قوى ما بعد الحرب المتنوعة نفسها والتى أفرزت كلاً من الحركة العالمية للتعاون بين الكنائس، ومعها أحيت حركة «الكلان»، والانتصار

القانونى لحظر الخمور، ومقابل ذلك الانتصار الفعلى للثورة العامة ضد أخلاقيات البروتستانت التقليدية، قد جلبت معها الخلاف العميق حول قضايا لاهوتية وإكليريكية جادة. كانت هذه الخلافات تتطور منذ زمن بعيد. كانت كل من الليبرالية، وفى مقابلها حركات محافظة مضادة ذات حجم معتبر يرتفع بنيانهما على مدى جيل، لكن نشاط ما قبل الحرب قد ألقى بظله على النقاشات اللاهوتية، وجرى الحفاظ على سلام نسبى. مع ذلك، أجبرت أزمة الحرب وما بعدها كل جانب على مواجهة الآخر، وعلى رؤية مدى اتساع خلافاتهم الفعلية بخصوص رؤاهم تجاه الكنائس وتجاه الثقافة الأمريكية.

الأصوليون فى مقابل الحداثيين

كان التجلى البارز لهذا الاكتشاف المشترك، الأصولى فى مقابل الحداثى هو خلافاتهما التى سادت الأنباء الدينية فى العشرينيات من القرن العشرين. من الصعب القول بمن هو صاحب الطلقة الأولى فى هذا الخلاف، حيث إنه بنهاية الحرب العالمية الأولى كانت العديد من القصفات الرئيسية قد صدرت من كلا الجانبين.

كان الليبراليون أكثر تحديًا عن ذى قبل تجاه التنظيم من أجل الوحدة والعمل، وبالتحديد فى مهاجمة خصومهم من المحافظين. كان المحافظون بالمثل، ينظمون بشكل ملحوظ خلال عام ١٩١٩م من أجل إقامة «الهيئة العالمية للأصول المسيحية»، وهى مجموعة مرحلية «ما قبل ألفية» أنشئت من أجل محاربة الحداثة. وفى العام التالى، نظم المحافظون فى التجمع المعمدانى الشمالى مؤتمرًا عن «الأصول» لتجنيد وتجميع المعارضة ضد الليبرالية. **ظهر مصطلح «الأصولية» فى هذه المناسبة، عندما صاغه «كيرتز لى لوز» المُحرر المحافظ للجريدة المعمدانية "The Watchman Examiner" لكى يصف هؤلاء الذين «على استعداد لدخول المعركة الكبرى من أجل الأصول». وسرعان ما استخدم هذا التعبير لوصف جميع أنواع البروتستانت الأمريكيين الذين على استعداد لشن حرب إكليريكية ولاهوتية ضد الحداثة فى اللاهوت، وضد التغيرات الثقافية التى رحب بها الحداثيون.**

كانت القوى الأصولية فى العشرينيات من القرن العشرين لا تقهر؛ بسبب أنها مثلت تحالفًا من البروتستانت المحافظين كان آخذًا فى النمو منذ بعض الوقت. وكان المرحليون «ما قبل الألفيون» يمثلون مركز هذا التحالف، وهم كانوا يروجون لتعاليم المرحلية لما يقارب نصف قرن من خلال مؤتمرات النبوءات، ومعاهد الكتاب المقدس، والحملات الإيفانجليكية، والكتاب المقدس طبعة «سكوفيلد» (١٩٠٩م). **وكان نفس هؤلاء الزعماء قد روجوا لتحالف أعرض عن طريق النشر والتوزيع المجانى الواسع لكتاب «الأصول» ذى الاثنى عشر جزءًا، والذى يضم بين دفتيه كل أفكار الدفاع عن العقائد الأصولية، بقلم كُتاب متنوعين من الأمريكيين والبريطانيين المحافظين.**

وتشعب الخلاف فى بواكير العشرينيات من القرن العشرين داخل كنائس البروتستانت مثلما كان عليه الحال أيضًا فى الثقافة عامة. وحاول المحافظون داخل الطوائف الرئيسية وفى مجالاتها التبشيرية، العمل على إحباط تقدم الحداثة عن طريق مختلف الأساليب التشريعية المصممة بغية فرض الالتزام بالعقائد الأصولية للمسيحية التقليدية المتجاوزة للطبيعى. أما على صعيد التبشير الخارجى، حيث يعتبره الإيفانجليكيون المحك لجوهر خلاص النفوس، كانت المنافسة بين المحافظين والليبراليين شديدة بوجه خاص، وقد عكست هذه الخلافات نفسها فى الأزمة داخل الوطن، كانت هذه الخلافات شديدة، وبخاصة فى الطوائف التى كان للأصوليين والليبراليين تمثيل متعادل بداخلها. مثّل كلٌ من التجمع المعمدانى الشمالى، والكنيسة المشيخية (الشمالية) فى الولايات المتحدة المركزين لهذا الخلاف الطائفى المؤكد. كما اشتعل خلاف مماثل داخل «حواريى المسيح» بين الليبراليين والحواريين التقليديين أدى إلى انفصال فعلى بين الجانبين بحلول منتصف عشرينيات القرن العشرين. وقد عانت الكنيسة الأسقفية البروتستانتية وكذلك الميثوديون الشماليون من غضبات بسيطة من جانب الأصوليين خلال تلك الفترة، لكن الليبرالية والاعتدال داخل هاتين الطائفين كانا متقدمين للغاية بما لا يدع لنجاح الأصوليين فرصة كبيرة. ويصدق الأمر نفسه على الأبرشيين حيث لم يكن بينهم أى خلاف حقيقى. وعلى النقيض، كان المحافظون فى الجنوب يحكمون سيطرتهم للغاية. كان معظم الجنوبيين منذ وقت الحرب الأهلية معادين لليبرالية والحداثة، اللتين قرنوهما بثقافة اليانكى (الشماليين).

كان «چيه. جريشام ماكين» أستاذ العهد الجديد بالمعهد اللاهوتى فى پرينستون هو الناطق الرئيسى بلسان التحالف بين الأصوليين - المحافظين فى المعركة الخاصة بالطوائف. وقد جادل «ماكين» فى كتابه «المسيحية والليبرالية (١٩٢٣م)» بأنه حين أنكرت الليبرالية الجديدة أن خلاص البشر يعتمد على الحقيقة التاريخية بأن المسيح قد مات من أجل أن يكفر عن خطايا الإنسان، أصبحت هذه الليبرالية غير مسيحية على الإطلاق، بل أصبحت دينًا جديداً. لقد أصبحت بشكل جوهرى إيمانًا بالإنسانية حتى على الرغم من استخدامها للغة ورمزية مسيحية. وقال إنه يتوجب على الليبراليين أن ينسحبوا بكل أمانة من الكنائس التى قامت على أسس مختلفة تمام الاختلاف نابعة من مسيحية الكتاب المقدس. وقد رد الليبراليون برفق، مجادلين بأنهم إنما كانوا يحافظون على جوهر المسيحية، وبأن المحافظين لا يصادقون إلا على «نظريات» حول ما يقوم الكتاب المقدس بتعليمه. وما هو أكثر أهمية، أن الليبراليين قد أقاموا موقفهم على مبدأ التسامح.

وبما أنه حتى داخل الطوائف، مثل المعمدانيين الشماليين، والمشيخيين الشماليين كان النزال محمومًا، لم يكن معظم الپروتستانت الأمريكيين من الحداثيين ولا من الأصوليين المحاربين، وغالبًا ما كانت اقتراحات السلام والتسامح تحظى بدعم رئيسى. فبرغم أن أحرز الأصوليون بعض الانتصارات الرمزية داخل هذه الطوائف، فقد أصبح من الواضح بحلول عام ١٩٢٦م أن سياسات التسامح والاحتواء هى صاحبة السيادة.

فى الوقت نفسه، اجتذب الخلاف الأصولى مزيداً من الاهتمام على الجبهة الثقافية، حيث انتظم الأصوليون من أجل إنقاذ مجمل المجتمع الأمريكى من «الكفر». وقد ولّدت الحرب العالمية الأولى لدى الكثير من المحافظين الإيڤانجليكيين شعوراً بالأزمة تجاه الثورة فى الأخلاقيات، وتجاه تجدد الاهتمام برفاهية الحضارة. فمن ناحية اقترنت الحرب، مع الثورة الماركسية عام ١٩١٧م، مما جلب خوفًا واسع المدى من انتشار نظام سياسى ملحد وعلنى. وما يزيد الأمر وضوحًا، ففيما يخص الثقافة الأمريكية، كان نموذج ألمانيا هو الموضوع. كانت الحضارة الألمانية تُعرض أثناء الحرب بوصفها جوهر

البربرية على الرغم من إرثها المسيحى القوى. هل يمكن حدوث الأمر نفسه هنا؟ وكانت رياح التغيير الشديدة تنبئ بإمكان حدوث ذلك.

وأعلن المُعادون لنظرية النشوء والارتقاء بصوت عال أن الثقافة الألمانية قد قوضتها فلسفة «فريدريش نيتشه» التطورية "might - makes - right" علاوة على ذلك، كانت الداروينية فى جوهرها إلحادية، وبذلك سوف يسهم انتشارها فى تآكل الأخلاقية الأمريكية. ترتب على ذلك أن بدأ الأصوليون عقب الحرب مباشرة فى تنظيم حملات قوية ضد تدريس التطور البيولوجى فى المدارس الأمريكية العامة. حصل هذا المجهود على عون هائل عندما دخل «ويليام چيننجز برايان» فى عام ١٩٢٠م - وهو مرشح الرئاسة الديمقراطى لمرات ثلاث، وواحد من أعظم خطباء الأمة - فى النزاع ضد الداروينية. كانت جهود الأصوليين المضادة للتطورية سياسية بشكل جوهرى، لذلك فقد اجتذبت تنوعًا أعرض من النواة الخاصة بالپروتستانت الإيڤانجليكيين المحافظين لاهوتيًا. **وبحلول منتصف العقد كانت القوانين التى تحظر تدريس النشوء والارتقاء فى المدارس العامة قد دخلت التنفيذ فى عدد من ولايات الجنوب، وكانت الإجازة التشريعية معلقة فى عدد من الولايات الأخرى. وقد أدت هذه المجهودات إلى محاكمة «سكوپس» الشهيرة فى اختبار لقانون حظر النشوء والارتقاء فى تنيسى عام ١٩٢٥م، فى حادثة دفعت الأصولية إلى داخل الاهتمام العالمى، كما آذنت بانهيارها كقوة قومية فعّالة. كان «چون ت سكوپس» وهو مدرس شاب فى مدرسة ثانوية، قد اعترف بتدريس النشوء والارتقاء، وأحيل إلى المحاكمة ودافع عنه المحامى الجنائى الشهير «كلارينس دارو». وقد تطوع «ويليام چيننجز برايان» لمساعدة المدعى العام رافعًا بذلك الستار عن مشهد للمكاشفة بين الأصولية وبين التشكيكية الحداثية. اهتمت الصحافة بتغطية المحاكمة، بقدر اهتمامها بأول عبور جوى للأطلنطى بطائرة ليندبرج.**

وعلى الرغم من أن نتائج المحاكمة لم تكن حاسمة، واستمر القانون، لكن الرسوم الهزلية فى الصحافة التى صورت الأصوليين على أنهم ريفيون بلهاء ذوو عقول خرقاء، قد حط من قدر الأصولية وجعل من الصعب عليها مداومة المتابعة لشئون الحركة الجادة.[٣] ووجد الأصوليون بعد عام ١٩٢٥م صعوبة فى الحصول على الاهتمام القومى باستثناء أن يقوم بعضهم بجهود خارقة.

وعلى الرغم من أن هذه الحوادث المثيرة قد جعلت الغيوم تحيط بصورة البروتستانتية الإحيائية، فقد استمرت الحركة فى النمو بأشكال متعددة خارج التيار الرئيسى لحياة كنيسة البروتستانت. وفى الوقت نفسه فقد وقع الضرر على طوائف التيار الرئيسى ذاتها من جراء الخلافات الأصولية الممتدة، ومن جراء عجزهم عن العثور على الاتجاه الواضح.

وفى حين سيطر الخلاف بين الأصوليين/ الحداثيين على البروتستانتية وعلى معظم الأنباء الدينية فى ذلك العقد، كانت المجموعات غير البروتستانتية المختلفة تؤسس لمواضع أقدام أقوى، بوصفها شرائح ثابتة من الثقافة والدين الأمريكيين.

كان التجلى الأكثر دراميـة لهـذه المكاسب هو فى ترشيح «آل سميث»، وهو كاثوليكى، ليكون المرشح الديمقراطى للرئاسة عام ١٩٢٨م. مع ذلك فإن حملة «سميث» قد أشعلت جدلاً عنيفًا ضد الكاثوليكية فى قلب البروتستانت المحافظين. وقالوا: غدًا قد يكون لدينا «سميث»، وبعد غد سيكون لدينا «البابا». عدلت مثل هذه الاتهامات من اتجاه الأصوات، لكنها لم تعدل من اتجاه الانتخابات حيث كان من شبه المؤكد أن تكون فى صالح «هربرت هوڤر» على أية حال. مع ذلك، كانت هذه القصة فى صدقها الذى يماثل صدق الدعم لتقييد الهجرة فى أوائل العقد، مؤشراً على عدم رغبة الكثير من البروتستانت فى التخلى عن فكرة أن أمريكا هى أرض البروتستانت.

كانت معارضة البروتستانت المحافظين لحملة «سميث» هى آخر ظهور علنى رئيسى للأصولية فى الحياة العامة الأمريكية خلال العشرينيات من القرن العشرين. وسرعان ما بدت وكأنها النفس الأخير للأصولية. وبدت الأصولية واقعة فى فوضى، وافترض معظم المراقبين أنها قد أحرقت نفسها وأنها سرعان ما سوف تختفى إلى الأبد. وقدمت الانتقادات النموذجية افتراضًا أن الأصولية كانت نتاجًا لثقافة الأرياف، وأنه بمجرد انتشار التعليم الحديث، فإنها سوف تفقد قاعدتها الاجتماعية.

مع ذلك وفى الواقع، لم يكن ذلك اختفاء للأصولية لكنه كان إعادة للاصطفاف.

استمر الأصوليون فى فعل أفضل ما قاموا بفعله من قبل، وهو نشر الإيڤانجليكية وبناء الكنائس المحلية، بعد أن أصبحوا غير قادرين على السيطرة لا على الطوائف

الشمالية الرئيسية، ولا على الثقافة السياسية. وفيما يخص نشر الإيفانجليكية، فقد كانوا أساتذة فى الإعلام الجماهيرى، وبذلك تكيفوا مع الراديو بسرعة. وقد نمت كنائسهم ووكالاتهم الفردية على المستوى المحلى، حتى ولو أبطأتها ضغوط التمويل الناتجة عن الركود فى أوائل ثلاثينيات القرن العشرين. انفصل بعض الأصوليين داخل كنائسهم الخاصة، فى حين قبع المحافظون الآخرون فى هدوء داخل الطوائف الرئيسية. أصاب التدهور منظماتهم الوطنية سواء التى داخل الطوائف أو السياسية منها، لكن الفاعلية على المستوى المحلى ضمنت أن يكون ذلك القطاع من البروتستانتية الأمريكية أحد القلائل الذين يتمتعون بالنمو خلال ثلاثينيات القرن العشرين. وتطلب الأمر عقوداً ليتسنى للأصوليين وورثتهم من الإيفانجليكيين معاودة البروز داخل الحياة الأمريكية، وعندها فقط، لاحظ ذلك العديد من المراقبين، أو أخذوه على محمل الجد. [صفحة ٦٨ إلى ٨٠](*).

أما آل كوريت، فقد كتبا:

الحرب العالمية الأولى

عندما أعلنت انجلترا وفرنسا والحلفاء الحرب على ألمانيا، انقسم الزعماء الدينيون والجميع فى آرائهم حول الحرب. ولم يكن الانقسام دينيًا بالمعنى المفهوم، وإنما انقسام حول أخلاقية الحرب وتداعياتها على المدى البعيد. وقد حصل إعلان الرئيس «ويلسون» بدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٧م على تأييد شبه كامل من الجماعات الدينية، حتى تلك الملتزمة عادة بالسلامية. ومما سهل تقبل الأمر، وصف «ويلسون» دخول الولايات المتحدة النزاع بأنه لم يكن إلا لدعم حقوق الأنسان. وحتى من أيد ألمانيا مسبقا فى النزاع الأوروبى تحول عن ذلك. ونظر للحرب على أنها شر لا بد منه وأنها الطريق الوحيد للسلام. وانشغلت المنظمات الدينية وزعماؤها بتأييد محمود لجهود الحرب، مما جعلها تبدو كحملة صليبية. **فقد دعا الرب الأمة لدخول المعركة لإحراز النصر النهائى «للحضارة المسيحية» ومجد المحاربين كأبطال الحق ضد أتباع الشيطان.**

(*) كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والإيفانجليكية - چورچ مارسدن - ترجمة نشأت جعفر - مكتبة الشروق الدولية - ٢٠٠٥م.

بعد انتهاء الحرب، تضافرت ثانيا التيارات البروتستانتية الثلاثة، مع الكاثوليكية، وأصدرت قانون تحريم الخمر.

كذلك أفلح التيار الإيفانجليكي في بعض ولايات الجنوب في إصدار قوانين تمنع تدريس نظرية النشوء والارتقاء، ومن هنا ظهرت قضية سكوبس المشهورة عام ١٩٢٥م في ولاية تنيسي، ولكن أفلح الإعلام الليبرالي في هز وتشويه صورة الإيفانجليكيين حتى بدوا كالقرويين البلهاء المتخلفين.

بعد ذلك اعتبر المحللون والمؤرخون والإعلاميون أن الإيفانجليكية تلفظ، إن لم تكن لفظت بالفعل، أنفاسها الأخيرة، ومن ثم أصبحت السيادة لليبراليين، واستقرت عندهم.

ويستمر آل كوربت في تسجيل برامج التيار البروتستانتي الإصلاحي، تحت عنوان:

المثل الاجتماعية العليا للكنائس

في عام ١٩٣٢م، كانت القائمة أطول بالنسبة للإصلاحات الاجتماعية الخاصة بالمجلس الفيدرالي للكنائس، وقد تشابهت تلك القائمة في أوجه عدة مع البيان الاجتماعي الذي وافقت عليه الكنيسة الميثودية منذ ربع قرن مضى. وتشتمل عدة نقاط في قائمة الإصلاحات الاجتماعية على «التطبيق العملي للمبدأ المسيحي الخاص بالرفاهية الاجتماعية»[1] في أوجه شتى من النظام الاقتصادي مثل: الائتمان، والنظام النقدي نفسه، واكتساب المال، التوزيع العادل للثروة، والحد الأدنى للأجور وغيره.

وتضم القائمة أيضًا سلامة العمال العاملين بالصناعة والزراعة والتأمين، بما في ذلك التأمين ضد البطالة. لقد وافق المجلس على خفض عدد ساعات العمل اليومية،

---

(١) في كتابه «الشعب المختار ـ الأسطورة التي شكلت انجلترا وأمريكا» يقول لونجلي في صفحة ٥٠ من الجزء الأول: .. وليم تمبل كبير أساقفة كنتربري، [في انجلترا]، كان مسئولاً إلى حد كبير عن إنتاج نظرية عن مسئولية الدولة تجاه مواطنيها.. وقرر أن كنيسة انجلترا لا تستطيع أن تتنحى جانبا عن معاناة الناس، وأسهم بصفة خاصة في الأفكار التي صارت «دولة الرفاهية»، وذلك المصطلح من اختراعه.

وتشجيع أصحاب العمل جميعًا على خفض أيام العمل الأسبوعية إلى ستة أيام «مع توقع خفضها لأكثر من هذا». وتؤيد القائمة شرعية المنظمات العمالية، وحق التفاوض الجماعي، وضرورة تحقيق العدالة الاقتصادية للمزارعين، وإتاحة الفرصة الثقافية الموجودة بالمدن للمقيمين بالمناطق الريفية.

وتضمنت القائمة كذلك الأنظمة الخاصة التي تكفل حماية المرأة العاملة، وكذلك الأنظمة الخاصة بالإلغاء التام لعمالة الأطفال، و«حماية الأسرة بمعيار واحد للطهارة، والإعداد التربوي للزواج، وإدارة شئون المنزل، والأبوة». وقد سعى المجلس إلى حماية المجتمع من أثار أي اتجار في المسكرات والمخدرات، كما شجع إصلاح المحكمة الجنائية وأنظمة السجون.

ولقد هدفت قائمة الإصلاحات الاجتماعية إلى دعم فكرة بناء «نظام عالمي تعاوني» عن طريق نبذ الحرب، والخفض الكبير للأسلحة، وكذلك إقامة هيئات دولية لفض المنازعات. وبشكل أكثر عمومية آمنت هذه الإصلاحات بالتسامح وحسن النوايا تجاه الجميع، هذا إلى جانب حماية حقوق ومسئوليات حرية التعبير وحرية الاجتماع وحرية الصحافة التي تؤمن بأن «حرية التواصل بين العقول أمر جوهري لاكتشاف الحقيقة».

وعند النظر لتلك الوثيقتين، يبرز لنا أمران: **أولاً**: كل من الوثيقتين قد كتب منذ ما يربو على نصف قرن مضى، إلا أن كثيراً من المشاكل ما زالت موجودة.

ثانيا: الحلول التي اقترحت في ذلك الوقت تشبه تلك المقترحة الآن. فعلى سبيل المثال، يظهر في كلتا الوثيقتين دعم الحكومة للتأمين الصحي وبرنامج إصلاح الرعاية الصحية الذي اقترحه الرئيس بيل كلينتون في تسعينيات القرن العشرين.

الحرب العالمية الثانية

دخلت الولايات المتحدة الحرب عام ١٩٤١م بعد أن أغرقت الطائرات اليابانية قطعا من الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور، وذلك بعد أن حرمت الولايات المتحدة اليابان من إمدادات البترول، في حربهما الاقتصادية والتوسعية في شرق آسيا.

أيدت كل الكنائس تقريبًا الحرب، وكان تشرشل يدعو لإنقاذ الحضارة المسيحية، بينما وضع الچنرال "أيزنهاور، قائد قوات الحلفاء ـ ثم الرئيس الأمريكي الرابع والثلاثون ـ كتابًا سماه «حرب صليبية في أوروبا».

وخلف ترومان الرئيس الأمريكي روزفلت بعد وفاته، وأعطى أوامره بقصف اليابان ذريًا مرتين، في هيروشيما ونجازاكي.

ويجدر بنا أن نذكر عن الرئيس ترومان سطوراً قليلة.. فهو من ضمن من لعبوا دوراً كبيراً في الشرق الأوسط.

«قبل أن يتولى ترومان الرئاسة، كان قد أظهر تعاطفًا مع الصهيونية، فخلفيته المعمدانية وتربيته، كانتا تركزان على عودة اليهود إلى جبل صهيون. وكان أعضاء المؤتمر المعمداني الجنوبي أشد الناس حماسًا للصهيونية، وكانوا يؤيدون المطالب الدينية والتاريخية لليهود في أرض فلسطين. كان معظم المعمدانيين محافظين، بل من أتباع مذهب العصمة الحرفية الذين يميلون إلى اعتبار إقامة دولة يهودية برهانًا واضحًا على تحقيق النبوءات التوراتية»[1].

درس ترومان التوراة، كان يؤمن باعتباره أحد تلاميذ التوراة بالتبرير التاريخي لوطن قومي لليهود، وكانت لديه قناعة أن وعد بلفور عام ١٩١٧م حقق آمال وأخلاق الشعب اليهودي القديمة. وقصة حياته الحافلة بالاقتباسات والإشارات التوراتية تشير إلى ميله للإسهاب في ذكر التعاليم اليهودية المسيحية.

كان معروفًا حبه لفقرة المزمار ١٣٧: **لقد جلسنا على أنهار بابل، وأخذنا نبكي حين تذكرنا صهيون.**

وصرح بأن «**موسى تلقى المبدأ الأساسي لقانون هذه الأمة [أمريكا] على جبل سيناء**»[2].

---

(١) الصهيونية غير اليهودية ـ ريجينا الشريف ص ٢١٤ ـ ٢١٥ نقلاً عن:
Creation of a Jewish State/ Watchman Examiner Vol 36 No 23 June 1948. p. 567.

(٢) صفحة ٢١٥ ـ ريجينا الشريف نقلاً عن سيلج أدلر: صفحة ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

وعندما تم تقديم ترومان فى معهد لاهوتى يهودى على أنه الرجل الذى ساعد على خلق دولة إسرائيل، رد ترومان مستشهدا بالفكرة الصهيونية عن النفى والعودة:

ماذا تعنى بقولك ساعد على خلق؟ إننى قورش... إننى قورش... [الذى أعاد اليهود من منفاهم فى بابل إلى القدس].

أما الكونجرس، فتكفينا الفقرة التالية منه:

كما خلص موسى الإسرائيليين من العبودية، فإن الحلفاء الآن يخلصون يهوذا من أيدى الأتراك القبيحين.. حكومة الولايات المتحدة يجب أن تمارس سلطاتها الملائمة لرؤية الدولة اليهودية تقام؛ لتنبثق منها تعاليم ومبادئ يهوذا القديمة [(١)].

وخطب رئيس لجنة العلاقات الخارجية هنرى كابوت لودج قائلاً:

«يبدو لى أنه أمر مناسب وجدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودى فى وطن قومى... إننى لم أحتمل أبدًا فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين... إن بقاء القدس والأرض المقدسة فى أيدى الأتراك كان يبدو لى لسنوات طويلة وكأنه لطخة فى جبين الحضارة، ويجب إزالتها» [(٢)].

بعد الحربين العالميتين، حاربت الولايات المتحدة فى كوريا، ثم فى ڤيتنام. وفى ڤيتنام دمرت مئات القرى وعشرات المدن، وضحت بما يقرب من نصف مليون ڤيتنامى ومائتى ألف أمريكى، على مذبح القيم الأمريكية بشقيها الدينى والمدنى حيث كان جنودها هم جنود المسيح، وفى نفس الوقت كانوا حاملى رسالة وحضارة الرجل الأبيض، ولتكمل رسالتها البشرية بما يتضمن ذلك من أعباء وتضحيات ومسئوليات.

أدت الخسائر بين المقاتلين الأمريكيين، وعودتهم مصابين بالأمراض النفسية والجنسية والمخدرات، إلى التخفيف من وطأة الالتزام برسالة نشر القيم الأمريكية ـ الدينية والمدنية ـ فى تلك المنطقة من العالم، واضطرت الولايات المتحدة للانسحاب.

---

(١) صفحة ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ريچينا الشريف، نقلاً من: كونجرس الحروب الأمريكية وسجلات الكونجرس، الجزء ٢٦ القسم ٦ صفحة ٦٢٤٠.

(٢) ريچينا الشريف ـ صفحة ٢١٨.

وعانى الشباب فى أمريكا من فترة ضياع، سادت فيها اللذات الحسية، وفى مقدمتها الجنس والمخدرات، فالحياة أصبحت عبثية، سواء لأولئك من نظروا للأحداث بعيون الدين البروتستانتى، أو الدين المدنى، أو حتى بعيون إمبريالية صرفة لا ترى إلا تفوق الرجل الأبيض، وتتبع داروينية البقاء للأصلح الشاملة.

عودة الإيفانجليكية

بدأ تنحى الإيفانجليكيين عن الساحة الجامعية من منتصف القرن التاسع عشر، وتواروا تمامًا من الساحة العامة بعد محاكمة سكوبس، لكن اتضح أنهم لم ينتهوا أو يندثروا، بل عملوا بكل جد واجتهاد فى إنشاء مؤسساتهم التعليمية، ومنابرهم فى الصحافة والإذاعة، وبعد ذلك التليفزيون، وبدأت أجيال جديدة من الدعاة النجوم فى الظهور، وبدأوا يفكرون من منتصف القرن العشرين فى دخول مجال السياسة، وأصبح القس المبجل بيلى جراهام من ضيوف الرئيس أيزنهاور فى البيت الأبيض، واستمرت علاقته بالرؤساء، إلى أن أصبح چورچ بوش الابن أحد رعاياه. وتعدد الدعاة النجوم من الإيفانجليكيين والأصوليين، وأصبح لكل واحد منهم - من أمثال بيلى جراهام، چيرى فالويل، پات روبرتسون وغيرهم - ملايين المشاهدين والمتابعين بطول الولايات المتحدة وعرضها، مع ميزانيات تتجاوز عشرات الملايين من الدولارات سنويًا، أحرارًا فيما يقولون ويكتبون، وحيثما ينتقلون ومن يخاطبون. **وفى عام ١٩٦٧م، تلقت الأصولية والإيفانجليكية مددًا فكريًا وروحيًا لا يقدر بثمن، لقد انتصرت إسرائيل الصغيرة الضعيفة على الأغيار الأشرار فى حرب قصيرة انتصارًا كاسحًا، إلهيًا بلا شك . . . فها هى نبوءات الكتاب المقدس تتحق حرفيًا،** وحسب النصوص الأمريكية:

إسرائيل الصغيرة التى تظهر على المسرح فى دور داود فى العهد القديم، عاقبت جالوت العربى عام ١٩٦٧م - جاء هذا من لوس أنچلوس، بلد هولى وود والفن والليبرالية واليسارية الأمريكية، فى افتتاحية صحيفة لوس أنچلوس هيرالد إكزامنر ٢٤/ ٣/ ١٩٧١م بقلم راندولف هيرست.

أما فى مجلس النواب، فى الاجتماع الثانى والتسعين، الجلسة الأولى، ٢٤/ ٣/ ١٩٧١م صفحة ٣٨٠٥ من سجلات الكونجرس، نسمع وجهة نظر السيناتور چوزيف مونتريا: **من الصعب التصديق بأن داود [إسرائيل] هو المعتدى الحقيقى على جالوت [العرب]**. وتعلق ريچينا الشريف على ذلك قائلة: ليس هذا السيناتور من أتباع العصمة الحرفية، ولا يكاد يكون هناك يهود فى ولايته [نيو ميكسيكو]، ولكنه ينظر من خلال التوراة.

وطبقا لچورچ مارسدن:

. . . ربما كان التأثير السياسى الأعظم للإيفانجليكية على السياسية الأمريكية خلال الخمسين عامًا الماضية، هو فى دورها الخاص بتوسيع القاعدة الشعبية للدعم شبه الكامل وغير القابل للتحول، لدولة إسرائيل. . . لم تفعل الأغلبية الأخلاقية[1] إلا الإعلان عن رؤية إيفانجليكية يتمسك بها قطاع عريض للغاية. . . بأن دولة إسرائيل سوف تلعب دوراً جوهريًا فى خطة الله الخاصة بالآخرة. . . ويحظى هذا الاعتقاد بشعبية جارفة فى أمريكا.

عام ١٩٧٦م: إيفانجليكى فى البيت الأبيض وعام الإيفانجليكى

ساعد ترشيح چيمى كارتر للرئاسة وفوزه بها عام ١٩٧٦م على احتلال المسيحية المحافظة مركز الصدارة فى الوعى الشعبى. وأعلنت كلٌ من مجلتى تايم ونيوزويك عام ١٩٧٦م عام الإيفانجليكى. وتأكد هذا مجدداً بإعلان چيرالد فورد (المنافس على الرئاسة عام ١٩٧٦م) بأنه مسيحى مولود ثانيًا [مثلما أعلن چيمى كارتر]، وكان هذا بمثابة إعلان عن نضج الحركة ـ [الدين والسياسة، صفحة ١٥٠].

قال الرئيس كارتر أمام الكنيست الإسرائيلى فى عام ١٩٧٩م:

---

(١) أسس القس چيرى فالويل «الأغلبية الأخلاقية» منذ حوالى ربع قرن، ويشاهد برامجه الدينية ما يقرب من عشرين مليون أمريكى.

لقد آمن سبعة رؤساء للجمهورية أن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى. . إننا نتقاسم معًا ميراث التوراة- [ريچينا الشريف صفحة ٢٧٤ نقلاً عن «چيروزاليم پوست» ١٩٧٩م].

لقد كانت خلفيته البروتستانتية وأراؤه الدينية مرتبطة بسياسته تجاه الشرق الأوسط، وكان يرى كرئيس، أن دولة إسرائيل هى أولاً وقبل كل شىء «عودة إلى الأرض التوراتية التى أخرج منها اليهود منذ مئات السنين. . إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز النبوءة التوراتية وجوهرها». .

وعليه «التزام كامل ومطلق نحوها كإنسان وكأمريكى وكشخص متدين» - [ريچينا الشريف صفحة ٢٧٥، ٢٧٦].

وقد تزداد معرفتنا بالرئيس كارتر عندما نقرأ فى كتابته «الإيمان الحى» الصادر فى ١٩٩٦، ١٩٩٨م عن دار نشر راندرم هاوس:

- **العصيان المدنى مبرر إزا خالفت القوانين الإنسانية وصايا الله لنا - صفحة ١١٧.**

ومع ذلك، لم يسلم الرئيس كارتر من اتهام بعض بلدياته بأنه متسيب دينيًا، حسب ما ذكر فى كتابه السابق: **جاء إلى المكتب البيضاوى أحد كبار المسئولين فى كنيسة المعمدانيين الجنوبية، وبعد انتهاء اجتماعى معه هو وزوجته، وقبل مغادرته المكتب قال: نحن نصلى، السيد الرئيس - Mr. President، حتى تترك العلمانية الإنسانية كدين.**

كان ذلك صدمة لى. هل قال ذلك لأنى عارضت تعديلاً دستوريًا يجعل الصلاة إجبارية فى المدارس العامة؟ أو لأنى خالفت برامج اليمين المسيحى فيما يخص معاهدة قناة پنما، أو معاهدة سالت الثانية مع الاتحاد السوڤيتى؟

والأمر الأخير الذى يستحق أن نذكره عن كارتر، أنه اتهم الرئيس كلينتون بالانحياز لإسرائيل، وأن أمريكا لم تعد وسيطًا نزيهًا، بل وقال بالطريقة الأمريكية: تنام أمريكا وإسرائيل فى سرير واحد.

يدفعنا ذلك إلى تسجيل قولين مشهورين للرئيس كلينتون: «أنا مستعد للموت فى سبيل إسرائيل»، ومعروف أنه لم يحارب فى الجيش الأمريكى فى ڤيتنام، والثانى: أخبرنى راعى كنيستى أن الله سيغفر لى كل ذنوبى ما لم أتخل عن إسرائيل.

الرئيس ريجان وهرمجدون

نشأ رونالد ريجان متدينًا، يقرأ الكتاب المقدس بانتظام، ويذهب للكنيسة بالتزام، ويُعلم الكتاب المقدس فى مدارس الأحد. تأثر ريجان فى صغره بوالدته شديدة التدين، وفى شبابه بأصدقائه الإيڤانجليكيين.

وسنقتبس هنا مقتطفات من نصوص كتاب الراحلة الأمريكية جريس هالسل[1] «النبوءة والسياسة».

. . . فى عام ١٩٦٨م، نشر الكاتب ويليام روس مقالاً بعنوان «الحياة المسيحية»، نقل فيها عن ريجان قوله إنه فى خلال فترة علاج قصيرة فى المستشفى، زاره صديقه لاعب الكرة «دون مومو»، يرافقه المبشر الإنجيلى بيلى جراهام.. وأنهم تحدثوا عن النبوءات المتعلقة بالمجىء الثانى للمسيح وإمكانية تحققها فى ذلك الوقت.. وقال جراهام إنه لم يسبق فى التاريخ أن تحقق هذا الكم من النبوءات فى مثل ذلك الوقت القصير.. وطلب ريجان من صديقه «دون مومو» أن يرسل له المزيد عن تلك النبوءات.. وكان ريجان فى ذلك الوقت حاكم كاليفورنيا، وهى من أكبر ولايات أمريكا..

فى ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠م وخلال حملة ريجان لحكم الولاية لمرة ثانية، زاره فى منزله فى سكرامنتو عدد من الأصدقاء، بينهم المغنى مات بون وزوجته شيرلى، واثنان من ذوى النفوذ فى الكنيسة، چورچ أوتيس، وهيرالد بريدسون، وتحدثوا طويلاً عن النبوءات التوراتية ونهاية الزمان.. وفى نهاية الحديث، وقف الجميع يصلون وأيديهم متشابكة.. وتنبأ أوتيس لريجان بأن يصبح رئيسًا للولايات المتحدة..

---

(١) أمريكية مسيحية، ولدت فى بيئة دينية ملتزمة، وعملت كمراسلة صحافية، واختارها الرئيس چونسون للعمل معه فى البيت الأبيض.

وفى ٢٩ يونيه ١٩٧١م، طلب الحاكم ريجان من بيلى جراهام أن يلقى خطابًا فى المجلس التشريعي للولاية . . **فأعلن جراهام أن البديل الوحيد للشيوعية هو الخطة الواردة فى الكتاب المقدس . . وأن البشر سيتنقلون من مشكلة لأخرى حتى يأتى المسيح.**

وبعد خطاب جراهام، أقام ريجان حفل غداء على شرفه، حضره كبار مسئولى الولاية كما حضره والت هانسون مدير مكتب جراهام، ويحكى هانسون عن الحوار التالى :

ريجان : هل تعتقد أن يسوع المسيح سيأتى سريعًا، وما مؤشرات ذلك إن كان سيحدث؟

جراهام : المسيح يقف خلف الباب، وسيدخل فى أى وقت . .

وفى نفس العام، قرأ ريجان عدة كتب رائجة عن هرمجدون، منها كتاب هال ليندسى : كوكب الأرض العظيم الراحل[1] . . ويكتب چيمس ميلز - الذى كان رئيسًا لمجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا - فى مجلة سان دياجو عدد أغسطس ١٩٨٠م، الرواية التالية عما حدث فى السنة الأولى للفترة الثانية لعمل ريجان حاكمًا للولاية [آخر السبعينيات] :

جلس الاثنان جنبًا لجنب فى مأدبة أقيمت على شرف ميلز، فسأله ريجان بصورة مباغته :

- هل قرأت الآيتين ٣٨، ٣٩ من حزقيال؟

- نعم، فقد نشأت فى بيت مؤمن، وقرأت وناقشت مقاطع حزقيال التى تتحدث عن يأجوج.

- لقد رأى حزقيال المذبحة التى ستدمر عصرنا. لقد تحولت ليبيا إلى الشيوعية[2]. وفى ذلك إشارة مؤكدة على قرب هرمجدون.

(١) طبع هذا الكتاب عدة طبعات فى السبعينيات من القرن الماضى، وبيع منه ما يقرب من ٢٠ مليون نسخة، ثم أصبح فيلمًا سينمائيًا.

(٢) هل لهذا قصف ريجان ليبيا بالقنابل؟

ـ يقول حزقيال أيضًا إن إثيوبيا ستكون مع الشيطان. ولا أستطيع أن أرى هيلاسلاسي أسد يهوذا يحارب ضد شعب الله المختار.

ـ أنا أعتقد ذلك وأرى أنه لا مفر منه.. إنه ضرورى لتحقيق النبوءة..

[وقال ميلز: بعد ثلاث سنوات، أسقط الشيوعيون هيلاسلاسي، وفرح ريجان بذلك كثيراً].

ـ تحققت جميع النبوءات اللازمة قبل هرمجدون.. ولأول مرة يبدو كل شيء فى مكانه بانتظار هرمجدون والعودة الثانية للمسيح.

ـ الشيء الوحيد الذى ينص عليه الكتاب المقدس بوضوح أن أحدًا لا يعرف وقت العودة الثانية للمسيح.

ـ كل شيء يأخذ مكانه.. لن يطول الوقت.. حزقيال يقول إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الله.. يعنى ذلك أنهم سيدمرون بالسلاح النووى.. حزقيال يخبرنا أن يأجوج وقوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتى من الشمال.. أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال إن يأجوج هى روسيا الشيوعية الملحدة التى وضعت نفسها ضد الله.. وتنطبق عليها مواصفات يأجوج.

[قال ريجان ذلك بصوت عال]

كذلك تحدث ريجان عن هرمجدون مع كثيرين آخرين.. وأشار إلى حقيقة نبوءة أن القدس سوف تدنس تحت أقدام الأغيار (الچنتيل)، إلى أن ينتهى وقتهم.. وقد تحقق هذا بعد حرب ١٩٦٧م..

وفى حملته الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة، قال لچيم بيكر فى مقابلة تليفزيونية: قد نكون نحن الجيل الذى يشهد هرمجدون.. وقال الكاتب ويل الذى حضر المقابلة إنه سمع ريجان يردد مراراً: قد تكون نهاية العالم فى متناول يدنا.. إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذى سيرى هرمجدون..

وفى عام ١٩٨٣م، رتب ريجان لچيرى فالويل، أن يحضر اجتماع مجلس الأمن القومى ليناقش احتمال الحرب النووية مع الاتحاد السوفييتى.. كذلك ألقى هال

ليندسي كلمة حول الحرب النووية مع الاتحاد السوفيتي أمام قادة البنتاجون الاستراتيجيين.

خاطب ريجان الاتحاد الوطني للمذيعين الدينيين ثلاث مرات في أعوام ١٩٨٢، ٨٣، ٨٤، ومعظم أعضاء الاتحاد من المؤمنين بقرب هرمجدون.. فأكد لهم أن ذلك سيحدث بأسرع مما نتصور.. وصرح لهم بأن بين دفتي هذا الكتاب [الكتاب المقدس] توجد جميع الإجابات على جميع المشاكل التي تواجهنا اليوم..

ويعلق ميلز قائلاً:.. طالما أن سياسات ريجان متطابقة مع تفسيره الحرفي لنبوءات الكتاب المقدس، فلن يهتم بمسألة ديون أمريكا ولا عجز ميزانية الدولة، ولا أمور البيئة.. وبالطبع سيزيد من التسليح النووي[(١)، (٢)].

وتساءل أندرو لانج مدير الأبحاث في المعهد المسيحي بواشنطن:

هل يؤمن بجدوى مباحثات التسلح رئيس يعتنق هذا الفكر؟ وخلال أية أزمة نووية، هل سيكون عاقلاً مترويًا؟ أو سيكون متهافتًا متعطشًا لإشعال الحرب النووية عملاً على تحقيق النبوءات التوراتية؟

سنوات بوش

قرأنا في أول الكتاب مقالتين عن بوش، إحداهما ألمانية والثانية أمريكية، وقرأنا مقتطفات من كتاب بوش «مهمة للأداء»، بما لا يدع مجالاً للزيادة.

وبالطبع نحن نعيش ونعاين أقوال وأفعال بوش، التي تؤثر في العالم عمومًا، والشرق الأوسط خصوصًا. فهل بوش استثناء خارج السياق الأمريكي؟

أم هو يمثل تيارًا أصيلاً فاعلاً، ليس كاسحًا ولكنه ليس مستبعدًا ولا مهمشًا.

انتخابات الرئاسة الأمريكية على الأبواب، وقد يصدر هذا الكتاب قبلها أو بعدها، وقد شاهدنا مناظرات بوش وكيري وماذا يقول كل منهما عن الشرق الأوسط.

---

(١) يمكن قول نفس الشيء بالنسبة لجورج بوش.

(٢) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، دار الشروق، الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٣م، ص ٤٥ ـ ٥٣.

وشاهدنا أيضًا چيرى فالويل يعلن - إن لم يكن يهدد - على شاشات التليفزيون أنه لو تخلى بوش عن القدس كعاصمة لإسرائيل، فلن يحصل على صوت إيڤانجليكى واحد.

وقد سبق لچيرى فالويل منذ أيام نتنياهو، أن نصح وداوم على نصح، قادة إسرائيل بألا يتخلوا عن بوصة واحدة من أرض إسرائيل التوراتية.

وفى المقابل، فإن الكنائس المشيخية[1] - وهى پروتستانتية - طالبت بمقاطعة إسرائيل، وفرض عقوبات على الشركات الأمريكية ذات الاستثمارات العملاقة فى إسرائيل.

***

قد يفوز بوش، وقد يفوز كيرى[2]...

وفوز كيرى لا يعنى أنه لا يوجد تيار قوى من اليمين المسيحى المحافظ، أو الأصوليين المسيحيين فى أمريكا..

كما أن فوز بوش لا يعنى أنه لا يوجد تيار قوى من الليبراليين فى أمريكا..

ولم يقل أحد ذلك بعد فوز بوش على آل جور فى الانتخابات السابقة..

والجدير بالذكر، أن كيرى يؤيد إسرائيل فى كل فرصة تسنح له.. سيقول البعض بسبب أصوات اليهود ونفوذهم، ويقول البعض الآخر لأن السيناتور چوزيف ليبرمان اليهودى هو الذى يضع سياسة الحزب الديمقراطى فى الشرق الأوسط..

فهل يضاف إلى ذلك تأثر كيرى بالثقافة السائدة فيما يخص شعب الله المختار.. الأرض الموعودة.. وعودة المسيح ليحكم العالم من القدس؟..

وأين وجودنا نحن من كل ذلك؟!

***

---

(١) تمثل حوالى ٢٪ من السكان فى أمريكا، أى تقريبًا نفس نسبة عدد اليهود.

(٢) فى هذه الانتخابات فاز بوش بمدة رئاسة ثانية للولايات المتحدة.

الجداول(*)

١ ـ الأديان فى الولايات المتحدة .

٢ ـ المجموعات الكنسية المسيحية فى الولايات المتحدة .

٣ ـ المجموعات الكنسية البروتستانتية .

٤ ـ مؤشرات التدين فى أمريكا الثمانينيات مقارنة بدول غربية مسيحية أخرى .

٥ ـ برامج الكنائس التليفزيونية حسب المشاهدين .

٦ ـ مؤشرات التدين الأمريكى فى التسعينيات .

٧ ـ استهلاك الإعلام المسيحى فى أمريكا .

٨ ـ إمبراطورية القس التليفزيونى وزعيم الائتلاف المسيحى پات روبرتسون .

(*) نقلت من كتاب المسيح اليهودى ـ رضا هلال ـ مكتبة الشروق الدولية ـ الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م .

جدول (١)

الأديان فى الولايات المتحدة(*)

الأديــــــان	النسبة من عدد السكان
البروتستانتية	٦٠ـ٦٢٪
الكاثوليكية	٢٥ـ٢٧٪
الأرثوذكسية الشرقية	١٪
المسيحية	٨٦ ـ ٩٠٪
اليهودية	٢٪
الإسلام	٢٪
ملحدون	٢٪
لا دين	٢٪
أديان أخرى	٤٪

(*) المصدر : Barna Research Group: Princton Research, Galloup.

جدول (٢)

المجموعات الكنسية المسيحية فى الولايات المتحدة(*)

الكنائس	عدد الأتباع
الكنائس المعمدانية (Baptist)	٣٩,٥٢٣٨١٥
الكنائس المنهجية (Methodist)	١٣,٤٨٣٤٨١
الكنائس الخمسينية (Pentecostal)	١٠,١٤٣٢٨٢
الكنائس اللوثرية (Lutherian)	٨,٣٢١١١١
المورمون (Later - day Saints)	٤,٨٨٩٢٧٩
الكنائس المشيخية (Presbyterian)	٤,١٧٤٢٢٠
الكنائس المسيحية الشرقية (East Orthodox)	٣,٣٥٣٨٢١
الكنائس الأسقفية (Episcopal)	٢,٥٣٦٥٥٠
الكنائس الإصلاحية (Reformist)	١,٧٠١٤٩١
الكنائس الكاثوليكية (الروم الكاثوليك)	٦٠,٢٠٨٤٥٤
الكنائس السبتية (Adventist)	٩٧٢٢٢١
شهود يهوه (Jehovah's Witnesses)	٩٦٦٢٤٢

(*) المصدر : 1997 Yearbook of American & Canadian Churches.

جدول (٣)
المجموعات الكنسية البروتستانتية(*)

المعمدانية الجنوبية	٨٪
الكنيسة المنهجية المتحدة	٧٪
معمدانيون آخرون	١٠٪
بروتستانت آخرون	١٠٪
منهجيون	٣٪
الكنيسة المتحدة للمسيح	٣٪
الكنائس المعمدانية الأمريكية	٣٪
الأسقفيون	٢٪
اللوثريون	٢٪
الكنيسة المشيخية للولايات المتحدة	٢٪
الكنيسة اللوثرية الأمريكية	١٪
الكنيسة المشيخية المتحدة	١٪
المورمونية	١٪
الكنيسة اللوثرية لأمريكا	١٪
اللوثريون المعمدانيون لميسروى	١٪
مشيخيون آخرون	١٪
لوثريون آخرون	١٪
كنائس أخرى	٣٪
	٦٠٪

(*) المصدر : Princeton Research Center, Galloup. Surveys

جدول (٤)
مؤشرات التدين فى أمريكا الثمانينيات مقارنة بدول غربية مسيحية أخرى(*)

النسبة إلى عدد السكان	أمريكا	ألمانيا	فرنسا	الدانمارك	السويد
مؤمنون بوجود الله	٩٥٪	٧٢	٦٢	٥٨	٥٢
المنتمون إلى كنائس	٥٧٪	١٣	٤	٤	٩
التطوع لخدمة الكنائس	٢٣٪	٧	٣	٢	٥

(*) المصدر : Oxford Analytica, American Perspective

جدول (٥)

برامج الكنائس التليفزيونية حسب المشاهدين(*)

البرنامج	مقدمـــه	عدد المشاهدين شهريًا بالمليون
ساعة من إنجيل زمان	چيرى فالويل	٥,٦
چيرى فالويل لايف	چيرى فالويل	٣٤
نادى السبعمائة	پات روبرتسون	١٦,٣
توقع معجزة	أورال روبرتس	٦,٠
مجدوا الرب	چيم بيكر	٥,٨
الحملة الصليبية الأسبوعية	چيمى سواجرت	٩,٠
دراسة فى الكلمة	چيمى سواجرت	٤,٥
ساعة من القوة	روبرت شيللر	٧,٦
كينيث كوبلاند	كينيث كوبلاند	٤,٩

(*) المصدر : Sara Diamond, Roads to Dominion.
David W. Clark, Religious TV Audience,
فى : رضا هلال، تفكيك أمريكا، القاهرة، الإعلامية للنشر، ١٩٩٨م.

جدول (٦)

مؤشرات التدين الأمريكى فى التسعينيات(*)

من يعتقدون بوجود الله	٩٥٪
من يعتقدون أنهم متدينون	٨٢٪
من يؤمنون بالحياة الآخرة	٨٠٪
من يحضرون قداس الأحد أسبوعيًا	٤٥٪

(*) المصدر : National Times. Nov. 1995.

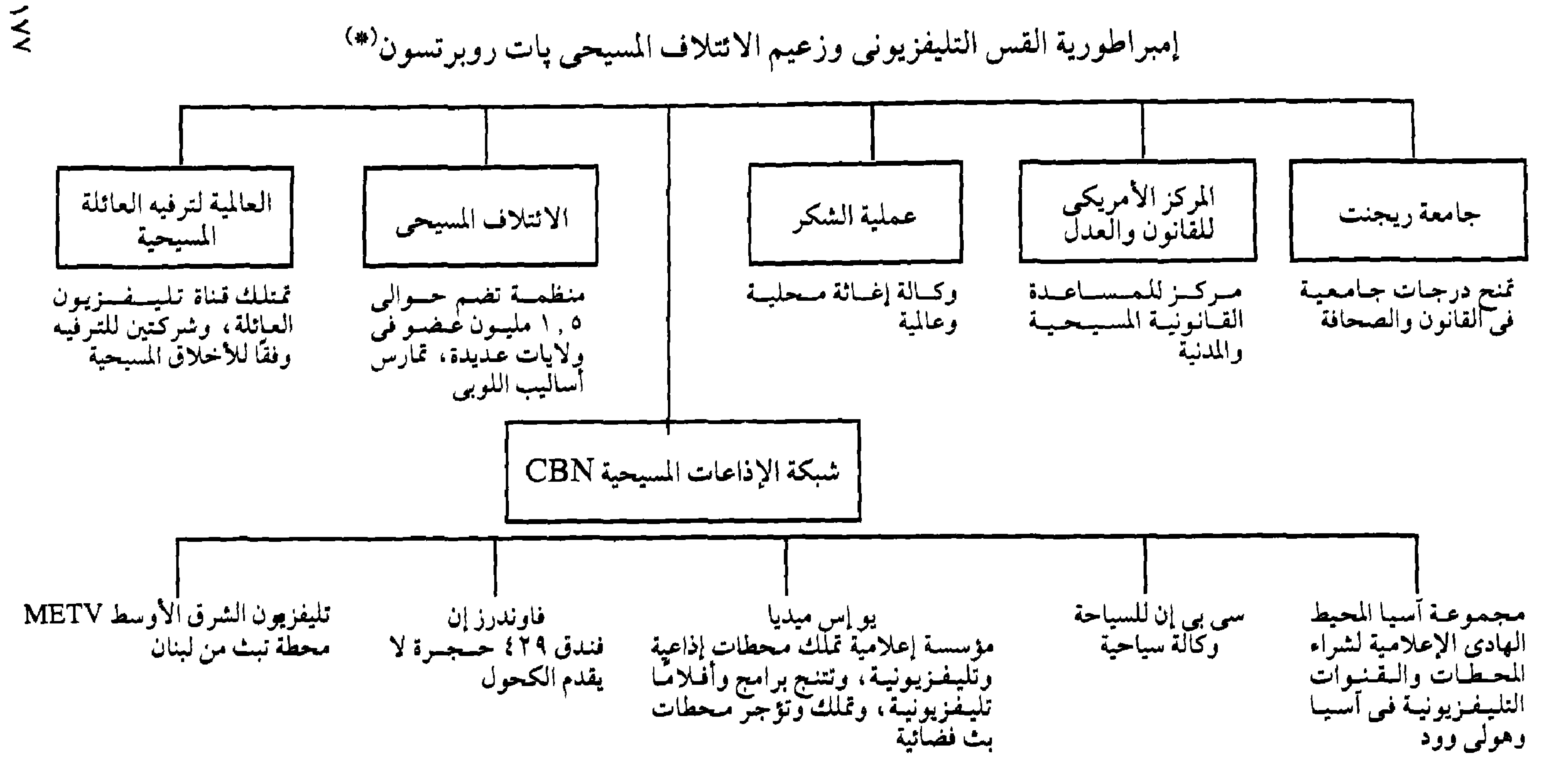
جدول (٧)

استهلاك الإعلام المسيحى فى أمريكا(*)

خلال الشهر الماضى	نعم
هل قرأت مجلة مسيحية؟	٣٧٪
هل قرأت كتابًا مسيحيًا غير الكتاب المقدس؟	٣٤٪
هل استمعت لموعظة مسيحية فى الإذاعة؟	٣٩٪
هل استمعت لمحطة إذاعية كانت تذيع موسيقى مسيحية؟	٤٥٪
هل شاهدت برنامجًا تليفزيونيًا دينيًا؟	٤٩٪

(*) المصدر : Barna Research, 1992

إمبراطورية القس التليفزيونى وزعيم الائتلاف المسيحى پات روبرتسون(*)



(*) المصدر : US & WR - Basic Data: CBN

«إسرائيل ستتخلى عن بعض الأراضى، إلا أنها لن تتخلى عن أورشليم، وتكون النتيجة حرب نهاية التاريخ»

(پات روبرتسون ـ رئيس منظمة الائتلاف المسيحى)

المراجـع

* أرض الميعاد والدولة الصليبية، والتر أ. مكدوجال، ترجمة رضا هلال، دار الشروق، (ط ١) ١٩٩٩م، (ط ٢) ٢٠٠١م.

* الأصولية اليهودية فى إسرائيل، إسرائيل شاحاك ـ نورتون ميزفينسكى، ترجمة ناصر عفيفى، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

* الدين والسياسة فى الولايات المتحدة، مايكل كوربت وچوليا كوربت، مكتبة الشروق الدولية، (ط ١) ٢٠٠١م، (ط ٢) ٢٠٠٣م.

* الشعب المختار: الأسطورة التى شكلت انجلترا وأمريكا، كليفورد لونجلى، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، الجزء الأول، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣م.

* الصهيونية غير اليهودية، ريچينا الشريف، عالم المعرفة ـ الكويت.

* قصة الحضارة، ول ديورانت.

* كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والإيفانجليكية ـ چورچ م. مارسدن، ترجمة نشأت جعفر ـ مكتبة الشروق الدولية ـ ٢٠٠٥م.

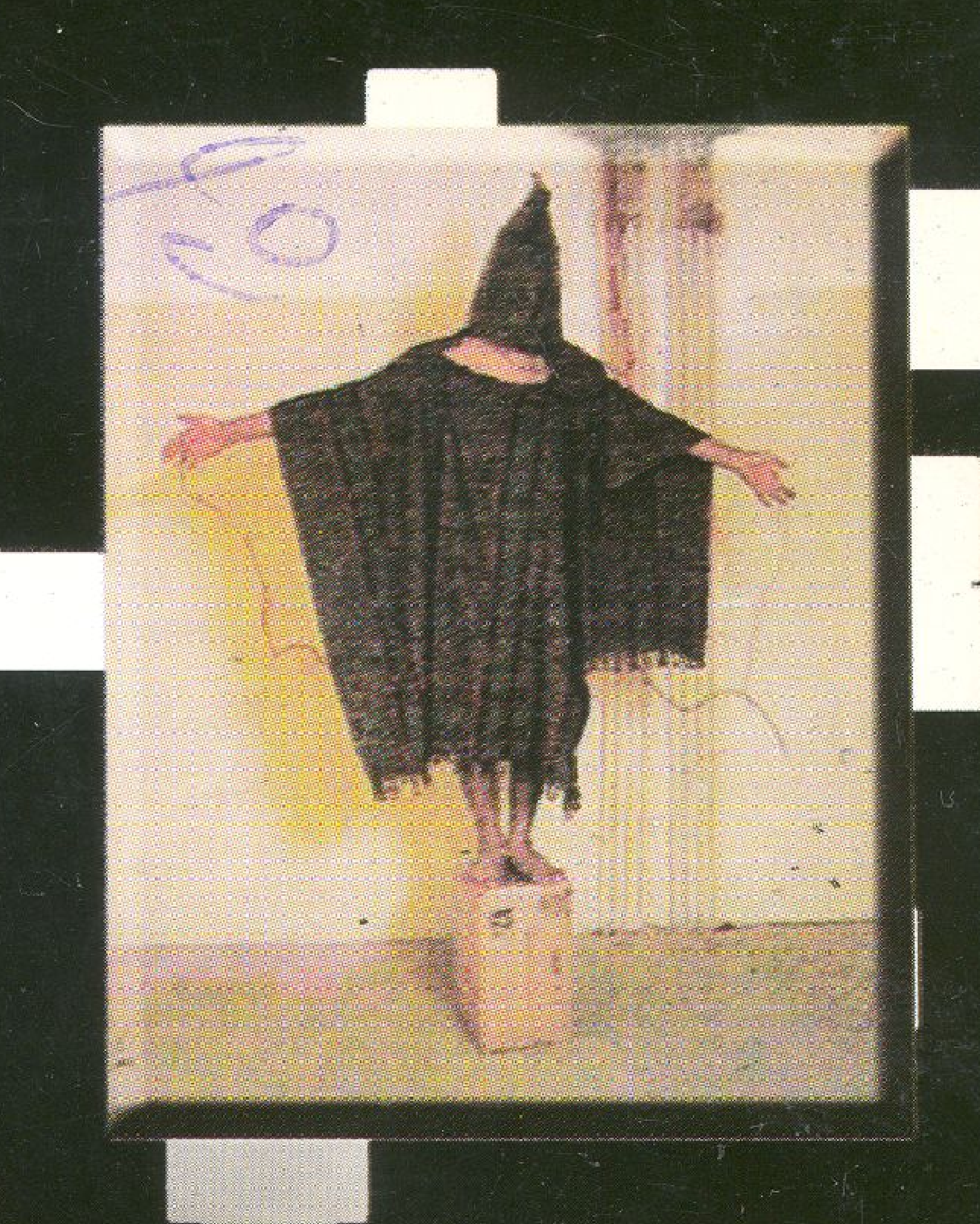
* المسيح اليهودى ونهاية العالم، رضا هلال، مكتبة الشروق الدولية، (ط١) ٢٠٠٠م، (ط ٢) ٢٠٠٢م، (ط ٣) ٢٠٠٤م.

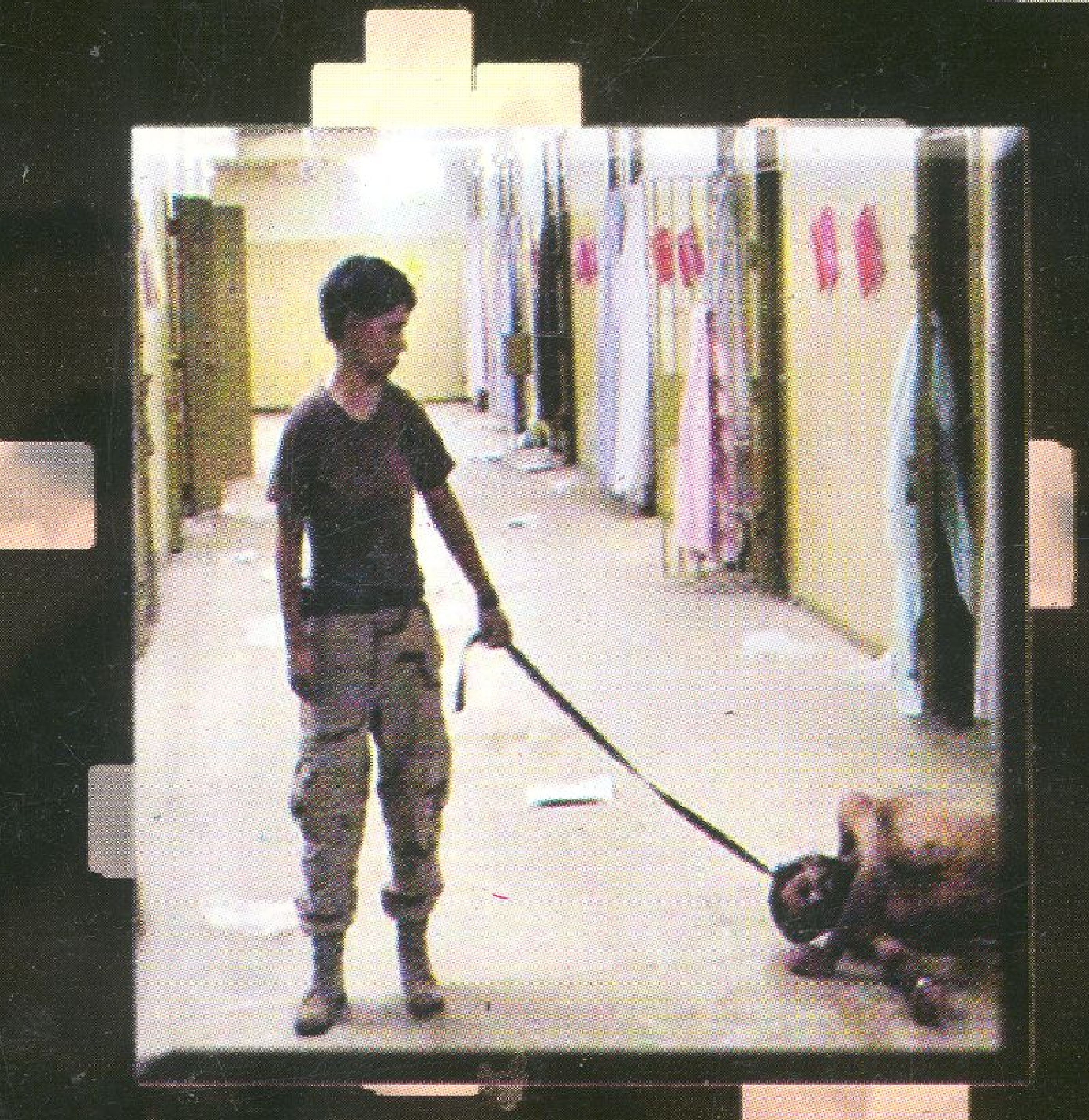
* النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، دار الشروق، (ط ١) ١٩٩٨م، (ط ٢) ٢٠٠٣م.

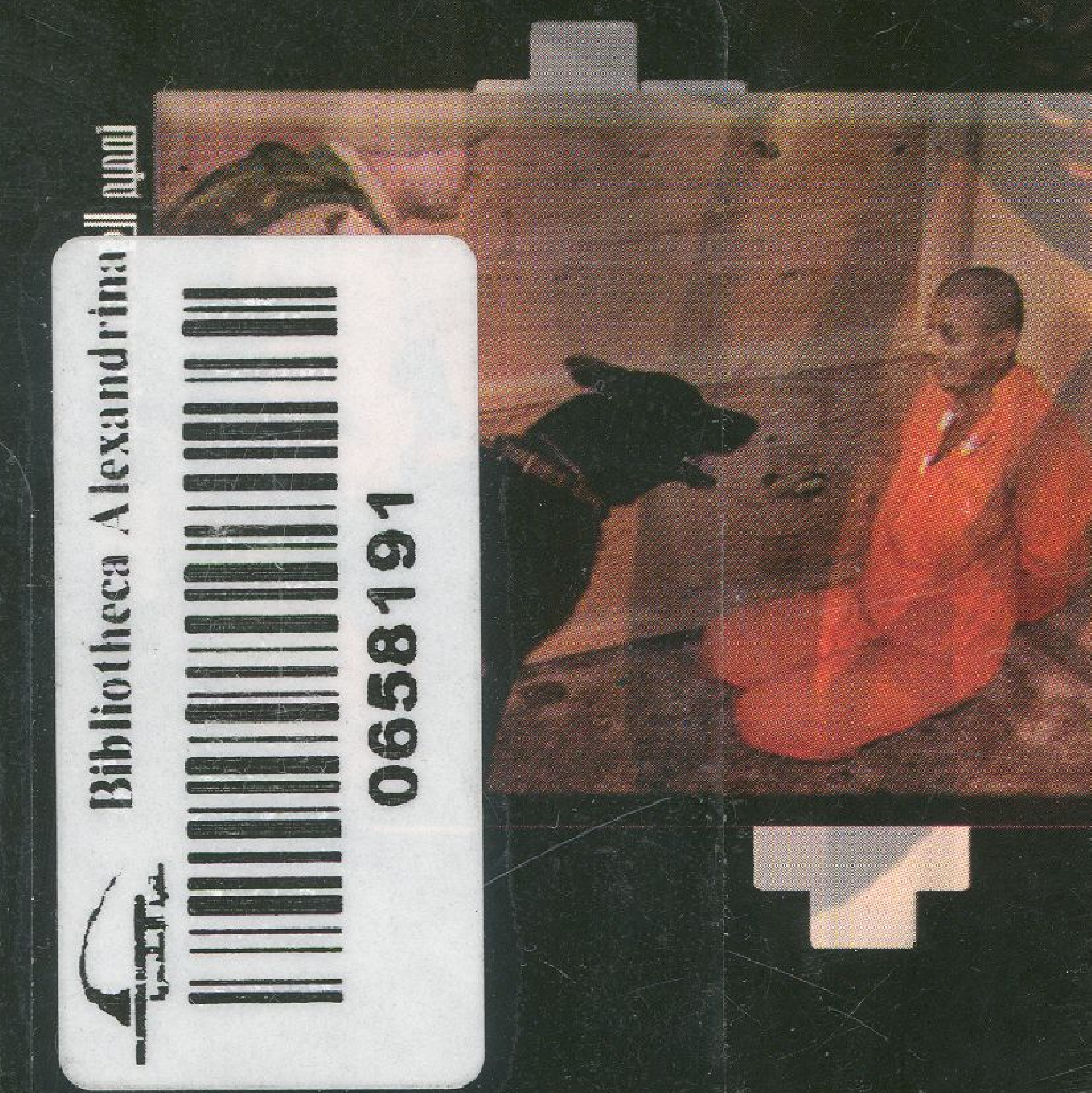
الفهرس

رقم الإيداع ١٨٧١٤/ ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I.S.B.N - 977-09-1141-0







I HAVE BEEN CALLED
TO THE HIGHER OFFICE!

